

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الجزء العاشر

الطبعة الخامسة

الذكيمة أمير محمد المدري



مكتبة خالد بن الوليد



KHALED LIBRARY

الحقوق محفوظة لكل مسلم

«الطبعة الخامسة»

«١٤٤٦هـ - ٢٠٢٤م»

الجزء العاشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا

المحتويات

٣المحتويات
٦المقدمة
١٣اسم الله الشافي
٣٥البحر (١)
٤٩البحر (٢)
٦٣البحر (٣)
٨١الإسراء والمعراج دروس وعبر (١)
١٠٠الإسراء والمعراج دروس وعبر (٢)
١١٤الإسراء والمعراج دروس وعبر (٣)
١٢٧الأنصار والهجرة
١٤٥القضاء
١٦١حُسن الظن بالله تعالى
١٧٨مفاتيح رحمة الله (١)
١٩١مفاتيح رحمة الله (٢)

- ٢٠٥ مفاتيح رحمة الله (٣)
- ٢١٤ مفاتيح رحمة الله (٤)
- ٢٢٦ رمضان مدرسة
- ٢٤٦ الرزق والأجل (١)
- ٢٥٩ الرزق والأجل (٢)
- ٢٧١ الغش
- ٢٨٢ عسى وعسى (١)
- ٢٩٤ عسى وعسى (٢)
- ٣٠٥ عسى وعسى (٣)
- ٣١٧ ثقافة الاعتذار
- ٣٢٩ وقفات بعد رمضان
- ٣٤٢ الحوار وآدابه
- ٣٦٣ ختاماً . . .



المقدمة

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلاماً على عبده المصطفى وعلى آله
وصحبه ومن اقتفى... .

وبعد

إن الدعوة كغيرها من الأعمال تحتاج إلى دُرْبَة وخبرة، وما من
عمل أتقنه صاحبه بالفطرة، مصداق ذلك قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ

أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ (النحل : ٧٨)

وموسى عليه السلام طلب الاستعانة بذي الخبرة حين قال: ﴿وَأَجْعَلْ لِّي
وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ بِهِ أَزْرَى ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾

كما أن مما رشحه أن يؤاخره صاحب مدين للعمل توفر الشرطين
الذين ذكرتهما إحدى البنتين:

﴿إِنَّ خَيْرَ مَنْ آسْتَجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ (القصص : ٢٦).
وظالوت استحق الملك بما أوتي من بسطة في العلم والجسم.

وهكذا يجب أن يمضي- الدعاة، يجابهون الصعاب ويواجهون
المواقف بمهارات مكتسبة، وخبرات مجتناة، ودربة مستقاة. ما
أعظمها من همة لا تترك لكلمة (ظروف) حُجة لمحتج، أو عذرا
لمعتذر، إنه يأبى إلا الكمال، لأن النفوس الكاملة تستقبح النقص :

ولم أر في عيوب الناس عيبا *** كنقص القادرين على التمام

إن الداعية الناجح ذو قلبٍ عقول، ولسانٍ سؤول، يبغض الجهل،
ويعظم العلم، ويحترم التخصص، يرفض أن يقوم بعمل لا يتقنه
حتى يتقنه. فهو لا يحتج بعدم الإتقان على ترك العمل، بل يعتذر عن
العمل ريثما يتقنه ويقوم به حق القيام.

إن الداعية الناجح إذا أُسندت إليه خُطبة حال كونه لا يجيد
الخطابة، استأذن أصحابه شهرا ليتعلم فن الخطابة ويجيد أساليبها،
ليرقى المنبر متمكنا من صنعته مائلا مكانه الذي وُضع فيه.

إن الداعية الناجح إذا اكتشف أنه لا يتقن محادثة الناس على الملأ،
هرع إلى المكتبات يبحث عن الكتب التي صُنفت في كيفية تنمية مهارات
المحادثة ومواجهة الجماهير.

إن الداعية الناجح إذا خطب في موضوع أشبعه، وإذا تحدث في قضية أتى على تفاصيلها فلم يترك تعقيباً لمعقب.

والخطيب الناجح والمؤثر هو ذلك الإعلامي الذي يعرف أخبار أمته فيقوم بإعدادها، وتبسيطها، وصياغة عرضها، إلى خليط من الناس مختلفي المنهل والمشب.

الخطيب الناجح له في القلوب مكانة، ولدي النفوس منزلة؛ لأنه عنصر من عناصر الخير والنماء.

الخطيب الناجح هو من يدرك آلام أمته وآمالها، فيخفف الآلام، ويمسح الجراح، ويهون الداء، وينفث في الآمال لينتشي- ويرتقي بها نحو آفاق رحبة عالية.

الخطيب الناجح هو ينبوع متدفق من الخير والعطاء؛ لأنه يحب ويعطي عن أريحية ورضى، سيّما وأن الشفقة على الخلق إحدى سماته وصفاته، يرى المنكر فلا يسكت عليه، بل يصوغه في قالب خطابي تربوي مؤثر، يوقظ الوسنان ويروي الظمآن، ويؤنس الرجفان، ويقود العميان إلى دروب الحق وميادين المعرفة.

الخطيب الناجح يُحسِّن الحَسَن، ويُقبِّح القبَّح، ويرى معروفًا مطبوعًا أو مصنوعًا فلا ينسى أن يذكرَّ به، وأن يشي- بصاحبه، دعوة للخير وريادة في البر.

الخطيب الناجح لا تؤثر فيه الأحداث، بل هو الذي يؤثر فيها، ويحوّلها إلى إشراقة من الفأل الحسن، والثقة المبتغاة، فلا يزيده القهر إلا إرادة صلبة قوية، لا تتفتت أو تلين، ولا يزيده الظلم إلا عفوًا وعزًّا، ولا تزيده المكاراة إلا مضاء وعزمًا.

الخطيب الناجح يستلهم الحدّث ليربي به تلك الجموع الغفيرة التي قدمت إليه، وانسأقت له، ورغبت فيه، فلا يمكن أن يمر حدث على الخطيب الناجح دون حسّ تربوي مؤثر، أو موعظة بليغة، أو ربط جيد بالآخرة، أو استنفار وبعث بالأمل بامتداد أنفاس الحياة، والتهوين من أمر الدنيا.

الخطيب الناجح والمؤثر هو الذي يسأل نفسه عندما يقوم بإعداد مادته: ما الذي أريده من عرض هذا الموضوع دون غيره، والغاية من سرد هذه القضية، وما هي الوسيلة المثلى لبسطها وعرضها؟

وبمعني آخر يسأل نفسه: هل أريد معالجة فكرة جديدة؟ أم تثبتت مبدأً أصيلاً؟ أم محاربة عادة مقبولة دميمة وصفة مرذولة؟

الخطيب الناجح يفهم الإسلام بشموله، وجميع محتوياته، من عبادات وآداب ومعاملات وعقائد وأخلاق وتشريعات.

الخطيب الناجح يحدد الظاهرة التي يريد أن يتناولها، ويبدأ في التفكير والتحضير من بداية الأسبوع، فيعيش معها سحابة النهار وجزءاً من الليل، فيستغرق جُلَّ هممه ومحتوى فكره مدندناً حولها، ومصغياً إليها، حتى إذا غمرت عقله وسرت في شرايينه تحرك قلمه الدافئ يحفر أفكاراً، حتى إذا وقف على المنبر فاسترجع ما كتب كان مصيباً، في حُسن الأداء وعمق الربط بين الفكرة والتي تليها، دون أن ينسى استمالة القلوب أو تهيج المشاعر وإيقاظ الوجدان.

الخطيب الناجح والمؤثر هو خطيب يتخذ الإخلاص مطية، تصل به إلى دربه ومبتغاه، ويجزم متاعه برباط الخوف من قيوم السماوات والأرض.

وبعد هذا التطواف مع بعض صفات الخطيب الناجح ها نحن
نحط رحالنا مجدداً مع كتاب **(بستان الخطيب)** - الجزء العاشر -
ولله الحمد والمنة أولاً على ما تفضل وأنعم علي بانتشار هذا الكتاب
بطبعات مختلفة، ثم الشكر ثانياً لك أيها القارئ الكريم لاقتنائك هذا
الكتاب، والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب و يجعله صالحاً ولو جهه
خالصاً، وأن يكون ذخراً ليوم المعاد، إنه ولي ذلك والقادر عليه، والله
تعالى أعلى وأعلم وصلّ اللهم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه
وسلم.

د. أمير بن محمد المدري



اسم الله الشافي

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين العباد حائل.

جعل ما على الأرض زينةً لها، وكل نعيمٍ لامحالة زائل. حذر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل، فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيسُ العاقل، ومن استسلم لهواه فذاك الضال الغافل. ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزهه عن الشريك وعن

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضُّرِّ - مُبْتَهَلًا
فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ! خَائِبَةً
وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجْدُ!
وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضُّرِّ - أَعْتَمِدُ!
مَا لِي عَلَى حِمْلِهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ!
إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مُدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ!
فَبَحْرُ جُودِكَ يَرُوي كُلَّ مَنْ يَرِدُ!

الشبيه وعن المشاكل.

من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي المريض؟ من يرعى الجنين في بطن الحوامل؟ من يجيب المضطر إذا دعاه؟ من لنا إذا انقضي الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟ ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل

عمران/١٠٢)

عباد الله:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأعراف: ١٨٠).

روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - : «إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة» (أخرجه البخاري في التوحيد، باب إن لله مائة اسم إلا واحداً (٧٣٩٢). ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها (٢٦٧٧). كلاهما عن أبي هريرة رضي الله عنه).

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ: العلم بأسماء الله وصفاته من أشرف العلوم وأجلها، وبقدر معرفة العبد بأسماء الله جل وعز وصفاته يكون حظ العبد من العبودية لربه والأنس به ومحبته وإجلاله، مما يكون سبباً في الفوز برضوان الله جل وعز وجنته، والتنعم بالنظر إلى وجه الله ذي الجلال والإكرام في الدار الآخرة، وهذه الغاية لن تتحقق إلا بتوفيق الله عز وجل.

ومن أكثر ما يزيد في الأيمان واليقين، وتحقيق للتوحيد، وتذوق لطعم العبودية، العيش مع أسماء الله وصفاته.

واليوم نعيش وإياكم مع أحد هذه الأسماء المباركة، إنه اسم الله "الشافي" والشفاء يشمل شفاء الأبدان، وشفاء الصدور من الشبه والشهوات، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء : ٨٠)

الشافعي: الذي يشفي عباده من الأسقام. قال ابن جرير الطبري -

رحمته - (١): ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (الشعراء : ٨٠) يقول :

وإذا سقم جسدي واعتلّ فهو يبرئه ويعافيه.

وقال الحلبي (١): الشافي الذي يشفي الصدور من الشُّبه والشكوك ومن الحسد والغلول، ويشفي الأبدان من الأمراض والآفات لا يقدر على ذلك غيره.

روى البخاري ومسلم من حديث عائشة - رضي الله عنها - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان إذا عاد مريضاً يقول: «أذهب البأس رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً» (صحيح الجامع، ٨٥٥).

الشافي رضي الله عنه هو الذي يمسح على المرضى مسحاً يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه. ولا يمكن أن يعرف هذا المفهوم إلا من شعر بتلك المسحة الإلهية. «لو زرته لوجدتني عنده» سبحان الله! لم يذكر الله ﷻ هذه المعية في عبادة الصلاة أو الجهاد أو أي عبادة أخرى، بل قال «لو زرته لوجدتني عنده» في زيارة المريض.

(٢٢٤ - ٣١٠ هـ = ٨٣٩ - ٩٢٣ م)

محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان، واستوطن بغداد وتوفي بها. وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. له (أخبار الرسل والملوك - ط) يعرف بتاريخ الطبري، في ١١ جزءاً، و (جامع البيان في تفسير القرآن - ط) يعرف بتفسير الطبري، في ٣٠ جزءاً، وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه. وكان أسمر، أعين، نحيف الجسم، فصيحاً.

(١) الدِّبَّاجِي (٣٣٨ - ٤٠٣ هـ = ٩٥٠ - ١٠١٢ م) الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الجرجاني، أبو عبد الله: فقيه شافعي، قاض. كان رئيس أهل الحديث في ما وراء النهر. مولده بجرجان ووفاته في بخارى. له (المنهاج - في شعب الإيمان، ثلاثة أجزاء، قال الإسنوي: جمع فيه أحكاماً كثيرة ومعاني غريبة لم أظفر بكثير منها في غيره.

لأن المريض هو الذي فقد الأمل وشعر بالقلق والاضطراب من المستقبل. والمرض من المقلقات الخمس: الفقر، المرض، الموت، الهَمّ، الحزن. كل هذه المقلقات عاجلها الدين معالجة معينة ومن ضمن هذه المعالجات أن الله هو الشافي ﷻ.

وفي هذا الحديث طلب الشفاء من جميع الأمراض، وليس من ذاك المرض الذي أصيب به المريض، ويشرع للمسلم أن يقول: «يا شافي اشفني» فالله - ﷻ - يشفي من أمراض القلوب كالغل، والحسد، والشهوات، ويشفي من أمراض الأبدان، ولا يُدعى بهذا الاسم سواه.

أخاي الكريم: هل رضّتك الأوجاع؟ وأتعبتك الآلام؟ وأشعرك المرض أن الحياة رمادية اللون؟
ما رأيك أن أطلعك على شيء يغسل روحك من أوصابها وأتاعبها؟

إنه اسم الله الشافي.. اسمٌ لنفسك المنهكة أن تلتقط أنفاسها قليلاً،
هذا الاسم الذي ستعلم بعد أن تتفياً ظلاله مقدار حاجتك إليه،
ومقدار بُعدك عنه أيضاً!

الحياة حقل أمراض، وأوجاع، وتنهدات، لذلك فقد سمي الله
نفسه بالشافي، لتسجد آلامك في محراب رحمته، وتُنكس أوجاعك
رأسها عند عتبة قدرته.

قدّر الله على هذا الجسد أن تنطفئ نضارته مؤقتاً، حتى يقتنع
الإنسان بضعفه، وبأنه لا حول له ولا قوة.

أيها الإنسان، إن حقيقتك الموت، وإن كل شيء فيك يشبه الموت،
نومك موت، مرضك موت، انتقالك إلى مرحلة عمرية موت
للمرحلة السابقة، فالشباب موت الطفولة، والكهولة موت الشباب،
ومع ذلك فإن الوهم يجعلنا نعتقد أننا مخلصون ولهذا يصرخ المرض
بأجسادنا، أنها إلى زوال!

لأنه الله هو الشافي: يشفيك بسبب، ويشفيك بأضعف سبب،
ويشفيك بأغرب سبب، ويشفيك بما يُرى أنه ليس سبب، ويشفيك
بلا سبب!

لا يريد منك سوى العودة إليه، أن تتلمس الطريق المؤدي إليه..

عُد إليه بالرضا، عُد إليه بالسجود، عُد إليه بالتوبة، عُد إليه
بالاستغفار، عُد إليه بالصدقة، عُد إليه بالاعتراف..

اطرق بابه ثم ارتقب الشفاء، ليس هناك مشفى في الدنيا يداويك
إذا لم يشأ الله ذلك، ليس هناك طبيب في العالم يستطيع أن يُشخص
مرضك، إلا إذا أراد الله ذلك.

قُدرة ملك الملوك على الشفاء لا تحتاج إلى آلة جرّاح، إنه الملك
الذي ينظر من علياء ملكه، فيشفي مريضاً، ويسعد مكروباً، ويعيد
مسافراً ويبرئ جريحاً.

يمرضك لتعود إليه فإذا عُدت رُفع المرض؛ إذ أنه لم يعد للمرض

فائدة!

يُمرضك لتشعر بالآخرين؛ فإذا شعرت بهم رُفع عنك المرض؛
لأنه لم يعد للمرض فائدة!

المتنافع الذي لن تحتاج إذا أردت الدخول عليه إلى موعد مُسبق،
وبطاقة تؤهلك للعلاج..

فقط قل: يا الله، فإذا بأعظم مشفى إلهي تفتح أبوابها، إنها مشفى
الرحمة والقدرة واللفظ والشفاء.

من الذي يقدر على أن يلام تلك العظام المتنافرة، ويعيد البسمة
إلى ذلك الثغر وينفخ الروح من جديد في جسد انفتحت له أبواب
المقبرة؟

الله وحده من يقدر على ذلك!

أبو الأنبياء إبراهيم عليه السلام، يقول كما في سورة الشعراء: ﴿وإذا

مَرَضْتُ فَهُوَ يَشْفِينُ﴾ [الشعراء: ٨٠]

هو وحده، لا أحد سواه يشفيك، لن تحتاج إلى غيره إذا أراد

شفائك، ولن يفيدك غيره إذا لم يرد!

يُصِيبُ الْجُدْرِي جسد أيوب عَلَيْهِ السَّلَامُ، تشتت أسرته، تبعثر
 أملاكه، أكثر الناس تفاقواً ليفقد الأمل في شفائه، وهو صابر محتسب!
 تشتعل الأسقام في جسده وهو منكس الرأس لمولاه، وبعد سنوات
 البلاء، يخرج من شفائه دعاء مليء بالتواضع، دعاء ممتلئ باليقين:

﴿ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴾ [ص: ٤١]

فإذا بأبواب السماء تفتح بالرحمة، وإذا بالأوامر العليا تنزل من
 فوق السماء السابعة لأجل ذلك المهموم المكروب.

تنتهي سنوات العذاب في ساعة، ليأتي عهد الشفاء!

أَخْلَجَ الْخَلِيبُ: لماذا تثق بكل هؤلاء الموتى الذين يتحركون

حولك، وتنسى الحي الذي لا يموت؟

من الذي خدعك وأقنعتك أن الشفاء قد يأتي من طريقٍ آخر؟

كيف نسيت ذلك الذي أخرجك من بطن أمك بدون طيب،

وخلق لك في صدرها رزقاً حسناً، وعلمك وأنت أجهل ما تكون

كيف تمص شفتيك على صدرها لترضع؟ أنسيت الذي خلق الرحمة
في قلب تلك الإنسانية لتضمك؟ وتعطني بك؟

ها هو سبحانه بالمرض يذكرك بأيامك الأولى، بالمرض يقول
لك: عُد إلي، فكما خلقتك من عدم فأنا وحدي الذي أرفع عن
جسدك السقم!

إذا رضيت عن الله أرضاك الله.. قل من بين آهاتك ما أمر به نبيك
أمته أن تقول: «رَضَيْتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا».

قلها بقلبك، اجعل قلبك يتنفس الرضا، اجمع يديك واتل اسمه في
دعائك، ثم امسح على جسدك.

اجعل المرض بداية عهد جديد تتعرف فيه إلى ربك من خلال اسم
الشافي.

ومن آثار الإيمان بهذا الاسم:

أولاً: أن الله تعالى هو الشافي، ولا شافي إلا هو، ولا شفاء إلا
شفاءه، ولا يرفع المرض إلا هو، سواء كان مرضاً بدنياً أو نفسياً، قال

تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ

بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ (الأنعام: ١٧)

ثانياً: أن الله تعالى هو الشافي، لم ينزل داء إلا وأنزل له دواء وشفاء، وله أسباب، روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ما أنزل الله داء إلا وأنزل له شفاء» (أخرجه أبو داود في الطب (٣٨٧٤)، والبيهقي في الكبرى (٥/١٠)، وابن عبد البر في التمهيد (٥/٢٨٢)). يقرأ هذا الحديث المريض فيمتلى ثقة بالشفاء، يقرأ هذا الحديث الطبيب فيشعر بالتقصير تجاه البشر، ينبغي أن نبحث عن شفاء لهذا المرض، الآن فإذا أصيب دواء الداء معنى الطبيب حينما يصيب في تشخيص الداء قطع نصف المرحلة، فإذا أصيب دواء الداء قال برئ بإذن الله.

ومن الأسباب التي جعلها الله شفاء:

الدعاء: قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ

يُرْشِدُونُ ﴿١٨٦﴾ (البقرة: ١٨٦)، روى أبو داود في سننه من حديث ابن

عباس - رحمته - قال : قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «من عاد مريضاً لم يحضر أجله فقال عنده سبع مرار : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك إلا عافاه الله من ذلك المرض» (صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٢٣٩)، والترمذي : كتاب الطب - باب ما جاء في التداوي بالعسل، حديث (٢٠٨٣) وقال : حسن غريب).

ومنها القرآن العظيم: قال تعالى: ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ لِّلْمَرِيضِ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾ (الإسراء : ٨٢).

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس : ٥٧).

وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءً﴾ (فصلت:

٤٤)، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - يزور المرضى، ويدعو لهم، ويرقيهم بكتاب الله كما كان يرقى نفسه بالقرآن، كما في الصحيحين من حديث عائشة - رحمته - : أن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان يقول للمريض : «بسم الله تربة أرضنا، بريقة بعضنا، يشفي سقيمنا، بإذن ربنا» (أخرجه البخاري ومسلم)، وكان النبي - صلى الله عليه وسلم - «ينفث على نفسه في مرضه الذي

قبض فيه بالمعوذات» (أخرجه البخاري (١٠ / ١٩٥، ٢١٠ الفتح)، ومسلم (ح ٢١٩٢)).

ومنها العسل: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَىٰ أَن نَّخِذِ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ (النحل: ٦٨، ٦٩).

ومنها الحبة السوداء: روى البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «في الحبة السوداء شفاء من كل داء إلا السام»، قال ابن شهاب: "والسام الموت".

ومنها الحجامة: روى البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «الشفاء في ثلاثة: في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية بنار، وأنا أنهي أمتي عن الكي».

ومنها ماء زمزم: روى ابن ماجه في سننه من حديث جابر - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «ماء زمزم لما شرب له» (أخرج الإمام أحمد في المسند (٣/ ٣٥٧) وابن ماجه في سننه (٣٠٦٢))، وقال ابن القيم رضي الله عنه: "وقد

جربت أنا وغيري من الاستشفاء بهاء زمزم أمورًا عجيبة، واستشفيت به من عدة أمراض فبرئت بإذن الله». وكان ابن عباس إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إني أسألك علمًا نافعًا، ورزقًا واسعًا، وشفاء من كل داء».

ومنها ما أنزله الله - ﷻ - في الأرض من ترابها، ومياهها، وأشجارها، وثمارها، وغير ذلك مما خص الله بعلمه من شاء من عباده. بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

ومن آثار هذا الاسم ثالثاً: أن هذا الشفاء قد يتأخر لحكمة الهية، رفعا لدرجات المريض، وتكفيراً لسيئاته:

قال تعالى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ

الرَّحِيمِ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَعَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ،

وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ ﴿٨٤﴾ [الأنبياء: ٨٣، ٨٤].

ذكر بعض المفسرين أنه لبث في مرضه ثمانية عشر عامًا ابتلاء من

الله لنبيه، روى الترمذي في سننه من حديث جابر - رضي الله عنه - : أن

النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «يود أهل العافية يوم القيامة حين يعطي أهل البلاء

الثواب، لو أن جلودهم كانت قرضت في الدنيا بالمقاريض» (رواه الترمذي

٢٥٢٦) شاكر وحسنه الألباني في الصحيحة رقم (٢٢٠٦).

وعلى المريض أن يحذر من اليأس، وإن استعصى مرضه، ففرج الله

قريب، يذكر لي أحد الإخوة وقد أصيب بحادث سيارة أنه مكث في

غيوبة أربعة أشهر، ووالدته تقرأ عليه القرآن في سرير المستشفى،

وتدعو له، ثم استيقظ من هذه الغيوبة، وقد شفاه الله، وهو حيٌّ

يرزق، فسبحان الله الشافي، ورجل آخر أصيب بمرض السرطان،

وقرر الأطباء أن ليس له علاج، فاستمر على العسل والحبة السوداء

مع خلطهما ببعض الأعشاب لعدة أشهر، فشفاه الله وعافاه، فسبحان الله العزيز الحكيم.

ويذكر أحد المسؤولين في الحرم المكي أن ناسًا من هؤلاء المرضى، الذين قرر الأطباء أن ليس لهم علاج ممن أصيبوا بأمراض مستعصية، أنهم اعتكفوا في المسجد الحرام يشربون من ماء زمزم، ويدعون ربهم، ويتضرعون إليه، فإنه لا ملجأ منه إلا إليه، فشفاهم الله الشافي، والقصص في هذا كثيرة، وما ذكرته غيض من فيض، وقليل من كثير.

عباد الله:

الإنسان حينما يغفل عن الله يدفع ثمن أخطائه باهظة ويؤدبه الله في الدنيا قبل الآخرة:

الله ﷻ رحيمٌ بعباده فإذا أخطأوا يؤدبهم إما برزقهم أو بصحتهم:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ﴾ (الأعراف : ٩٦)

﴿وَأَلَوْ اسْتَقَمُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾ (الجن: ١٦) الآيات

واضحة جداً.

﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ

فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ (المائدة: ٦٦)

عباد الله:

الإنسان الذي يعبد الله ﷻ باسمه (الشافي) هو إنسان مسبِّحٌ ذاكِرٌ

شاكِر، يملأ قلبه الأمل، لسانه دائماً ينطق بكلمات طيبة تنعكس على

عقله وتنعكس على روحه فيبرأ الجسد ويتحصن بإذن الله.

اللهم يا شافي أنت الشافي لا إله غيرك. . اللهم اشف مرضانا

ومرضى المسلمين. . اللهم عاف مبتلانا ومبتلى المسلمين. .

اللهم يا الله اشف صدورنا. . واشف قلوبنا. . يا أرحم الراحمين

اجعل باطننا خيراً من ظاهرنا. .

يحكي أحد المشايخ يقول:

كان عندي سفر من مطار القاهرة “هو من الإسكندرية” .. الموعد بعد الفجر فخفت أن تذهب الطائرة.. فاتصلت على صديق لي هوا إمام مسجد قريب من المطار. قلت له سآتي لأنام عندك في المسجد إلى الفجر، فدع الباب مفتوح، فاستغرب وقال لي: خيرا يا شيخ؟

فقلت له: عندي سفر بعد الفجر وسأنام عندك احتياطا.. فقال: على الرحب والسعة..

يقول: وصلت الساعة الثانية عشرة ليلا، فإذا المسجد مفتوح والأنوار مضاءة. “ورأيت رجلاً قاعداً في المحراب يناجي الله بصوتٍ مسموع.. يقول: يارب مش قادر.. تعبت والله.. يارب مليس غيرك .. أروح فين بس واعمل إيه” !!!

مناجاة عجيبة.. وإلحاح تقشعر له الأبدان ...

قلت في نفسي .. “والله ما هذا بكاء صاحب فاحشة ولا كبيرة ..

هذا رجل ألبأته الضرورة والحاجة” ...

انتظرت قليلا ثم اقتربت منه.. فلمحني .. قلت له:

مالك؟! هل بإمكانك مساعدتك!!

قال والله يا شيخ لا أعلم ما أقول لك.. زوجتي عندها عملية الساعة التاسعة صباحا: تكلفتها خمسة عشر- الف وأربعمائة جنيه مصري، ولا أملك منها جنيها واحدا.

قلت له: والله ما عندي ما أقدر أساعدك به..

لكن سأدلك على بشارة.. هي: أن الله سبحانه أرحم بنا من أمهاتنا..

“وإنه لا أحد وثق في الله وخذله أبدا”..

قال: ونعم بالله واستمر في الدعاء واللجوء إلى الله. وأنا ذهبت لصلاة الوتر ونمت..

المؤذن أيقظني وبعد أذان للفجر.. جاء الإمام وقال لي: بالله عليك صلي بنا.. قلت له: تعبان.. قال: بالله.. ولو بقصار السور.

صليت فعلا.. وبعد الصلاة جاء واحد ناحيتي من الصف الثالث يلبس ملابس يظهر على صاحبها الثراء، وشكله من علية القوم.

المهم سلّم عليّ بحرارة، وقال لي: كيف حالك يا مولانا.. أنا متابع برنامجك ودروسك، وسبحان الله قبل أيام اشترت شقة في هذه العمارة هنا فوق هذا المسجد، سمعت صوتك فقلت أشوفك، وأسلم عليك..

يا شيخ أنا ربنا أكرمني آخر كرم، كان عندي مصنع بلاستيك وفتحت واحد ثاني، والحمد لله الله فتح عليّ، وأنا يا شيخ كنت مجمع زكاة قدرها: خمسة عشر ألف وأربعمائة جنيه.

قبل ما يكمل.. قطعته بكائي.. واقشعر جسمي كله... نفس الرقم. سبحان الله.. نفسه بالجنيه!!!!

الناس استغربوا ومش عارفين ماذا حصل.. خاصة أني بدأت أنظر عليهم، وأبحث بعيني عن الرجل الذي قابلته بالليل، والتاجر نفسه يقول: مالك يا شيخ؟ قلت له اصبر..

فلما رأيت الرجل ودعوته، وعينه يظهر عليها بكاء طول الليل..

قلت له: يا حاج أنت كنت تبكي طوال الليل لماذا؟

“أسأله أمام التاجر”.. فقال لي أنا أخبرتك يا شيخ أن زوجتي عندها عملية الساعة التاسعة صباحاً: تكلفتها خمسة عشر- ألفاً وأربعمائة جنيه مصري، ولا أملك منها جنيهاً واحداً.

قلت له العملية بكم؟ قال بخمسة عشر- ألفاً وأربعمائة جنيه مصري، فإذا بالتاجر يقول: الله أكبر الله أكبر وأخذ الرجل الفقير في حضنه وبكى بكاء شديداً!!

وقال: والله يا شيخ وهو يبكي أنا زوجتي لها أسبوع تقول لي: أخرج المال أخرج حق الله..

وأنا أقول لها: أنا لا أريد إخراجه مفرقاً، أنا أريد أُعطيها لواحد مضطر محتاج وفي كُربة .. فأكون سبياً في تفريج كُربته؛ فيفرج الله عني كُربة يوم القيامة..

فأخذ المال وأعطاه للفقير، والفقير غير مصدق، وعندما أخذ المال تركني.. وترك التاجر وأخذ المال في حضنه، وقال مناجياً لله: أنا أحبك يارب: أنا أحبك يارب. وبكى بكاءً يفتت الصخر....

فسبحان الله:

اجتمع صدق اللجوء في الدعاء مع اخلاص الطلب في الصدقة،
فكان ما كان.. وما الشيخ إلا سبباً ساقه الله لهذا وذاك.. فسبحان
المدبر.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد
بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم
الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم.



البحر (١)

الحمد لله الذي دل عباده على طاعته للفوز بجنته، وحذرهم من معصيته للنجاة من ناره، وأقام لهم الحجة وأوضح لهم المحجة بإنزال كتبه وإرسال رسله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي دل أمته على خير ما يعلمه لهم وحذرهم من شر ما يعلمه لهم.

أما بعد: فأوصيكم بحباد الله: ونفسي- بتقوى الله تبارك وتعالى تدرّعوا بها في الشدة والرخاء في السراء والضراء أعمروا بها أوقاتكم صباحاً ومساءً فبها تدفع المحن والبلايا والفتن والرزايا وصدق الله تعالى القائل: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق: ٢).. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا﴾ (الطلاق: ٤).. ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْرًا﴾ (الطلاق: ٥).

أيها المسلمون بحباد الله: الله أمرنا بالتفكر في مخلوقاته فقال جل وعلا: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (آل عمران: ١٩١)

واليوم سنعيش متأملين متفكرين في مخلوقٍ عجيب، مخلوقٍ عظيمٍ جليل خلقه الله جل وعلا عبرةً لمن يعتبر وعظةً لمن يتعظ إنه البحر بأمواجه العظيمة، البحر بأتساعه الهائل.

عباد الله: البحر آيةٌ من آيات الله الدالة على عظمته وجبروته، ففي الجنة رحمته وفي النار سطوته وعذابه، وفي البحر عظمته.

إن ماء هذا المخلوق العجيب يملأ ثلاث أرباع سطح الأرض ولولا أن الله جل وعلا يمسك البحر بقدرته ومشيبته لطفح على الأرض فأغرقها ودمرها وجعل عاليها سافلها.

البحر عباد الله: خلق من خلق الله يعبد الله، يوحد الله، يُسبح الله، ومن عجائبه أنه يرى ابن آدم يعصي- الله تعالى مع حلمه تعالى عليه فيتألم لذلك فلولا أن الله منعه إغراقهم لأغرقهم.

فسبحان الله البحر يغضب عندما تُنتهك محارم الله وكم من بشرٍ لا يُحرِّكون ساكناً والفواحش تنتشر- والمنكرات تسري ولا ينكرون منكراً ولا يأمرون معروفاً.

في البحار أمواجٌ عاتية وأعماقٌ مظلمة حالكة الظلام فألوان الطيف السبعة الأحمر، البرتقالي، الأصفر، الأخضر، النيلي، البنفسجي، الأزرق؛ كلما تعمقنا في البحر يضيع لون فعلي عمق (٢٠) متراً تقريباً، ويختفي وجوده بعد ذلك، وينشأ عن ذلك ظلمة اللون الأحمر، فلو جرح غواص على عمق (٢٥) متراً تقريباً وأراد أن يرى الدم النازف فسيراه بلون أسود، بسبب انعدام شعاع اللون الأحمر، ويمتص الشعاع البرتقالي على عمق ثلاثين متراً تقريباً، فننشأ ظلمة أخرى تحت ظلمة اللون الأحمر هي ظلمة اللون البرتقالي، وعلى عمق (٥٠) متراً تقريباً يمتص اللون الأصفر، وعلى عمق (١٠٠) متر تقريباً يمتص اللون الأخضر، وعلى عمق (١٢٥) متر تقريباً يمتص اللون البنفسجي والنيلي، وآخر الألوان امتصاصاً هو اللون الأزرق على بعد (٢٠٠) متر، وعلى عمق (١٠٠٠) متراً عن سطح البحر

يصبح كل شيء مظلماً في البحار ظلمات عشر ظلمات العوائق السبع وظلمات الحوائل الثلاث ظلمات بعضها فوق بعض حتى يده لو أخرجها لا يراها ، وهذا ما تم اكتشافه حديثاً وقد ذكره الله في كتابه قبل ألف وأربعمائة سنة وتزيد وصدق الله القائل : ﴿ **أَوْ كَظُلْمَتٍ فِي بَحْرِ لَجِيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ، سَحَابٌ مُّظْمِتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَكْدُهُ، لَمْ يَكْدِرْ بِهَا** ۗ وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ۗ ﴾ (النور : ٤٠)

فلا نور إلا نور الإيمان، لا نور إلا نور الأعمال الصالحات.

البحر جندي من جنود الله يهلك الله به من يشاء من أعدائه ويُنجي به من يشاء من عبادة المؤمنين.

البحر تجده جندياً من جنود الله بارزاً في قصة موسى عليه السلام عندما خافت عليه أمه من بطش فرعون، فأوحى الله إليها وحي إلهام ﴿ **فَإِذَا خِفتَ عَلَيْهِ فَاعْلَمِي فِي أَلَمِهِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۗ إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ** ۗ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۗ ﴾ (القصص : ٧) فأوحى الله إليها ﴿ **أَنْ أَقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ** ۗ ﴾ (طه : ٣٩)

لا إله إلا الله يا أم موسى أرضعيه فإذا خفت عليه وهو في حضنك
وهو في رعايتك إذا خفت عليه وفي فمه ثديك وهو تحت عينيك
فألقيه في اليم.

الله أكبر طفلاً في الأشهر الأولى من حياته يُلقى في اليم في تابوت
صغير لا من يحميه لا من يرهه.

لكن الله بعنايته وحفظة يجرسه ويرعاه.

فألزم يديك بحبل الله معتصماً فإنه الركن إن خانتك أركان
وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلهن أمان

ولا تخافي ولا تحزني إنه هنا في اليم، في البحر العظيم بأمواجه في
رعاية اليد التي لا خوف معها اليد التي تجعل النار برداً وسلاماً
وتجعل البحر ملجأً وملاذاً. فالله خير حافظاً

اليد التي لا يجرؤ فرعون الطاغية ولا طغاة الأرض جميعاً أن يدنو
من حماها الآمن العزيز.

وما هي إلا ساعات ثم عاد الطفل الغائب إلى أمه الملهوفة معافي في بدنه، مرموقاً في مكانته، يحميه فرعون وترعاه امرأته، تضطرب المخاوف من حوله وهو آمن بحفظ الله تعالى.

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص : ١٣)

﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (القصص : ١٣)

واستمرت المعركة بين موسى ولي الله وفرعون عدو الله، بين الحق والباطل إلى حين خروج موسى ومعه بني إسرائيل فتبعهم فرعون وجنوده فإذا البحر من أمامهم وفرعون وجنوده من خلفهم.

دلائل الحال كلها أن لا مفر، فإذا بنو إسرائيل يقولون: يا موسى إنا لمدركون ضعفت ثقتهم بالله ونسوا أن الله هو الحافظ والمعين، لكن موسى لا يشك لحظة واحدة؛ فملء قلبه الثقة بربه واليقين بعونه سبحانه، فقال موسى بلسان الواثق بنصر- الله: ﴿قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِيَ

رَبِّي سَيِّدِينَ﴾ (الشعراء: ٦٢)، كلاً لن نكون مدرّكين، كلاً لن نكون

ضائعين، كلاً إن معي ربي سيهدين.

فجاء الفرج وأزيل الكرب، هكذا مهما زاد الظلم ومهما بلغ الطغيان.

﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ﴾، بعصا يُضرب

البحر العظيم، بعصا يضرب المخلوق العجيب نعم بعصا وقعت المعجزة فالعصا سبب والله هو رب الأسباب، ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ

فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾. وقعت المعجزة ووقف الماء على جانب

الطريق كالطود العظيم، ووقف فرعون مع جنوده مشدوها بذلك

المشهد الخارق وذلك الحدث العجيب، وأطال الوقوف وهو يرى

موسى وقومه يعبرون البحر في طريق مكشوف، ﴿وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ

مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي فَاضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا لَا تَخَافُ دَرَكًا وَلَا

تَخَشْيَ﴾ (طه: ٧٧). فدخل موسى وقومه بأهلهم وعتادهم وخرجوا لم

تبتل لهم قدماً بإذن الله تعالى. قال ابن عباس رضي الله عنه «صار البحر أثنا

عشر طريقاً لكل سبط طريق فاقترب فرعون بجنوده وتمادوا ودخلوا أجمعين

ودخل آخر جندي من جنود فرعون وخرج آخر رجل من قوم موسى وأراد

موسى -عليه السلام- أن يضرب البحر فأمره الله أن يترك البحر فهو مأمور

بإغراقهم فقال تعالى: ﴿وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهَوًّا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَقُونَ﴾ (الدخان: ٢٤).

فأمر الله البحر أن يغرق فرعون وجنوده: ﴿وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ﴾

أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ (الشعراء : ٦٥)

نعم إنه البحر الذي كان لموسى الطفل الرضيع أماناً ورعاية وحفظاً هو الآن يُغرق فرعون وقومه بإذن الله تعالى.

عباد الله: هذا المخلوق العجيب نجده مع نبي الله يونس الذي كان ضاق صدرًا بتكذيب قومه فأنذرهم بعذابٍ قريب وغادرهم مغضباً، فكان الأمر الرباني فألقي في البحر أو ألقى بنفسه إليه فأرسل الله له حوتاً فابتلعه وأمره أن لا يكسر له عظما ولا يחדش له لحما، وطاف به البحار وغاص به إلى الأعماق وبقي في بطن الحوت أياما يسمع الحيتان وتسييحها، فعلم انه أخطأ فسبح الله واستغفره قائلا: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿٨٧﴾ (الأنبياء : ٨٧)

ولولا أنه استغفر الله وسبحه في الرخاء لبقي في بطن الحوت في قعر البحر إلى يوم القيامة، ﴿فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ * لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (الصفات: ١٤٤) لكن الله تعالى نجاه كما قال: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء: ٨٨).

أخي الحبيب تعرّف على الله في الرخاء يعرفك في الشدة.

وقبل هؤلاء جميعاً قوم نوح، فإن الله تعالى لما أراد إهلاكهم

بتكذيبهم، أمر نبيه نوحاً عليه السلام أن يصنع سفينة فصنعها، ﴿فَفَتَحْنَا

أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾ ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ

قَدْ قُدِرَ﴾ (القمر: ١١)، ولما بدأ الطوفان أمره الله بالركوب فيها مع من

آمن معه، وعم الطوفان الدنيا حتى بلغ قمم الجبال العالية، فنجاه الله

تعالى ومن معه من المؤمنين، وأغرق من كفر بالله رب العالمين، قال

تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا

بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾ (الأعراف: ٦٤)، وأخبر تعالى أنهم كانوا

ظالمين أيضاً فقال: ﴿فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ (العنكبوت: ١٤).

وهكذا فإن عاقبة الظلم وخيمة في الدنيا قبل الآخرة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر

الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: عباد الله: كلما وقفت أمام هذا المخلوق العجيب «البحر» أتذكر قول الله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ (الكهف: ١٠٩).

وأذكر قوله الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(لقمان: ٢٧). الله أكبر ما أعظم الله لو أن جميع ما في الأرض من شجر تحولت أقلام وجميع ما في الأرض من بحار تحولت إلى مداد وهذا البحر يمد سبعة أبحر وجلس الكتاب يكتبون ويسجلون كلمات الله المتجددة الدالة على عظمته على علمه وقدرته ورحمته الدالة على مشيئته.... فماذا؟ لقد نفدت الأقلام ونفذ المداد نفدت الأشجار ونفدت البحار الأقلام وانتهت.... وكلمات الله باقية لا تنفذ ولا تأت لها نهاية ويقف القلب البشري خاشعاً أمام جلال الخالق الباقي الذي لا يتحول ولا يتبدل ولا يغيب.

البحر عباد الله: يذكرنا بقصة أصحاب القرية من بني إسرائيل التي كانت حاضرة البحر واستمع أخي الحبيب كيف نجي الله المصلحين منهم وأهلك البقية:

حرّم الله عليهم في السبت الحيتان صيدها وأكلها، فكانوا إذا كان السبت أقبلت عليهم إلى ساحل البحر شرّعا ظاهرة، حتى إنها لتخرج خراطيمها من الماء، فإذا كان يوم الأحد لزمت عمق البحر كشأن الأسماك، فلم ير منها شيء. فعصوا الله، جعلوا الشباك يوم الجمعة.

فلما وقع فيها السمك أخذوه يوم الأحد، فقال جل وعلا: ﴿وَلَقَدْ

عَلِمْتُمُ الَّذِينَ أَعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾

[البقرة: ٦٥]

وعجل الله لهم العقوبة:

قال تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٣] فتأمل أخي قصة أهل هذه القرية التي كانت حاضرة البحر كيف انقسم أهلها إلى ثلاثة أقسام:

عُصَاهُ، وَصَالِحُونَ، وَمُصَلِحُونَ، وَتَأْمَلُ الْآيَاتِ كَيْفَ قَامَ
 الْمُصَلِحُونَ بِالدَّعْوَةِ فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمُ الصَّالِحُونَ! وَقَالُوا لَا فَائِدَةَ مِنْ
 إِنْكَارِكُمْ وَلَا مِنْ إِصْلَاحِكُمْ؟! فَهَؤُلَاءِ قَوْمٌ فَاسِدُونَ لَا خَيْرَ فِيهِمْ.
 فَكَانَتِ النَّتِيجَةُ أَنْ نَجَّى اللَّهُ الْمُصَلِحِينَ، وَأَهْلَكَ الْفَاسِقِينَ، وَالسَّاكِتِينَ
 الرَّاظِينَ بِالْمُنْكَرِ.

فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ
 وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا
 نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾.

وفي أواخر القرن التاسع عشر- الميلاادي، صنع الإنكليز باخرة
 عظيمة كانت - كما يقولون- فخر صناعاتهم، ثم انطلقت في رحلة
 ترفيهية، على متنها عليّة القوم ونخبة المجتمع - كما يصفون أنفسهم-
 وقد بلغ الفخر والاعتزاز ببناء السفينة درجة كبيرة من الكبر
 والغرور، فسموها (الباخرة التي لا تقهر) المسماة «تايتنك» بل سُمع
 أحد أفراد طاقمها يتشدد فخراً أمام بعض كبار ركابها بما ترجمته:
 (حتى الله نفسه لا يستطيع أن يغرق هذا المركب) جل الله وتعالى

وتقدّس أن يعجزه شيء في السموات أو في الأرض، وفي اليوم الثالث من سيرها في المحيط الأطلسي، وفي خضم كبرياء صناعتها وركابها، شاء الله تعالى أن تصطدم بجبل جليدي عائم، فيفتح فيها فجوة بطول (٩٠) مترا، وبعد ساعتين وربع تستقر الباخرة -التي زعموا أنها لا تقهر- تستقر في قعر المحيط، ومعها (١٥٠٤) ركاب) ألف وخمسة وأربعة ركاب، وحمولة بلغت (٤٦) ألف طن، فلا إله إلا الله، ما أهون الخلق على الله تعالى إذا عصوه، فالله الله إخواني، إياكم والمعاصي، فإنها تذر الديار خرابا، والعزيز ذليلا، سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا، ولن تجد لسنة الله تحويلاً.

عباد الله: البحر يُدِّكُّرنا بحديث رواه أبو داود عن رسول الله عندما قالت عائشة رضي الله عنها للرسول صلى الله عليه وسلم - عن صفة؟ قالت له : حسبك من صفة كذا وكذا تعني أنها قصيرة فقال صلى الله عليه وسلم : «لقد قلت كلمة لو مزجت بماء البحر لمزجته» (صحيح الجامع ٥١٤٠).

أي لو اختلطت بماء البحر لأنتن البحر كله، والبحر لا ينتن لأن أملاحه كثيرة، ولكن هذه الكلمة - إنها قصيرة وهي تُرى قصيرة -

البحر (٢)

الحمد لله لم يزل عليّ، الحمد لله هل تعلم له سمياً، قطرةً من بحر
جوده تملأ الأرض رياً، نظرةً من عين رضاه تجعل الكافر ولياً، الجنة
لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً و النار لمن عصاه ولو شريفاً قرشياً،
أنزل على نبيه ومصطفاه قولاً بهياً ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ

تَقِيّاً ﴿٦٣﴾ (مريم : ٦٣)

وكم لله من لطفٍ خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم أملٌ تساق به صباحاً فتأتيك المسرةُ بالعشي—
وكم يُسر— أتى من بعد عُسر— ففرّج كربة القلب الشجي
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فلذ بالواحد الفرد العلي
ونصلي ونسلم على محمد المصطفى والرسول المجتبي وعلى آله
وصحبه ومن اقتفى

عباد الله: اتقوا الله حق التقوى وراقبوه في السر والعلن.

ما زلنا وإياكم في ظلال المخلوق العجيب البحر

البحر في الكتاب والسنة.

عباد الله: إن البحر يحوي نعمًا كثيرة منها:

أولها نعمة تسيير الفلك فيه:

قال تعالى: ﴿الْمَرْتَرَانُ اللَّهُ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ

بِأَمْرِهِ﴾ (الحج: ٦٥)، وقال تعالى: ﴿وَتَرَى الْفُلْكَ فِيهِ مَوَازِرَ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ

وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) ﴿فَاطِرُ: ١٢﴾ ﴿رَبُّكُمْ الَّذِي يُزْجِي لَكُمْ الْفُلْكَ

فِي الْبَحْرِ لَتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (٦٦) ﴿الْإِسْرَاءُ: ٦٦﴾

عباد الله:

انظروا وتأملوا إلى تلك السفن التي تُبحر في ظهر هذا المخلوق

العجيب من يُسيّرهما من يقودها؟ إنه الله جل وعلا القائل: ﴿وَمِنْ

آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَمِ﴾ (٣٢) ﴿إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَنَ رَوَاكِدَ عَلَى

ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (٣٣) ﴿أَوْ يُوقِعَهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ

كَثِيرٍ﴾ (٣٤) ﴿الشورى: ٣٤-٣٢﴾.

لكن يا سبحان الله إذا حلت بنا مصيبة في البحر لجأنا إلى الله،

دعونا الله لكن إذا فرج الله عنا نسيناه وعصيناه.

قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا

بَجَّكُمُ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ (الإسراء : ٦٧)

دعوه في البحر أن يُنجي سفينتنا لما وصلنا إلى الشاطئ نسيناه
كـب الجو في أمنٍ وفي دَعَاٍ سـاـسـقـطـنا لأن الحافظ الله

قال رجل لأحد الصالحين: أخبرني عن الله؟ فقال ألم تتركب

البحر؟ قال: بلى؟ قال: هل حدث لك مرة أن حلت بكم عاصفة؟

قال: نعم؟ قال: وانقطعت الحيل عن الملاحين ووسائل النجاة. قال

نعم؟ قال: فهل خطر ببالك وظهر في نفسك أن هناك من يستطيع أن

ينجيك إن شاء؟ قال: نعم: قال: فذاك هو الله لا إله إلا هو وسع كل

شيء علماً.

ثاني نعم البحر- نعمة استخراج اللحم الطري:

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِنَآكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا

طَرِيًّا﴾ (النحل: ١٤)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا﴾

(فاطر: ١٢).

هذه نعمة عظيمة من الله؛ حيث جعل البحر مستودعاً لا ينضب لمادة غذائية، يتناولونها من البحر دون أن يخسروا مالا وجهداً في تربيتها، ومن رحمة الله إباحتها حية وميتة في الحِل والإِحرام.

ثالثها نعمة استخراج الحلي:

قال تعالى: ﴿وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ (فاطر: ١٢)، وقال تعالى:

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ (الرحمن: ٢٢)

هذه نعمة أخرى مما في البحر، وهي نعمة استخراج الحلي التي يخلقها الله في البحر من اللآلئ والجواهر النفيسة، فسبحان المنعم الكريم.

رابع النعم - نعمة عدم اختلاط المالح والحلو:

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ

أَجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ (الفرقان : ٥٣)، وقال تعالى :

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلَا كُفْرِهِمْ لَا يَعْلَمُونَ

﴿٦١﴾ (النمل : ٦١)، وقال تعالى : ﴿ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا

يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ (الرحمن : ٢١).

هذه نعمة عظيمة من الله على خلقه إذ بدونها لا تصلح الحياة للكائنات، فهذا الحاجز حتى لا يختلط الماءان فيفسد كل منهما الآخر، والماء الحلو هو ماء الأنهار والعيون وهو العذب الفرات، وقد فرقه الله بين خلقه لاحتياجهم إليه أنهارًا وعيونًا بحسب حاجتهم وكفايتهم لأنفسهم وأراضيهم ودوابهم.

وأما الماء المالح الأجاج فهو البحار المعروفة ولا تستساغ للشرب، وملوحتها نعمة من الله، فلو كانت حلوة لفسد الهواء وأنتن وماتت جميع الحيوانات في البر والبحر فلما كان ماؤها مالحًا كان الهواء دائمًا نقيًا وكانت ميتها طيبة.

فسبحان من جعل بين البحرين حاجزاً لا يبغيان. القائل: ﴿أَمَّنْ
 جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ
 الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ إِنَّهُ مَعَ اللَّهِ بِلَّ أَكْثَرُ هُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (النمل : ٦١)

ولذلك يجب على العباد شكر الله وتوحيده وعبادته، وإن كان أكثر
 الناس يعبدون غيره ويصرفون شكرهم لغير المنعم.

البحر يذكرنا بذكر الله وتعظيم الله سبحانه، ففي صحيح البخاري من
 حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ، أنه قال: «من قال: سبحان الله
 وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهُ وإن، كانت مثل زبد البحر».

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنه - قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ -
 يَقُولُ: « مَنْ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَلَا حَوْلَ
 وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ كُفِّرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » (صحيح الجامع)

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - : « مَنْ سَبَّحَ اللَّهَ فِي
 دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَحَمِدَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، وَكَبَّرَ اللَّهَ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ ، فَتَلِكَ
 تِسْعَةً وَتِسْعُونَ ، وَقَالَ تَمَامَ الْمِائَةِ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ
 وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » [مسلم: (١)
 (٤١٨) (٥) كتاب المساجد ومواضع الصلاة (٢٦) باب استحباب الذكر بعد الصلاة - رقم (١٤٦)].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم - قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، غَفَرَ اللَّهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» [صحيح النسائي وابن حبان، السلسلة الصحيحة: ٣٤١٤].

ألا ما أسهل هذه العبادة على اللسان وأعظمها في الميزان فاذكروا الله يذكركم واشكروا يزدكم.

ويذكرنا البحر بذلكم الرجل الذي قص لنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - خبره، عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : «أنه ذكر رجلا من بني إسرائيل، سأل بعض بني إسرائيل أن يسلفه ألف دينار، فقال: اتني بالشهداء أشهدهم، فقال: كفى بالله شهيدا، قال فأتني بالكفيل، قال: كفى بالله كفيلا، قال: صدقت، فدفعها إليه إلى أجل مسمى، فخرج في البحر ففقد حاجته، ثم ألتمس مركبا يركبها يقدم عليه للأجل الذي أجله، لم يجد مركبا، فأخذ خشبة فنقرها، فأدخل فيها ألف دينار وصحيفة منه إلى صاحبه، ثم زجج موضعها،

ثم أتى بها إلى البحر، فقال : اللهم إنك تعلم أني كنت تسلّفت فلانا ألف دينار، فسألني كفيلا فقلت : كفى بالله كفيلا، فرضي بك، وسألني شهيدا فقلت : كفى بالله شهيدا، فرضي بك، وإني جهدت أن أجد مركبا أبعث إليه الذي له فلم أقدر، وإني أستودعكها، فرمى بها في البحر حتى ولجت فيه، ثم انصرف، وهو في ذلك يلتمس مركبا يخرج إلى بلده، فخرج الرجل الذي أسلفه، ينظر لعل مركبا قد جاء بهاله، فإذا الخشبة التي فيها المال، فأخذها لأهله حطبا، فلما نشرها وجد المال والصحيفة، ثم قدم الذي كان أسلفه، فأتى بالألف دينار، فقال : والله ما زلت جاهداً في طلب مركب لاتيک بهالك، فما وجدت مركباً قبل الذي أتيت فيه، قال : هل كنت بعثت إلي بشيء؟ قال : أخبرك أني لم أجد مركباً قبل الذي جئت فيه، قال : فإن الله قد أدى عنك الذي بعثت في الخشبة، فانصرف بالألف دينار راشداً» (رواه البخاري).

ما أعظمها من قصة جمعت بين الإحسان، وحسن الأداء، والأمانة والرضا بالله شهيداً وكفيلاً.

﴿فَأَقْصِبْ أَلْقَصَبَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (١٧٦) (الأعراف : ١٧٦)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على
الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى إله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

وأختتم لقائي معكم بقصة وقعت في بطن البحر يقول صاحبها:

«أبدأ قصتي... بالحمد لله ﷺ الذي وسعت رحمته كل شيء...
والذي سبق حلمه غضبه... وأنعم علينا بأبواب رحمته وغفرانه...
الذي يرى ذنوبنا فيسترها... ويسمع عصياننا فيمهلنا... ويسر لنا
النواب لتوقظنا من غفلتنا... لا نحصي- ثناء عليه... بديع
السموات والأرض لا إله إلا هو سبحانه... أحسن الخالقين..

إخواني وأخواتي في الله... أنا شاب كان يظن بأن الحياة... مالا
 وفير... وفراش وثير... ومركب وطيء... وغير ذلك كثير...
 وهأنا أسرد قصتي لعلها توقظ غافل قبل فوات الأوان...
 كان يوم الجمعة... وكالعادة لهو ولعب مع الأصدقاء على الشاطئ.
 .. ولكن من هم الأصدقاء... هم مجموعة من القلوب الغافلة...
 وقلوب فيها من الظلام ما يطفى نور الشمس... وسمعت المنادي
 ينادي... حي على الصلاة... حي على الفلاح... وأقسم بالله
 العظيم أني سمعت الأذان طوال حياتي... ولكني لم أفقه يوما معنى
 كلمة فلاح... وكأنها كانت تقال بلغة لا أفهمها مع ان عربي ولغتي
 عربية... ولكنها الغفلة... وكنا أثناء الأذان نجهز أنا ورفاقي عدة
 الغوص وأنابيب الهواء... استعداداً لرحلة جميلة تحت الماء... وأنا
 أرتب في عقلي برنامج باقي اليوم الذي لا يخلو لحظة من المعاصي
 والعياذ بالله...

وها نحن في بطن البحر... سبحان الخلاق فيما خلق وأبدع...
 كل شيء على ما يرام... وبدأت رحلتي الجميلة... ولكن...

حصل ما لم أتوقع... عندما تمزقت القطعة المطاطية التي يطبق عليها الغواص بأسنانه وشفتيه لتحول دون دخول الماء إلى الفم ولتمده بالهواء من الأنبوب... وتمزقت أثناء دخول الهواء إلى رئتي.. وفجأة أغلقت قطرات الماء المالح المجرى التنفسي... وبدأت أموت...

بدأت رئتي تستغيث وتتفرض... تريد هواء... الهواء الذي طالما دخل جوفي وخرج بدون أن أفهم أنه أحد أجمل نعم الله علي... وبدأت أدرك خطورة الموقف الذي لا أحسد عليه... بدأت أشهق وأغص بالماء المالح... وبدأ شريط حياتي بالمرور أمام عيني...

ومع أول شهقة... عرفت كم الإنسان ضعيف... وأني عاجز عن مواجهة قطرات مالحة سلطها الله علي ليريني أنه هو الجبار المتكبر... وأنه لا ملجأ منه إلا إليه... ولم أحاول الخروج من الماء لأنني كنت على عمق كبير...

ومع ثاني شهقة... تذكرت صلاة الجمعة التي ضيعتها... تذكرت حي على الفلاح... ولا تستغربوا إن قلت لكم أنني في لحظتها فقط

فهمت معنى كلمة فلاح... ولكن للأسف بعد فوات الأوان... كم
ندمت على كل سجدة ضيعتها... وكم تحسرت على كل لحظة قضيتها في
معصية الله..

ومع ثالث شهقة... تذكرت أمي... وهالني الحزن الذي يمزق
قلب أمي وأنا أتخيلها تبكي موت وحيدها وحبيبها... وكيف سيكون
حالتها بعدي...

ومع رابع شهقة... تذكرت ذنوبي وزلاتي ويا لكثرةها...
تذكرت تكبري وغروري... وبدأت أحاول النجاة والظفر بأخر
ثانية بقيت لي... فلقد سمعت فيما سبق أنه من ختم له بأشهد أن لا
إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله دخل الجنة...

فبدأت أحاول نطق الشهادتين... فما أن قلت أشهد... حتى
غص حلقي وكأن يد خفية كانت تطبق على حلقي لتمنعي من
نطقها... فعدت أحاول وأجاهد... أشه... أشه... وبدأ قلبي
يصرخ ربي ارجعون... ربي ارجعون... ساعة... دقيقة... لحظة...
ولكن هيهات...

بدأت أفقد الشعور بكل شيء... وأحاطت بي ظلمة غريبة...
وفقدت الوعي وأنا أعرف خاتمتي... ووأسفاه على خاتمة كهذه
والعياذ بالله...

إلى هنا القصة تبدو حزينة جداً... ولكن رحمة ربي وسعت كل
شيء...

فجأة بدأ الهواء يتسرب إلى صدري مرة أخرى... وانقشعت
الظلمة... وفتحت عيناى لأجد مدرب الغوص يمسك بي مُثبِتاً
خرطوم الهواء في فمي... محاولاً إنعاشي ونحن مازلنا في بطن
البحر..

ورأيت ابتسامة على محياه... فهمت منها أنني بخير... ونطق
قلبي ولساني وكل خلية في جسدي وقبلهم روعي...

أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمد رسول الله... الحمد لله.
الحمد لله... الحمد لله... وفجأة بدأ قلبي يحدثني قائلاً: لقد
رحمك ربك بدعاء أمك لك... فاتعظ...

خرجت من الماء إخواني وأخواتي... شخص آخر... وأنا فعلاً
أعني كلمة أخرى... صارت نظرتي للحياة شيئاً آخر... وها أنا
والحمد لله الآن شاب كل ما يرجوه من الواحد القهار... أن يختم له
بأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله لحظة الغرغرة التي
أعرفها جيداً...

ثم يقول: عدت وحدي بعد تلك الحادثة بفترة إلى نفس المكان في
بطن البحر وسجدت لله تعالى سجدة شكر وخضوع وولاء وامتنان.
.. في مكان لا أظن أن إنسياً قبلي قد سجد فيه لله تعالى... عسى أن
يشهد علي هذا المكان يوم القيامة فيرحمني الله بسجدي في بطن البحر
ويدخلني جنته اللهم أمين...

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في
كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم...



البحر (٣)

الحمد لله المجيب لكل سائل، التائب على العباد فليس بينه وبين
العباد حائل.

جعل ما على الأرض زينة لها، وكل نعيمٍ لا محالة زائل.

حذّر الناس من الشيطان وللشيطان منافذ وحبائل.

فمن أسلم وجهه لله فذاك الكيس العاقل، ومن استسلم لهواه
فذاك الضال الغافل.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تنزهه عن الشريك وعن
الشبيه وعن المشاكل.

من للعباد غيره؟ ومن يدبر الأمر؟ ومن يعدل المائل؟ من يشفي
المريض؟ من يرعى الجنين
في بطن الحوامل؟

من يجيب المضطر إذا دعاه؟ ومن استعصت على قدرته المسائل؟

من لنا إذا انقضى الشباب وتقطعت بنا الأسباب والوسائل؟

لَبِسْتُ ثَوْبَ الرَّجَا وَالنَّاسُ قَدْ رَقَدُوا
 وَقُلْتُ: يَا عُدَّتِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
 أَشْكُو إِلَيْكَ أُمُورًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
 وَقَدْ مَدَدْتُ يَدِي بِالضَّرِّ - مُبْتَهَلًا
 فَلَا تَرُدَّنَّهَا يَا رَبَّ! خَائِبَةٌ
 وَقُمْتُ أَشْكُو إِلَى مَوْلَايَ مَا أَجْدُ!
 وَمَنْ عَلَيْهِ لِكَشْفِ الضَّرِّ - أَعْتَمِدُ!
 مَا لِي عَلَى جَهْلَهَا صَبْرٌ وَلَا جَلْدُ!
 إِلَيْكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَدَّتْ إِلَيْهِ يَدُ!
 فَبَحْرُ جُودِكَ يَرُوي كُلَّ مَنْ يَرِدُ!

ونصلي ونسلم على سيدنا محمد ﷺ

أما بعد:

أيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى حَقَّ التَّقْوَى، وَالزَّمُوا التَّقْوَى حَتَّى
 يَأْتِيَكُمُ الْمَوْتُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿١٠٢﴾ (آل عمران : ١٠٢)

ما زلنا وإياكم مع المخلوق العجيب البحر في الكتاب والسنة،
 وهذا هو اللقاء الثالث والأخير.

البحر فيه أسرار كثيرة، وعجائب غريبة، وثروات دفيئة ومخلوقات
عجيبة يبهر الإنسان بجماله، ويحار العقل بسعته وامتداده؛ فهو آية من
آيات الله العظمى وخلقاً من مخلوقاته الكبرى، ونعمة من نعمه الكثيرة
التي لا تُعد ولا تحصى يقول الله ﷻ: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لِتَجْرِيَ الْفُلُكُ

فِيهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ (الجمانية : ١٢)

البحر جندي من جنود الله، لا يعصي- خالقه طرفة عين. قال تعالى:

﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾﴾ (الفتح : ٤)

ولعظيم قدر البحر ومنافعه ومخاطرة، ذكره الله تعالى في كتابه، مفرداً
ومثنىً وجمعاً فكلمة (البحر) ذكرت ٣٣ مرة. كلمة (البحران) ذكرت
مرة واحدة. كلمة (البحرين) ذكرت (٤) مرات. كلمة (البحار) ذكرت
مرتان. كلمة (أبحر) ذكرت مرة واحدة.

إن العلماء يذكرون أن البحر أربعة أخماس اليابسة وأن فيه ما يزيد عن
مليون نوع من أنواع السمك سمك صغير وسمك كبير وسمك متوسط
وسمك متوحش وسمك وديع وسمك مهاجر يقطع المسافات الهائلة
ويسافر من المحيط إلى المحيط، وأسماك على أشكال مختلفة وألوان متعددة

فسمك على شكل إناء، وسمك على شكل نجم، وأسماك على أشكال وألوان لا يعلمها إلا الله.

ومن طحالبه يُستخرج الدواء وتصنع الأدوية وهو مصدر الغيوم والأمطار وملطف للبيئة صيفاً وشتاءً، وفيه منافع عظيمة بعضها نعلمها وبعضها لا نعلمها وصدق الله ﷻ إذ يقول: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا

يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَدْرُسُهَا

وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾ (الأنعام :

٥٩)

ويقول ﷻ: ﴿أَمْ يَهْدِيكُمْ فِي ظِلْمَتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ

بَشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ۗ أَلَمْ يَعْزِزْهُمُ اللَّهُ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

(النمل: ٦٣)

وقد اكتشف في العصر الحديث أن السمك حين يُصطاد ينتقل دمه مباشرة إلى غلاصمه فيصير كأنه قد ذُبح وذُكي ذكاة شرعية وصدق النبي - ﷺ -؛ إذ يقول عندما سُئل عن البحر «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، الْحِلُّ مَيْتَتُهُ» (رواه البخاري برقم ٦٩ من حديث أبي هريرة).

وفي البحر أحواتٌ عظيمةٌ جداً كالحوت الأزرق الذي يزن مائة وخمسين طناً ويستخرج منه خمسين طناً لحماً، وخمسين طناً دهناً، وخمسين طناً عظماً، ولو دخل الإنسان في فمه لاستطاع أن يقف داخله على قدميه.

يقول الله تبارك وتعالى عن يونس عليه السلام: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ

﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾

فَالنَّقَمَةُ الْخُوتُ وَهُوَ مَلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي

بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ (الصفات : ١٣٩ - ١٤٤).

عباد الله:

مثلاً جعل الله البحر مريحاً للنفس والنظر ومصدراً للرزق والكسب والعيش الأغر وطريقاً آمناً للتنقل والسفر فإن يكون أحياناً هائجاً ثائراً ومصدراً من مصادر القلق والخطر.

تتلاطم أمواجه وتنبعث بأمر الله عواصفه وأهواله وتتحرك رياحه وتضطرب أحواله وتتغير ألوانه وتشتد ظلماته حتى يعرف

الناس أنه لا ملجأ لهم من الله إلا إليه ولا منقذ لهم ولا مخلص إلا هو
 ﷻ .

يقول الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ
 فِي الْفُلِكِ وَجَرِينَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
 الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِن
 أَجَبْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ (يونس : ٢٢)

إنه موقف رهيب يبعث في النفس الرهبة والخوف من الله ويذكر
 الإنسان بعظمة الله حينما تتلاطم الأمواج بالإنسان ويرى الموت
 والهلاك بأم عينه فهنا يخفق القلب ويتجمد العقل، وترتعد الفرائص،
 وتشتد الأطراف من هول الموقف وشدة المنظر يقول الله ﷻ : ﴿وَهِيَ
 تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ (هود : ٤٢) يقول النبي - ﷺ - في
 الحديث الصحيح : «ومن ركب البحر عند ارتجائه فمات؛ فقد برئت

منه الذمة» (السلسلة الصحية (٨٢٨)).

عباد الله:

إن البحر جندي من جنود الله إذا أمره الله أن يثور فإن ثورانه عظيم وغليانه شديد وتحركاته الداخلية رهيبة جداً لا يقدر على ردها أحد، ولن يستطيع الوقوف أمام مدها أي شيء.

وفي زماننا هذا أرسل الله جنوده من البحر فوقعت آياتٌ عظيمة لا تُنسى وأحداث عظام سمع بها الجميع؛ ففي الفلبين وقع إعصار "هايان" عام (٢٠١٣) الذي ثار من البحر وضرب اليابسة ورافقه رياح عاتية فاقت سرعتها ثلاثمائة كيلومتر في الساعة الواحدة، وأمواج بلغ ارتفاعها أكثر من خمسة أمتار والحصيلة: مصرع أكثر من عشرة آلاف شخص وشرّد أكثر من نصف مليون نسمة فصاروا دون مأوى وفقد حوالي ثلاثة ملايين شخص مصدر

عيشهم إما بصورة نهائية أو مؤقتة: ﴿قَالَ سَأُوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي

مِنَ الْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ۗ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ

فَكَانَ مِنَ الْمَغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ (هود: ٤٣)

وعندما تبطّر الناس على ربهم، وعصوا أمره، وتمردوا على أوامره، ففضوا أوقاتاً عبر شواطئ البحار والأنهار، في مناظر سخف وفجور، ومظاهر عُري وفحش، متحدين ربهم وخالقهم، أرسل الله جنديه عبر ما يسمى (تسونامي) التسونامي وما أدراك ما "التسونامي" (٢٠٠٤م) في المحيط الهندي إنه الحدث الجلل الأمر الباهر العجيب الذي أهلك الحرث والنسل، جرف البشر والشجر والحجر.

سلوا المحيط الهندي ماذا دهاه؟! لقد زجر وأرعد، قذف بأواجه فأهلك ما عدّ في هذا اليوم بمائة وخمسة وعشرين ألفاً، والمصابون كثر لا يعلمهم إلا الله، وكل يوم يزيد قتلاه. إنها أمواج كالجبال، لم يكن هناك أحد عنها بمعزل، لقد آوي قوم وتسلقوا إلى الأشجار وآخرون صعدوا المنازل، لكنه هيهات لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم. ولقد حال الموج بين الزوج وزوجته والأب وأولاده فكانوا من المهلكين. الله أكبر، ما أهون الخلق على الله إن هم عصوه.

يا قوم، سلوا أندونيسيا، بل سلوا تايلند وجزر المالديف
وسيريلنكا والهند وغيرها، سلوا شواطئ هذه الدول عمن كانوا
عليها يقترفون المهلكات، يجيبونكم: إنهم في بطن البحر، فلا عاصم
اليوم من أمر الله إلا من رحم.

جثث ملقاة في الشوارع، وموتي في المنازل، والبحر قد اتهم بشرًا.
كُثرا وأسرًا لا يحصون، ولا زال البحر بين مدٍ وجزرٍ، والزلازل
أمرها عظيم ولم يرَ البشر منذ قرن قوة للزلازل مثل هذه.

ويا سبحان الله، زلزال وفيضان في آن، وفيها قال أمين الأمم
المتحدة: إنها كارثة لم يشهد الكون لها مثيلاً.

ماذا فعلوا؟ وماذا جنوا؟ خبروني أيها البشر. إن الله لم يهلك أمة إلا

بعد عصيانها، ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا

مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ (هود: ١١٧)

دولة أمريكا عندما طغت وبغت، وقتلت وشردت، واعتدت على

بلاد المسلمين الآمنين في أوطانهم، أذاقها الله لباس الخوف بما كانوا

يصنعون، فهاج عليهم البحر غيظاً، وتلاطمت أمواجه غضباً، فأغرق بعض ولايات أمريكا، ولا ننسى ما حصل في (نيو أورليانز) عام ٢٠١٩) عندما سلط الله عليهم البحر، فأغرق من أغرق، وأفقد من أفقد، جزاء بما صنعوا، أغرقتهم الفيضانات، وشردهم الأمواج العاتية، والمياه الهائجة، فخسرت دولة الكفر مليارات الدولارات، والجزء من جنس العمل.

نعوذ بالله من غضبه، نعوذ بالله من سخطه، نعوذ بالله من عذابه، نعوذ بالله من عقابه، ونسأل الله رحمته ومغفرته وعفوه وكرمه، فهو أهل التقوى وأهل المغفرة.

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون

نستغفر الله، نستغفر الله، نستغفر الله، ونتوب إليه.

البحر يُذكرنا بالصحابة الجليّة - أم حرام بنت ملحان (رضي الله عنها)

وهي حالة النبي - ﷺ - من الرضاعة:

يذهب النبي - ﷺ - إليها يوماً فأطعمته، ثم جلست تفلي رأسه، فنام رسول الله ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي، عرضوا علي غزاة في سبيل الله، يركبون ثبج البحر، ملوكاً على الأسرة، أو مثل الملوك على الأسرة» - يشك الراوي [مسلم: (٣/ ١٥١٨ - ١٥١٩) (٣٣) كتاب الإمارة (٤٩) باب فضل الغزو في البحر - رقم (١٦٠)].

يضحك النبي - ﷺ - من ذلك لأنه رأى البشري، رأى تلامذته وأتباعه وكتيبته، سيركبون البحار والمحيطات؛ غزاة في سبيل الله، ينشرون لا إله إلا الله في الآفاق، ويعبرون بها حدود الزمان والمكان. يضحك لأن الإسلام سوف ينتشر - ويظهر، وينفذ إلى القفار والصحاري، ويصل إلى عباد البقر والشجر والنار والصنم.

فقالت المرأة: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام، ثم استيقظ وهو يضحك قالت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: «ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله»، كما

قال في الأُولَى قالت: يا رسول الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين».

نَهَضَ أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: لقد جاء في السنة عن النبي ﷺ فضل الجهاد البحري على غيره من أنواع الجهاد بالحديث المروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «... غزوة في البحر خير من عشر غزوات في البر ومن أجاز البحر فكأنما أجاز الأودية كلها. . .» (رواه الطبراني عن يحيى بن سعيد الأنصاري وصححه الألباني).

والمجاهد الذي يجاهد ويقارع أعداء الله تعالى في البحر فيغرق فله أجر شهيدين لا ينقص من أجرهم ومقامهم شيء وهذا ما عبر عنه رسولنا الكريم - صلى الله عليه وسلم - في الحديث المروي عن أم حرام - رضي الله عنها -، أن رسول الله ﷺ قال: «المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغرق له أجر شهيدين» (رواه أبو داود وقال عنه الشيخ ناصر الدين الألباني حديث حسن في مشكاة المصابيح برقم ٣٨٣٩. وفي صحيح الترغيب والترهيب برقم ١٣٤٣)

فركبت أم حرام بن ملحان البحر في زمن معاوية - رضي الله عنه -، فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر، فهلكت.

كنا جبلاً في الجبال وربما صرنا على موج البحار بحارا
 بمعابد الإفرنج كان أذاننا قبل الكتائب يفتح الأمصارا
 لن تنس إفريقيا ولا صحراؤها سجداتنا والأرض تقذف ناراً
 ماتت هذه المرأة الصالحة، وهي تجاهد في سبيل الله، فكانت
 شهيدة، ودُفنت هناك في أرض غريبة.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات
 والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على
 الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
 عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: عباد الله:

تعلمت من البحر: أن أحفظ كل ثمين وغال في أعماقي وأن أطرده
 منها كل غثٍ ورخيص، فالبحر يحفظ بأقصى- قاعة الدرر النفيسة،

ويطرد إلى شاطئه كل الأشياء القبيحة، وصدق الإمام الشافعي حيث قال:

أما ترى البحر تعلو فوقه جيفٌ وتستقر بأقصى- قاعه الدرر.
تعلمت من البحر: قيمة الكتمان، فهو الذي لا يفشى أسراره إلا لمن يصونها ويعرف قيمتها، ويبذل قصار الجهد في الوصول إليها.

تعلمت من البحر: أن أتمسك، وأن أُللم شظايا نفسي- المبعثرة إثر ضغوط حياتية أو منايا نفسية، فالبحر الذي يدع الحجر الصغير يمر إلى قاعه غير مكترث له، يحمل على متنه سفناً وبواخر تناظر الجبال حجماً ووزناً، ذلك أن جزيئات سطحه تتهاك معاً فتحمل في هدوء تلك المدن المتحركة والثابتة على سطحه.

تعلمت من البحر: أن لا أنظر إلى ما فات، فكم تلك الموجات التي كسرها شاطئه، لكن الموج مستمر، والبحر لم يتخلّ عن سماته.

تعلمت من البحر: قيمة التعايش ومعنى التأثير والتأثر بمجريات الحياة، لأقول لمن حولي أنا موجود، أوثر وأتأثر، وأقول وأسمع.

تعلمت من البحر: الهدوء الذي تصحبه الهيبة، فلا جرّاً هدوء الموج
وسكون السطح أحداً على الخوض فيه بلا اكتراث أو حساب،
فالبحر مُهاب وإن تلاعب بعض الأطفال في بعض مائه.

تعلمت من البحر: أن أقبل الآخر مهما كان لونه أو جنسه أو دينه،
فالبحر يفتح صدره للجميع بلا تفریق ولا تمييز، ويمنح السعادة
لكل من قصده.

البحر يذكرنا بالحديث القدسي الذي يقول فيه النبي المصطفى -
ﷺ - في الحديث القدسي قال الله تعالى: «يا عبادي! لو أن أولكم
وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما
زاد ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم
وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في
ملكی شيئاً، يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا
في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل واحد مسألته ما نقص ذلك مما
عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر» [رواه مسلم

(١٦ / ١٣٣، ١٣٢) البر والصلة : تحريم الظلم ، ورواه الترمذي (٩ / ٣٠٥، ٣٠٤)
أبواب صفة القيامة وقال الترمذي : هذا حديث حسن واللفظ لمسلم].

ماذا ينقص لو أدخلنا هذا القلم في البحر؟ لا ينقص من ملك الله شيء، فلذلك ادعُ الله، واطلب من الله، واعبد الله وحده وستجد الخير العظيم في الدنيا والآخرة.

إذا أدرك المؤمن هذا.. يدرك أنه لا عز إلا بتدليل لعظمته، ولا فوز إلا في طاعته، ولا غنى إلا في الافتقار لرحمته، ولا نعيم إلا في قربه، ولا صلاح ولا فلاح إلا في الإخلاص له مع توحيده وحبه جل وعلا.

أرأيت هذه الإبرة عندما تدخلها في البحر، ماذا تأخذ من البحر؟ لا شيء، وكذلك ملك الله لا ينقصه شيء، وخزائن الله مלאى، ولذلك أقل أهل الجنة يتمنى ويتمنى ويتمنى: « فيقال: له أترضى أن يكون لك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت رب » [رواه مسلم رقم (١٨٩) في الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها والترمذي رقم (٣١٩٦) في التفسير، باب ومن سورة السجدة]، هذا أقلهم مُلكاً في الجنة، أما أعلاهم فالله أعلم

بملكه، ويبقى في الجنة فضل لا يسكنه أحد، فيخلق الله تبارك وتعالى له خلقاً إن ملك الله واسع، وخزائن الله ملاءى، لا تنقص ولا تقل، فلو سأل العباد ربهم فأعطى كل إنسان سؤله لظل ملك الله كما هو لم ينقص منه شيئاً.

أيها المؤمنون! جاءت السنة تحدث عن هذا الخضر- كما في البخاري وغيره من حديث ابن عباس رضوان الله تعالى عليهما، وأصل الأمر أن موسى عليه السلام وقف خطيباً في بني إسرائيل يعظهم ويذكرهم، فلما رقت القلوب، وذرفت العيون، وخرج عنهم تبعه رجل من بني إسرائيل فقال: أي نبي الله! هل أحد في الأرض أعلم منك؟ فسي- موسى أن يرد العلم إلى الله فقال: لا، فأوحى الله جل وعلا إليه: أن لي عبداً هو أعلم منك، قال: أي رب كيف لي به؟ فأمره الله أن يأخذ حوتاً في مكمل فحيثما فقد الحوت فثم هو، فتوجه صوب ما أمره الله جل وعلا حتى بلغ مجمع البحرين، فلقبه: ﴿قَالَ لَهُ﴾

مُوسَىٰ هَلْ أَتَبِعَكَ عَلَىٰ أَنْ تُعَلِّمَ مِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ [الكهف: ٦٦]

فاشترط عليه الخضر ألا يلجئه إلى حديث، ولا يسأله عن سبب تصرفه حتى يكون هو الذي يبتدئه بالأمر، قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن

شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿الكهف : ٦٩﴾، والمؤمنون عند شروطهم، فركبا في سفينة كانت تعبر بالناس من ساحل إلى ساحل، فلما رأى أهل السفينة الخضر- عرفوه فقالوا: هذا عبد الله الصالح فأركبوه معكم من غير نوء أي: من غير أجره، فبينما موسى والخضر- في السفينة إذا بعصفور يأتي فيقف على حافتها، ثم ينقر في البحر نقرة أو نقرتين ثم يمضي، فقال الخضر لموسى: ما علمي وعلمك من علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر من البحر، فسبحان من وسع علمه كل شيء، وعليه رزق كل حي، وإليه المصير والمنقلب، لا رب غيره، ولا إله سواه، رواها كذلك الإمام مسلم - رحمته -، وروى طرفاً منها الإمام الترمذي رحمته، وكذلك رواها ابن إسحاق من أهل السير أيضاً.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



الإسراء والمعراج دروس وعبر (١)

الحمد لله الواحد القهار. العزيز الغفار. مقدر الأمور كما يشار ويختار.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ﴾ (الرعد: ٨)

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار - صلى الله عليه وعلى آله الأطهار وصحبه الأخيار، ومن تبعهم بإحسان ما تعاقب الليل والنهار.

أما بعد فيا أيها الناس اتقوا الله تعالى. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

عباد الله:

ها هو الداعية الأول - ﷺ - في مكة، يدعو قومه إلى الله تعالى.. سنوات مأساوية، مليئة بالعواصف العاتية من التعذيب والإيذاء، والبغضاء والافتراء.. مُزَّق شمل أتباعه وأصحابه، وسامهم أهل مكة

سوء العذاب، ثم كان العام العاشر من البعثة العام الذي فقد فيه - ﷺ -
 عمه أبا طالب الذي كان ينافح عنه ويدفع عنه أذى قريش، وبعد وفاة
 أبي طالب بثلاثة أيام وفي رواية شهرين يُفجع النبي - ﷺ - بموت رفيقة
 دربه السيدة خديجة رضي الله عنها، وهي من آزرته وساندهت ووقفت بجانبه في أشد
 المواقف على مدى خمسة وعشرين عاماً.

يتلّف عليه الصلاة والسلام في مكة فلا يجد من ينصره ليلبغ
 رسالة ربه، فيخرج إلى الطائف، ويعرض دعوته على ثقيف، فيردون عليه
 بأقبح رد، وآذوه ونالوا منه ما لم ينل منه قومه، وأغروا به سفهاءهم
 يرمونه بالحجارة حتى أدميت قدماه الشريفتان - ﷺ - بأبي هو وأمي.

وينصرف - ﷺ - من الطائف محزوناً مهموماً، يمشي - ولا يشعر
 بنفسه مسافة طويلة، حتى استفاق في قرن الثعالب؛ فلجأ إلى من أرسله،
 إلى من يفرج الهم عن المهمومين ومن بيده ملكوت كل شيء، ومن يقول
 للشيء كن فيكون يناجي ربه بالدعاء المشهور: «اللهم إليك أشكو ضعف
 قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس. أنت أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين
 وأنت ربي إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري؟ إن لم يكن
 بك غضب علي فلا أبالي غير أن عافيتك أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الكريم

الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك أو ينزل علي سخطك، لك العتبي حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك» [تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٠٢].

يقول - ﷺ -: «فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ وَمَا رَدُوا عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ اللَّهُ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ. فَنَادَانِي مَلِكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ. إِنَّ شِئْتَ أَنْ أَطْبِقَ عَلَيْهِمُ الْأَخْشَبِينَ".

فَقَالَ النَّبِيُّ - ﷺ -: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». (رواه البخاري).

هكذا كان الحبيب!

بكلمة واحدة إلى ملك الجبال يستطيع أن يدمر كل شيء في مكة، ولا يُبقي فيها واحداً من المشركين، دون أن يكلفه شيئاً إلا كلمة واحدة. لكنه أبى؛ لأنه رحمة للعالمين، لأنه ذا قلبٍ ينبض بالحب لكل الناس أن يهتدوا، أو أن يخرج من أصلابهم من يعبد الله.

فإلى الذين يتصورون من عند أنفسهم أن الإسلام إنما قام وانتشر-
بالقوة والعنف والقتل وسفك الدماء والتفجير، الإسلام دين رحمة
دين سلام دين عدل. شعاره:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء : ١٠٧)

ثم يعود - ﷺ - إلى مكة، فلم يستطع دخولها إلا تحت جوار المطعم
بن عدي وهو رجل مشرك.

في ظل هذه الأجواء الكالحة، والظروف الحرجة، وبعد مضي-
ثنتي عشرة سنة من البعثة، يشاء الله، اللطيف بعباده أن يسلي عن
رسوله، ويثبته على الحق، فيمن عليه برحلة تاريخية لم ينل شرفها قبله
نبي مرسل ولا ملك مقرب.

إنها رحلة الإسراء والمعراج.

يا محمد إن كان أهل الأرض لم يعرفوا قدرك فإن أهل السماء قد
عرفوك فأنت أنت إمام المرسلين وأنت أنت حبيب رب العالمين.

أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ: إِذَا كَانَ - ﷺ - قَدْ ذَهَبَ إِلَى الطَّائِفِ مَاشِيًا، فَقَدْ حُمِلَ إِلَى بَيْتِ الْمُقَدَّسِ عَلَى الْبَرَّاقِ، الَّذِي أُتِيَ بِهِ - ﷺ - مُلْجَمًا مَسْرُجًا، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جَبْرِيْلُ: أَمْ مُحَمَّدٌ تَفْعَلُ هَذَا؟ فَمَا رَكِبَكَ أَحَدٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فَسَالَ عَرَقًا" ثُمَّ سَكَنَ لِلنَّبِيِّ - ﷺ -. (صحيح سنن الترمذي).

وَإِذَا كَانَ صَاحِبَهُ إِلَى الطَّائِفِ خَادِمَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَإِنْ صَاحِبَهُ فِي رِحْلَةِ الْإِسْرَاءِ وَالْمَعْرَاجِ كَانَ جَبْرِيْلُ ﷺ، سَيِّدَ الْمَلَائِكَةِ وَأَشْرَفَهُمْ.

وَإِذَا اسْتَقْبَلَهُ أَهْلُ الطَّائِفِ بِالسَّخْرِيَّةِ وَالْإِتْهَامِ وَالتَّكْذِيبِ، فَقَدْ اسْتَقْبَلَهُ أَنْبِيَاءُ اللَّهِ فِي السَّمَاوَاتِ الْعُلَى وَأَمَّنُوا بِهِ وَصَدَّقُوهُ: آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ - فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، وَيَحْيَى وَعِيسَى فِي السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ، وَيُوسُفُ الصَّدِيقِ فِي السَّمَاءِ الثَّلَاثَةِ، وَإِدْرِيسُ فِي السَّمَاءِ الرَّابِعَةِ، وَهَارُونَ فِي السَّمَاءِ الْخَامِسَةِ، وَمُوسَى كَلِيمَ اللَّهِ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، وَإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، كُلَّهُمْ يَقُولُ: «مَرَّحِبًا بِالْأَخِ الصَّالِحِ وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ».

وإذا ضاقت به الأرض في الطائف، فخرج منها مهموماً هائماً على وجهه، ففي الإسراء والمعراج انفتحت له أرجاء السماوات، وكان الفضاء كله له مأوى، حتى قُدِّم على أهل السماء - ﷺ -.

وهنا درسٌ عظيم أن المحن تتبعها المنح وان النصر - مع الصبر، والعاقبة دائماً وأبداً للمتقين، فكل محنة وشدة وراءها منحة وعطاء وتكريم من الله فبعد المحن والشدائد التي تعرض لها النبي - ﷺ - في مكة جاءت رحلة التكريم لتثبيت قلب النبي - ﷺ -.

إن الأمل والثقة بالله والتوكل عليه قوةٌ لا تلين، وحصنٌ لا يهدم، وجيشٌ لا يهزم، وهو سلاح المؤمن عند نوائب الدهر وتقلُّب الزمان وإن في هذه الحادثة رسالة وخطاب إلى المظلومين في الأرض، إلى المقهورين تحت سياط الجبابة والظلمة أنه مهما كان الظلام حالكاً وسواد الليل يغطي هذا الكون ومهما كان اليأس يرمي بظلاله على الأحداث.. لا بد أن يأتي الفجر ليبدد الظلمات وينشر - النور.. قال

تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ

إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (آل عمران : ١٧٣)

إنها رحلة مباركة طيبة بدأت بأقدس مكان في الأرض وانتهت بأعلى طبقات عند سدرة المنتهى.

إنها رحلة عظيمة اصطفى الله فيها رجلا واحدا من البشرية هو محمد - ﷺ -.

إنها رحلة ما شهد الزمان مثلها منذ بدأ الله الخليقة ولن يشهد مثلها بعدها.

إنها رحلة خلدها الله في كتابه الكريم فقال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (الإسراء : ١)

وقال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۚ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ﴾ (١١)

أَقْتَمَرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ۚ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۚ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۚ

عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ۚ (النجم : ١٠-١٥)

واستعداداً لتلك الرحلة المباركة وللقابلة الملك الديان ﷺ

أجريت للنبي - ﷺ - عملية قلب مفتوح حيث شق جبريل عليه السلام

صدره وغسل قلبه بهاء زمزم، ثم جاء بطست من ذهب مُلاً حكمةً وإيماناً فأفرغه في صدره، ثم أطبق صدره الشريف صلوات ربي وسلامه عليه؛ فلا إله إلا الله عملية قلب مفتوح بلا تعقيم أو غرفة عمليات أو عناية مركزة لكنها قدرة الله القادر على كل شيء، ثم جيء بالبراق أصغر من البغل وفوق الحمار أبيض يضع حافره عند منتهى بصره فسار به حتى بلغ بيت المقدس.

عباد الله: بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم ولسائر المؤمنين فاستغفروه انه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيماً لشأنه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وإخوانه، وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله:

ولقد رأى رسول الله - ﷺ - في طريقه إلى بيت المقدس آيات عظيمة، ومشاهد فيها دروس جليلة، قال تعالى: منها:

المشهد الأول: رؤية عفريت:

عن يحيى بن سعيد أنه قال: أسري برسول الله - ﷺ - فرأى عفريتاً من الجن يطلبه بشعلة من نار، كلما التفت رسول الله - ﷺ - رآه، فقال له جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن، إذا قلتهم طفئت شعلته، وخر لفيه؟ فقال رسول الله - ﷺ -: بلى، فقال جبريل فقل: أعوذ بوجه الله الكريم، وبكلمات الله التامات اللاتي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما ينزل من السماء، وشر ما يعرج فيها، وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها، ومن فتن الليل والنهار، ومن طوارق الليل والنهار، إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن. [الموطأ (٢/ ٩٥٠) ٥١ - كتاب الشعر، ٤ - باب ما يؤمر به من التعوذ. مراسلاً. وأحمد (٢/ ٤١٩) بمعناه. موصولاً بسند حسن].

فحصنوا أنفسكم عباد الله وأهليكم وبيوتكم بذكر الله.

المشهد الثاني: رؤية امرأة حاسرة عن ذراعيها:

روى البيهقي في الدلائل، وابن كثير في تفسيره عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال في حديث الإسراء: وسار رسول الله فإذا هو بعجوز على جانب الطريق، وفي رواية قال: «إذا أنا بامرأة حاسرة عن ذراعيها وعليها من كل زينة خلقها الله» فقالت يا محمد أنظرنى أسألك فلم التفت إليها ولم أقم عليها» [دلائل النبوة: ٢/ ٢٩٣، تفسير ابن كثير: ٥/ ٢٢].

فقال - صلى الله عليه وسلم -: ما هذه يا جبريل قال سر يا محمد فسار ما شاء الله أن يسير فإذا شيء يدعوه متنحياً عن الطريق يقول: هلم يا محمد فقال له جبريل سر يا محمد، فسار ما شاء الله أن يسير. قال له جبريل: أما العجوز التي رأيت على جانب الطريق فلم يبق من الدنيا إلا ما بقي من عمر تلك العجوز، وأما الذي أراد أن تميل إليه فذلك عدو الله إبليس أراد أن تميل إليه». (أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/ ٣٦٢-٣٩٠).

المشهد الثالث: ريح قبر ماشطة ابنة فرعون:

فقد روى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه بسند حسن عن ابن عباس، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «لما كانت

الليلة التي أسري بي فيها، أتت علي رائحة طيبة، فقلت: يا جبريل، ما هذه الرائحة الطيبة؟ فقال: هذه رائحة ماشطة ابنة فرعون وأولادها". قال: "قلت: وما شأنها؟ قال: بينا هي تمشط ابنة فرعون ذات يوم، إذ سقط المشط من يديها، فقالت: بسم الله. فقالت لها ابنة فرعون: أبي؟ قالت: لا، ولكن ربي ورب أبيك الله. قالت: أخبره بذلك قالت: نعم. فأخبرته فدعاها، فقال: يا فلانة، وإن لك ربا غيري؟ قالت: نعم، ربي وربك الله. فأمر بإناء كبير من نحاس فأحمي، ثم أمر بها أن تلتقى هي وأولادها فيه، قالت له: إن لي إليك حاجة. قال: وما حاجتك؟ قالت: أحب أن تجمع عظامي وعظام ولدي في ثوب واحد، وتدفننا. قال: ذلك لك علينا من الحق". قال: " فأمر بأولادها فألقوا بين يديها، واحدا واحدا، إلى أن انتهى ذلك إلى صبي لها رضيع، كأنها تقاعست من أجله، قال: يا أماه، - تكلم الرضيع انطقه الله الذي أنطق كل شيء - قال يا أماه اقتحمي، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة، فاقتممت ». إنه الثبات على التوحيد والإيمان.

المشهد الرابع:

رأى النبي عليه الصلاة والسلام وهو في طريقه إلى بيت المقدس قوماً ترضح رؤوسهم بالحجارة، كلما رضخت عادت كما كانت قال : من هؤلاء يا جبريل؟ قال : هؤلاء الذين تتناقل رؤوسهم عن الصلاة» (دلائل النبوة البيهقي (٢/ ٣٩٨).

نعصر بحباد الله: العقول والرؤوس التي كانت تحترم مواعيد البشر ولا تحترم مواعيد رب البشر تنسي موعدها مع الله ﷻ في موقف بين يدي الله في خمس صلوات مثل هذه الرؤوس لا وزن لها ولا كرامة لها عند الله وتستحق في البرزخ ويوم القيامة الرمي بالحجارة.

اللهم أعنا على الصلاة في أوقاتها.

المشهد الخامس: مشهد قوم يأكلون الضريع والزقوم:

«جاء في حديث الإسراء ثم أتى النبي - ﷺ - على قومٍ على أقبالهم رِقاع وعلى أدبارهم رِقاع يسر-حون كما تسرح الأنعام ويأكلون الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها. قال : ما هؤلاء يا جبريل

قال : هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات أموالهم وما ظلمهم الله وما الله
بظلام للعبيد « (دلائل النبوة للبيهقي (٢/٣٩٨) .

عباد الله: وأي درك حيواني يبلغه الغني المسلم عندما يفتقد
مشاعر الأخوة مشاعر الرحمة والرأفة بالضعيف الفقير فيخل ويكتنز
المال ولا ينفق منه في سبيل الله، ومثل هذا يستحق أن يحشر- يوم
القيامة على صورة الحيوان.

المشهد السادس والأخير:

قال الراوي: ثم أتى النبي - ﷺ - على جحرٍ صغيرٍ يخرج منه ثورٌ
عظيم، فجعل الثور يريد أن يرجع من حيث خرج فلا يستطيع،
فقال: « ما هذا يا جبريل ؟ »، قال : هذا الرجل يتكلم بالكلمة
العظيمة، ثم يندم عليها فلا يستطيع أن يردّها».

لا إله إلا الله: إنها الكلمة يا عباد الله ما أطيبها، وما أحلاها، وما
أبركها إن كانت طيبة. نعم فهناك كلمات تبني وكلمات تهدم، بعض
الكلمات نور وبعضها قبور، كلمة ترفعك إلى أعلى عليين، وكلمة
تنزلك إلى أسفل سافلين.

قال - ﷺ -: «إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها في جهنم» [البخاري: كتاب الأدب (٦١١٣)] وفي رواية: «يهوي بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (ابن ماجه والترمذي).

عباد الله: بعد هذه المشاهد العجيبه وصل النبي - ﷺ - إلى المسجد الأقصى المبارك.

ماذا رأى هناك، وماذا فعل؟، ولماذا المسجد الأقصى بالذات، وما دلالات صلاته هناك إماماً بالأنبياء؟ ها ما سنعرفه في الجمعة القادمة إن شاء الله.

ولنا درسٌ عظيم من هذه الرحلة المباركة درسٌ في بناء الرجال، والرجال لا يمكن بناؤهم إلا من خلال المواقف عندما تحدث النبي عليه الصلاة والسلام بأمر الإسراء والمعراج، الأمر يحتاج إلى يقين، يقين بقدرة الله ويقين بصدق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالمحنة تُفرز حقائق الرجال أفرزت نموذج لم يستطع أن يستوعب الأمر لضعف إيمانه، وأفرزت رجالاً كأبي بكر الصديق: (جاءته قریش يقولون له انظر ما قاله صاحبك إنه يدعي أنه أتى بيت المقدس وعاد

في ليلة ونحن نضرب إليه أكباد الإبل شهرًا شهرًا ذهابًا وشهرا إيابًا، فقال أبو بكر: «هو قال ذلك»، قالوا: نعم، قال: «إن كان قد قال فقد صدق» (فقه السيرة للبوطي ص ١٤٧)، إيمانٌ ثابت، إيمان لا تعبت به الدنيا ولا تزلزله الجبال، إيمان قد استقام على حقيقة منهج الله ﷺ.

ومن الدروس محبات الله درسٌ في معية الله ﷺ لأنبيائه وأوليائه طلبت قريش من النبي عليه الصلاة والسلام أن يصف لها بيت المقدس ورسول الله عليه الصلاة والسلام قد جاءه ليلا ولم يكن قد رآه من قبل يقول عليه الصلاة والسلام: «فأصابني كرب لم أصب بمثله قط»، أي أن الأمر سيفضح أي النبي - ﷺ - سوف يُتهم بالكذب ولكن حاشا لله أن يترك أوليائه يقول - ﷺ -: «فجلى الله لي بيت المقدس فصرت أنظر إليه وأصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً».

(فقه السيرة للبوطي ص ١٤٧)، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

ومن الدروس محبات الله درسٌ لكل صاحب هم لكل صاحب قلب مكلوم إلا يلتفت قلبه إلا إلى الله ﷺ، رسول الله عليه الصلاة

والسلام رجلٌ وأحد يحمل هم الدنيا كلها، رجلٌ وأحد يحمل أمانة تنوء بها الجبال، ماتت زوجته خديجة رضي الله عنها التي كان يأوي إليها عند تبعه، مات عمه أبو طالب الذي كان يحميه، كان يبحث عن رجال صدق يعينونه في تبليغ أمر دعوة الله ﷻ، ذهب إلى ثقيف ولكنها ردتته رداً سيئاً وأغرّت به السفهاء ففعلوا ما فعلوا.

يبرأ النبي ﷺ - من حوله وقوته إلى حول الله وقوته ويأتي حادث الإسراء والمعراج إيناساً للمصطفى عليه الصلاة والسلام وإعلاماً للنبي عليه الصلاة والسلام ولسان الحال يقول:

إن كان أهل الأرض لم يعرفوا قدرك يا محمد فإن أهل السماء قد عرفوك فأنت أنت إمام المرسلين وأنت أنت حبيب رب العالمين، ولقد تأمل العلماء في الربط في هذه الرحلة العظيمة بين إسراء النبي عليه الصلاة والسلام من مكة البيت الحرام إلى بيت المقدس فذكروا أن مكة هي رمز للإسلام دين الله ﷻ، وبيت المقدس هو رمز لحال المسلمين فما يجري في تلك الأرض هي علامة صحوة المسلمين أو غفلتهم وجزوة الجهاد التي انطلقت من هناك دليل على أن أمر الغيرة

ما زال في الأمة وأنه ما زال فيها جيل ثابت على الحق، وأنه ما زالت فيها الرغبة في أن تعود إلى الله ﷻ، وبيت الله ﷻ لا يتحرر إلا على أيدٍ متوضأه طاهرة كريمة، أما الأيدي التي يحمل أصحابها أفكارًا منحرفة وعقائد فاسدة وعلمانية كافرة مثل هذه الأيدي لا يُبارك الله فيها وحاشي لله أن يكتب لها النصر- والتأييد مصداقًا لقول النبي - ﷺ -: «لَتُقَاتِلَنَّ الْيَهُودَ فَيُخْتَبَأُ الْيَهُودِي وَرَاءَ الْحَجَرِ أَوْ الشَّجَرِ فَيَقُولُ الْحَجَرُ وَالشَّجَرُ يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا يَهُودِي وَرَائِي تَعَالِ فَاقْتُلْهُ» (أخرجه الشيخان وأحمد (٢) / ٣٩٨ و٤١٧ و٥٣٠)). ومن الدروس والعبر: أن في صلاته - ﷺ - بالأنبياء جميعًا، واقتدائهم به وهم في عالم البرزخ، إشارة إلى أنهم لو كانوا أحياء في الدنيا لم يكن في وسعهم إلا اتباعه، وكأن الأنبياء ﷺ بصلاتهم خلفه يقولون لمن لم يتبعه من اليهود والنصارى وغيرهم، إننا لو كنا أحياءً لاتبعناه، فما بالكم لا تتبعونه وهو بين أظهركم. ومن الدروس العظيمة أهمية الصلاة وبيان أهميتها وتميزها عن سائر العبادات، فجميع العبادات فُرضت في الأرض وفُرضت الصلاة في السماء لأهميتها، لعظمتها لمكانتها.

عباد الله: لقد شرعت الصلاة لتكون معراجاً ترقى بالناس كلها
تدنت بهم شهوات النفوس وأعراض الدنيا، وأكثر الناس اليوم لا
يُصلون الصلوات التي شرعها الله، فصلاتهم لا حياة فيها ولا روح،
إنما هي مجرد حركات جوفاء، إلا من رحم الله، لأن علامة صدق
الصلاة أن تعصم صاحبها من الوقوع في الخطايا، وأن تنهاه عن
الفحشاء والمنكر، وإن من لطف الله تعالى بعباده أن خفف عنهم
الخمسين صلاة على يد محمد - ﷺ - وبمشورة موسى ﷺ حتى
بلغت خمس صلوات في اليوم واللييلة، فله الحمد لله والمنة أن خفف
عنا، وأثبت لنا أجر الخمسين، والويل لمن أنقص من هذه الخمس،
فلم يأت بها كاملةً في أوقاتها، وفي بيوت الله كما أمر الله.

والعبر والعظات من رحلة الإسراء والمعراج كثيرة والجوانب
التربوية فيها عديدة متى ما تأمل فيها المتأمل بصدق وروية.

هذا وصلوا - عباد الله: - على رسول الهدى فقد أمركم الله بذلك

في كتابه فقال: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد، وأرض اللهم عن
الخلفاء الأربعة الراشدين.

اللهم اجعلنا في بلادنا آمنين مطمئنين، اللهم واجعل بلاد
المسلمين عامرة بذكرك، عاملة بشرعك، مقيمة لدينك، اللهم أسبغ
علينا وعلى إخواننا الأمن والإيمان، اللهم ارحم المستضعفين، اللهم
ارحم إخواننا المستضعفين، اللهم إن قومًا من إخواننا يُقتلون لا
بواكي لهم وأنت أرحم الراحمين، اللهم اكشف ما نزل بهم من ضر،
اللهم ارحم ضعفهم، واجبر كسرهم، وانصرهم على عدوهم، أطعم
جائعهم، واحمل حافيتهم، وآوي شريدهم، واشف مريضهم، وأبرئ
جريحهم، وارحم ميتهم، واجمع على الحق كلمتهم يا رب العالمين، يا
أرحم الراحمين انصر الإسلام والمسلمين، وأعل كلمة الدين، واقمع
أهل الزيغ والفساد المعادين، وانشر رحمتك علينا يا أرحم الراحمين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين،
والحمد لله رب العالمين.



الإسراء والمعراج دروس وعبر (٢)

الحمد لله ذي العظمة والكبرياء، والعزة والبقاء، والمجد والثناء،

رباه رباه قلبٌ تائبٌ ناداك أترده وترد صادق توبة حاشاك

فليرض عني الناس أو فليسخطوا أنا لم أعد أسعى لغير رضاك

تعالى سبحانه عن الأنداد والشركاء، وتقدس عن الأمثال والنظراء.

والصلاة والسلام على نبيه وصفيه محمد - صلى الله عليه وسلم -

خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء، عدد ذرات الثري ونجوم السماء.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه واحشرنا في زمرة،

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وارزقنا شفاعته.

عباد الله: أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

ما زلنا وإياكم مع رحلة الإسراء والمعراج دروس وعبر، تلکم

المعجزة التي كانت نقطة تحول كبرى في حياة النبي - ﷺ - وأمه،

تحول يشير إلى أن مرحلة الاستضعاف والذل أشرفت على الأفول والانتهاء وبدأت مرحلة التمكين برحلة عظيمة إلى السماء لاستمداد الصبر وامتلاء الفؤاد بنور آيات الله الكبرى.

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ

الْأَقْصَا الَّذِي بَنَّا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَّا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾

(الإسراء : ١)

عباد الله: وصل النبي - ﷺ - إلى المسجد الأقصى المبارك.

ألا فتأملوا عباد الله هذه الرحلة المباركة بدأت من المسجد الحرام ثم إلى المسجد الأقصى ثم إلى السماوات العلاء. فلماذا كان المرور على بيت المقدس؟ لما لم تكن معراجا فقط من المسجد الحرام إلى السماوات العلاء؟ وفي هذا الأمر دروس وعبر:

أولها: ارتباط أرض الشام المباركة، بأرض الحجاز المقدسة، وقوة العلاقة بين بيت المقدس والبيت الحرام، فكان الإسراء من مكة، والمعراج من بيت المقدس.

ثانياً: ليتبين للأمة أهمية المسجد الأقصى- بالنسبة لهم كمسلمين؛ وأن الحق فيه لكل مسلم، وليس لشعب دون شعب، أو طائفة دون طائفة؛ إذ هو مسرى رسولنا - ﷺ -، ومعراجه إلى السماء، وكان قبلتنا الأولى طيلة الفترة المكية، وهذا توجيه وإرشاد للمسلمين بأن يجبوا المسجد الأقصى وما حوله؛ ويدافعوا عن المسجد الأقصى- وما حوله لأنها أرض مباركة مقدسة.

ثالثاً: إنها رسالة في أهمية تحرير المسجد الأقصى- من الشرك والمشركين واليهود المعتدين فلا يكون لهم عليه سلطان، وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم أهمية المسجد الأقصى- فلم يرضوا أن يضل أسيراً تحت حكم الرومان، فسيرت جيوش الحق إلى أرض الشام المباركة؛ لفتحه وتطهيره من شرك الرومان، وضمه إلى بلاد أهل الإسلام، وسافر خليفة المسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة إلى بيت المقدس لاستلامه من قادة النصارى وما ذاك إلا لمكانته في شريعة الإسلام.

اللهم طهر المسجد الأقصى من براثن اليهود وارزقنا فيه صلاة قبل
المات.

رابعاً: إن الربط بين حرم مكة وبيت المقدس في حادثة الإسراء رسالة
بأن أي تهديد للمسجد الأقصى وأهله فهو تهديد للحرمين المكي والمدني
وأهلها، وأن النيل من المسجد الأقصى- ما هو إلا توطئة للنيل من
الحرمين فليعقل حكام المسلمين.

فها هو (ديفيد بن غوريون) يستعرض جنوداً وشباناً من اليهود
بالقرب من المسجد الأقصى، ويلقي فيهم خطاباً ملؤه الحقد والبغضاء
يختمه بقوله: (لقد استولينا على القدس ونحن في طريقنا إلى يثرب).

كما وقفت غولدا مائير رئيسة وزراء الكيان الصهيوني بعد احتلال
القدس تلقي خطاباً على خليج إييلات تقول فيه: (إنني أشمُّ رائحة
أجدادي في المدينة والحجاز، وهي بلادنا التي سوف نسترجعها).

خامساً: قال علماءنا ومشايخنا أن مكة هي رمز للإسلام رمز لدين الله ﷺ
ومكانته وقوته، وبيت المقدس هو رمز لحال المسلمين وقوتهم أو ضعفهم فما
يجري في تلك الأرض هي علامة صحوة المسلمين أو غفلتهم، فإن كانت

بيت المقدس وفلسطين محررة عزيزة وجدوة الجهاد فيها مستعرة والأمة تدعم فلسطين وتدافع عن فلسطين وتدعو لفلسطين فهذا دليل على أن أمر الغيرة ما زال في الأمة وأنه مازال فيها جيل يحب الله ورسوله.

سادساً: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى

الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾

من المسجد إلى المسجد، إنها رسالة في أهمية المساجد وأنها خير البقاع وفيها يتربى الرجال ومنها يتخرج الرجال والأقصى لن يتحرر إلا على أيد متوضئة طاهرة كريمة. قلوبها معلقة بالمساجد

عباد الله: إن الأمة بخير ما دامت تؤدي حقوق المساجد وترعى

حرماتها.

الأمة في مأمن ما دامت تعمر المساجد بالعلم والذكر، وتحمي

رسالتها.

الأمة في عزة ومنعة ما دام أبنائها وقادتها يترددون على المساجد،

ويستمدون هدى الله من منابرها ودروس حلقاتها، والتربية في

ساحتها وبين جدرانها، ويوم أن تساهلت أمة إلا سلام في ذلك حكاماً ومحكومين ورعاة ورعية، أصاب هذه الأمة الوهن ونالها الضعف، وهانت في عين العدو.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.

أيها المسلمون: وفي المسجد الأقصى - صلى النبي عليه الصلاة والسلام بالأنبياء إماماً، حيث وصل الرسول - ﷺ - إلى المسجد الأقصى ومعه جبريل فوجد الأنبياء قد جُمعوا له فقدمه جبريل ليصلي بهم - الله أكبر - ما أعظمه من موكب الله أكبر ما أروعه من جمع.

وصلاة النبي - ﷺ - إماماً لها دالتان:

الأولى: هي وحدة الأنبياء في دعوتهم فالكل جاء بالتوحيد الخالص من عند الله ﷻ، الأنبياء إخوة ودينهم وأحد: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (الأنبياء : ٢٥)

ثانياً: صلاة النبي عليه الصلاة والسلام بالأنبياء إماماً لها دلالة على أستاذية العالم وخيرية هذه الأمة وأنه - ﷺ - خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن مشعل الهداية والدعوة والبلاغ سينتقل إليه وإلى أمته

من بعده، فكان لا بد من أن تُجرى برتوكولات التسليم للأمانة الجديدة، وتشريف قائدها عبر صلاة في أقدس مكان بعد الحرم المكي يؤم فيه القائد الجديد الأنبياء والرسل أجمعين نيابة عن البشرية قاطبة فلا إله إلا الله القائل: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ (الشَّح: ٤)

وهنا درسٌ عظيم عنوانه: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾

من ترك منهج الله وتخلى عنه يتركه الله عز وجل، ويستبدله ولا يستعمله؛ فالله ليس في حاجة إلينا، غني عن العالمين.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (فاطر: ١٥)

(فاطر: ١٥)

كما حدث من بني إسرائيل تركوا منهج الله عز وجل، وحرفوه وشوهوا تعاليم النبوة ورسالة السماء؛ فكانت النتيجة أن خرجت النبوة منهم وانتقلت إلى المسلمين، فالحذر كل الحذر من مخالفة أمر الله والتقاعس عن القيام بحقوقه عز وجل وواجباته.

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا.

عباد الله:

وبعد أن فرغ النبي - ﷺ - من صلاته بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام أتي بقدحين من خمر ومن لبن.

ماذا اختار نبيكم هل اختار الخمر أم الخبائث؟

هل اختار الخمر التي هي رمز الدمار والضياع والخراب؟ لا

وألف لا؛ إنه نبي الفطرة فاختر - ﷺ - اللبن فقال له جبريل عليه السلام

هديت للفطرة. أما إنك لو أخذت الخمر، غوت أمتك، وفي بعض

روايات ابن جرير - رحمته الله - أن جبريل قال: «أما إنها ستُحرّم على

أمتك، ولو شربت منها لم يتبعك من أمتك إلا القليل».

أيها الأحباب: إن قول جبريل - عليه السلام - يؤكد أن الأمة المسلمة

الحقة، لا يمكن أن تتبع شارب خمر، حتى ولو كان رسول الله

وحاشاه عن ذلك - بأبي هو وأمي - صلوات الله وسلامه عليه.

إذا لا يجتمع في الأمة لبن وخمر، بمعنى أنه لا تجتمع فطرة وخمر،

فإما فطرة صالحة بلا خمر، وإما خمر وتيه بلا فطرة. قال رسول الله -

ﷺ - : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين

يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشر-بها وهو مؤمن» (رواه البخاري ومسلم).

إلى هنا نكون انتهينا من رحلة الإسراء، ثم تبدأ رحلة المعراج: يقول النبي - ﷺ -: « ثم اخذ بيدي أي جبريل -عليه السلام- فعرج بي إلى السماء الدنيا فاستفتح جبريل فقبل من أنت قال جبريل قال خازن المساء ومن معك قال محمد، ففتح لنا».

وهنا درسٌ عظيم في أهمية الاستئذان، جبريل الأمين يستأذن ويستفتح نعم.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا

وَتَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (النور : ٢٧)

فلنعلم أبناءنا وبناتنا دروس الاستئذان، قال تعالى: ﴿وَإِذَا بَلَغَ

الْأَطْفَالَ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَٰلِكَ

يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُم ءَايَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (النور : ٥٩)

فرأى رسول الله - ﷺ - في السماء الدنيا آدم عليه السلام فسلم عليه، ثم قال: مرحباً بالابن الصالح والنبي الصالح.

إخواني: ما هي المشاهد التي شاهدها رسول الله - ﷺ - في السماء الدنيا وفي رحلة المعراج؟

المشهد الأول:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله - ﷺ - : « لما دخلت السماء الدنيا رأيت رجالاً لهم مشافر كمشافر الإبل، وقد وكل بهم من يأخذ بمشافرهم، ثم يجعل في أفواههم صخراً من نار، يخرج من أسافلهم، قلت يا جبريل: « من هؤلاء؟ »، قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم نارا».

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا

وَسَيَصْلُونَ ﴿١٠﴾ سَعِيرًا (النساء: ١٠) (دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٩٢)،

سيرة ابن هشام (٢/ ١٩)، وضعفه الألباني).

المشهد الثاني: قال - ﷺ - : « ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِنِسَاءٍ مُّعَلَّقَاتٍ

بِأَرْجُلِهِنَّ فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ اللَّاتِي يَزْنِينَ

وَيُقْتَلْنَ أَوْلَادَهُنَّ، وفي رواية: قال هؤلاء اللاتي ادخلن على الرجال من ليس من أولادهم». (سيرة ابن هشام (٢/١٩)).

المشهد الثالث:

روى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود بسندٍ صحيح عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال قال النبي - صلى الله عليه وسلم -: «لَمَّا عُرِجَ بِي، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ هُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نَحَاسٍ، يَحْمِشُونَ وَجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جَبْرِيْلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لَحْمَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ».

وقال عليه الصلاة والسلام: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فإن من يتبع عوراتهم يتبع الله عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه في بيته» (صحيح، أخرجه أحمد (٤/٤٢١)، وأبو داود: كتاب الأدب - باب في الغيبة، حديث (٤٨٨٠)، والترمذي: كتاب البر والصلة - باب ما جاء في تعظيم المؤمن، حديث (٢٠٣٢)، والطبراني في الأوسط (٣٧٧٨)، قال الهيثمي: رجاله ثقات بجميع الزوائد (٨/٩٣، ٩٤)، وقال المنذري: إسناده حسن. الترغيب (٣/١٦٩). وصححه الألباني. صحيح أبي داود (٤٠٨٢)، صحيح الترغيب (٢٣٣٩-٢٣٤١)).

من أعطاك الأذن يا عبد الله لتتهم وتغتاب الجماعة الفلانية أو الحزب الفلاني أو المذهب الفلاني، وتكفرهم أو تبدعهم وتجعلهم في خانة المنافقين والمحتالين، وهذه غيبة عامة تحمل أوزار كل من ينتمي لهذه الجماعة، أو لهذا الحزب، أو لهذا المذهب.

المشهد الرابع: حال الزناة:

قال رسول الله - ﷺ -: «ثم رأيت قوم بين أيديهم لحم في قدر ناضج طيب ولحم آخر خبيث فجعلوا يأكلون من الخبيث ويدعون الناضج الطيب فقال يا جبريل من هؤلاء قال هذا الذي يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فيأتي امرأة الخبيثة فتبيت معه» وفي رواية: «هؤلاء الذين يتركون ما أحل الله لهم من النساء ويذهبون إلى ما حرم الله عليهم» [تهذيب سيرة ابن هشام: ١١٨].

عباد الله: المؤمن ينأى بهائه أن يضعه إلا في الموضع الكريم الطاهر.

وتجتنب الأسود ورود ماء إذا كان الكلاب ولغن فيه

لذا فقد حذر النبي - ﷺ - من انتشار الفاحشة (الزنا) وكذا التبرج والسفور وجعل ذلك سببا لانتشار الأمراض والأوجاع فقال : « لَمْ تَظْهَرِ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمُ الَّذِينَ مَضُوا ». (أَخْرَجَهُ ابن ماجة (٤٠١٩)).

ومن المؤلم في المجتمعات المسلمة تعطر النساء ثم خروجهن إلى الرجال في الأسواق والطرقات، صح عن النبي - ﷺ - قوله :
 «إذا استعطرت المرأة فمرت على القوم ليجدوا ريحها فهي زانية» (رواه أحمد والنسائي والحاكم من حديث أبي موسى وصححه الألباني).

المشهد الخامس : حال أكلة الربا :

قال رسول الله - ﷺ - : «رأيت رجالا لهم بطون لم أرى مثلها قط»،
 وفي رواية : «فإذا أنا بأقوام بطونهم أمثال البيوت كلما نهض أحدهم خر يقول اللهم لا تقم الساعة قال فسمعتهم يضحجون إلى الله سبحانه قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء من أمتك الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس». (سيرة ابن هشام (١٩/٢)، (٣٩٢/٢).

ثم عرج به إلى السماء الثانية، وبقية السماوات فماذا رأى؟ وماذا أوحى إليه؟ وما هي الدروس والعبر؟ هذا ما سنعرفه في الجمعة القادمة.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم.



الإسراء والمعراج دروس وعبر (٣)

الحمد لله شهدت بوجوده آياته الباهرة ودلت على كرم جوده نعمه الباطنة والظاهرة، وسبحت بحمده الأفلاك الدائرة، والرياح السائرة، والسحب الماطرة، لا مانع لما وهب، ولا مُعطي لما سَلَب، طاعته للعاملين أفضل مُكتسب، وتَّقواه للمتقين أعلى نَسَب. . . هو الأول فله الخلق والأمر، والأخر فإليه الرجوع يوم الحشر، هو الظاهر فله الحكم والقهر، هو الباطن فله السر والجهر، وأشهد أن لا إله إلا الله الَّذِي لا تحيطُ به العقول والأوهام، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أفضل الأنام، صَلَّى اللهُ عليه وعلى سائر آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسانٍ على الدوام، وسلّم تسليماً كثيراً. . .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٢) ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ

وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

لا زال الحديث عن رحلة الإسراء والمعراج دروس وعبر

ثم عرج به - ﷺ - إلى السماء الثانية، فرأى فيها يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وفي الثالثة يوسف وفي الرابعة إدريس عليهم الصلاة والسلام جميعاً.

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا

عَلِيًّا﴾ (مريم: ٥٦) وفي الخامسة هارون بن عمران وفي السادسة موسى بن عمران فسلم عليه ورحب به وأقر بنبوته فلما جاوزه بكى موسى - عليه السلام -

نعم إنها دمعات في السماء الخامسة، دمعات الكلیم موسى - عليه السلام - فقيل له: ما يبكيك فقال: «أبكي لأن غلاماً بعث من بعدي يدخل الجنة من أمته أكثر مما يدخلها من أمتي».

الله أكبر إنها الهمة العالية.

قال ابن حجر في الفتح: "لم يكن بكاء موسى ﷺ حسداً معاذ الله، إنما أسفاً على ما فاته من الأجر وعلو همة.

إنها الهمة العالية.

ثم عرج به - ﷺ - إلى السماء السابعة فرأى إبراهيم عليه السلام مسنداً ظهره للبيت المعمور، وما أدراكم ما البيت المعمور، أقسم الله به فقال: ﴿وَالْبَيْتِ الْمُعْمُورِ﴾ (الطور: ٤)، وهو وفي السماء السابعة بحيال الكعبة في الأرض لو سقط لوقع عليها حرمة في السماء كحرمة الكعبة في الأرض يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه " (البخاري كتاب بدء الخلق (٣٠٣٥)). (فلا إله إلا الله ما أعظم خلق الله.

فسلم عليه إبراهيم الخليل فرد عليه ﷺ ثم قال: «مرحبا بالابن الصالح والنبى الصالح».

روى الترمذي وأحمد في مسنده بسند حسن عن ابن مسعود - رحمته الله - قال قال رسول - ﷺ - : « لقيت إبراهيم ليلة أسري بي فقال: يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله » (رواه الترمذي والطبراني في الأوسط).

"

اسمعوا إلى وصية أبيكم إبراهيم، إنها وصية أن نشغل أنفسنا بذكر الله، وتسييحه وتحميده لنغرس بذلك أشجاراً في الجنة.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤١)

وبعد هذا اللقاء المبارك بالأنبياء دخل رسول الله الجنة

قال رسول الله - ﷺ -: «ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ

- أي قباب -، وإذا تراها المسك». (أخرجه البخاري رقم الحديث ٣٣٤٢).

وقال رسول الله - ﷺ -: «بَيْنَمَا أَنَا أُسِيرُ فِي الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ،

حَافَتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، وَمَجْرَاهُ عَلَى الدَّرِّ وَالْيَاقُوتِ، تَرَبَّتْهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمَسْكِ،

وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ».

قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ

رَبُّكَ ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾. (أخرجه البخاري).

اللهم اسقنا من حوض نبينا شربة لا نظماً بعدها أبداً.

ثم انطلق جبريل بالرسول - ﷺ - فوق السماوات السبع حتى

انتهى به إلى سدرة المنتهى، وهناك عند سدرة المنتهى رأى جبريل

على الصورة التي خلقه الله عزو جل عليها في حُلَّة من رفر ف أخضر-
له ستمائة جناح، كل جناح منها قد سد الأفق يتناثر من أجنحته الدر
والياقوت». (أخرجه البخاري ومسلم).

وهذه هي المرة الثانية التي يرى فيها النبي - ﷺ - جبريل على صورته،
قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَأَهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ
الْمَأْوَى﴾ (النجم: ١٣).

﴿وَلَقَدْ رَأَهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ * وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ (التكوير: ٢٣)

ثم نظر الرسول - ﷺ - إلى جبريل - عليه السلام - فوجده كالحلس
البالي الحصير البالي من خشية الله ثم غشيت تلك السدرة سحابة، ﴿إِذْ
يَغْشَى السُّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ
رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (النجم: ١٨)

وهاهنا تأخر جبريل - عليه السلام - وتقدم النبي - ﷺ - وعرج
برسول الله حتى وصل إلى مستوى سمع فيه صريف الأقلام، فقال
رسول الله لجبريل: أهاهنا يترك الرفيق رفيقه؟ قال: يا محمد أنا إن

تقدمت احترقت، وأنت إن تقدمت احترقت، قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ (الصفات: ١٦٤).

طففت السماوات وما فوقهن بهم على منورة درية اللجم
مشيئة الخالق الباري وصنعته وقدرة الله فوق الشك والتهم
حتى بلغت سماء لا يطار لها على جناح ولا يسعى على قدم
وقيل كل نبي عند رتبته وبيا محمد هذا العرش فاستلم

اللهم صلي عليه وعلى آله وصحبه.

ثم توجت هذه الرحلة المباركة بالتاج الأسمى وعمود هذا الدين الصلاة،

يقول - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ مَا أَوْحَى فَفَرَضَ عَلَيَّ خَمْسِينَ صَلَاةً

فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ فَنَزَلْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَقَالَ مَا فَرَضَ

رَبُّكَ عَلَيَّ أُمَّتِكَ قُلْتُ خَمْسِينَ صَلَاةً قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ

التَّخْفِيفَ فَإِنَّ أُمَّتَكَ لَا يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَإِنِّي قَدْ بَلَوْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ

وَخَبَرْتُهُمْ قَالَ فَرَجَعْتُ إِلَى رَبِّي فَقُلْتُ يَا رَبِّ خَفِّفْ عَلَيَّ أُمَّتِي فَحَطَّ

عَنِّي خَمْسًا فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى فَقُلْتُ حَطَّ عَنِّي خَمْسًا قَالَ إِنَّ أُمَّتَكَ لَا

يُطِيقُونَ ذَلِكَ فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أَرْجِعُ

بَيْنَ رَبِّي تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَبَيْنَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى قَالَ يَا مُحَمَّدُ إِنَّهُنَّ خَمْسُ

صَلَوَاتٍ كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ لِكُلِّ صَلَاةٍ عَشْرٌ فَذَلِكَ خَمْسُونَ صَلَاةً وَمَنْ هَمَّ
 بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرًا وَمَنْ
 هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ شَيْئًا فَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةٌ وَاحِدَةً قَالَ
 فَنَزَلْتُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ ارْجِعْ
 إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - فَقُلْتُ قَدْ رَجَعْتُ
 إِلَى رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْهُ (مسلم، الإيمان، ح (٢٣٤))؛

وهنا درس في أهمية الصلاة و، بيان أهميتها وتميزها عن سائر
 العبادات فجميع العبادات فرضت في الأرض وفرضت الصلاة في
 السماء، وإن من لطف الله تعالى بعباده أن خفف عنهم الخمسين صلاة
 على يد محمد - ﷺ - وبمشورة موسى ﷺ حتى بلغت خمس صلوات
 في اليوم واللييلة، فله الحمد لله والمنة أن خفف عنا، وأثبت لنا أجر
 الخمسين، إذا كنا نقصر. في الخمس فكيف لو كانت ثلاثين أو خمسين
 لكنها رخصة الله ثم رحمة النبي - ﷺ - والويل لمن نقص من هذه الخمس،
 فلم يأت بها كاملة في أوقاتها، وفي بيوت الله كما أمر الله.

ثم هبط جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - من السماوات إلى المسجد الأقصى ثم ركب البراق منصرفاً إلى مكة بصحبة جبريل - عليه السلام - ووصل إلى فراشه ولا زال دافئاً.

وفي الصباح أراد أن يخرج للناس حتى يبلغهم فتشبتت به أم هانئ بنت أبي طالب تقول له : يا رسول الله إني أخشى أن يكذبك قومك الناس يسافرون إلى بيت المقدس شهراً ذهاباً وشهراً إياباً (850)) ميلاً، وأنت تقول لهم : « ذهب ليلاً ثم عدت » ، فقال عليه الصلاة والسلام : « والله لأحدثنهموه » (البداية والنهاية لابن كثير ص ١١٠)) (سأخبرهم وإن كذبوني)، وهنا درس للدعاة إلى الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يبلغوا أمانة الله تعالى رضي الناس أم غضبوا، رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - يقول : « ومن التمس رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه واسخط عليه الناس » (ابن حبان في صحيحه).

عباد الله:

ولنا درسٌ عظيم من هذه الرحلة المباركة درس في بناء الرجال والرجال لا يمكن بناؤهم إلا من خلال المواقف عندما تحدث النبي عليه الصلاة والسلام بأمر الإسراء والمعراج طفق القوم بين مصفق

وبين واضح يده على رأسه تعجبا وكانت فتنة عظيمة يقول ابن كثير :
 «وارتد ناس ممن آمن بالنبي - ﷺ -» (تهذيب سيرة ابن هشام ص ٩٤)،
 وأنزل الله فيمن ارتد عن إسلامه قوله تعالى :

﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي
 الْقُرْآنِ وَنُحَوْفُهِمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ (الإسراء: ٦٠)

فالأمر يحتاج إلى يقين، يقين بقدره الله ويقين بصدق المصطفى
 عليه الصلاة والسلام، فالمحنة تفرز حقائق الرجال أفرزت هذا
 النموذج الذي ارتد و لم يستطع أن يستوعب الأمر؛ لضعف إيمانه،
 وأفرزت رجالا كأبي بكر الصديق: (جاءته قريش يقولون له: انظر ما
 قاله صاحبك إنه يدعي أنه أتى في بيت المقدس وعاد في ليلة ونحن
 نضرب إليه أكباد الإبل شهرا ذهابا وشهرا إيابا، فقال أبو بكر: وهو
 قال ذلك، قالوا نعم، قال: «إن كان قد قال فقد صدق» (فقه السيرة
 للبوطي ص ١٤٧)، إيمان ثابت، إيمان لا تعبت به الدنيا ولا تزلزله
 الجبال، إيمان قد استقام على حقيقة منهج الله ﷺ.

ومن الدروس عباد الله: درسٌ في معية الله ﷻ لأنبيائه وأوليائه طلبت قريش من النبي - عليه الصلاة والسلام - أن يصف لها بيت المقدس ورسول الله - ﷺ - قد جاءه ليلاً، ولم يكن قد رآه من قبل، يقول - ﷺ -: «أصابني كرب لم أصب بمثله قط»، أي أن الأمر سيفضح أي النبي - ﷺ - سوف يتهم بالكذب ولكن حاشا لله أن يترك أوليائه يقول - ﷺ -: «فجلى الله لي بيت المقدس فصرت أنظر إليه وأصفه لهم باباً باباً وموضعاً موضعاً، فعجب الكفار وما زادهم ذلك إلا نفوراً وطغياناً كبيراً». (فقه السيرة للبوطي ص ١٤٧)، ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (غافر: ٥١).

عباد الله:

انه لما كانت هذه الرحلة والمعجزة ليلاً أراد الله أن يلفت الأمة إلى قيمة الليل ومكانته، وقد أقسم الله به في أكثر من موضع، والله لا يُقسم إلا بعظيم، لعلنا ندرك خير الليل وبركته فنغتنمه بذكر الله وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا

مَحْمُوداً ﴿الإسراء: ٧٩﴾، لأن الليل له رجاله إذا نامت العيون، وهدأت النفوس، وخلا كل حبيب بحبيبه، فنعرض أنفسنا لرحمات الله وخاصة في الثلث الأخير من الليل الذي ينزل فيه الحق تبارك وتعالى فيقول: «هل من سائل فأعطيه هل من مستغفر فأغفر له، هل من داع فأستجيب له؟».

الدرس الأخير من هذه الرحلة المباركة:

العبودية لله تعالى والجهاد في سبيله.. طريق تحرير المسجد الأقصى- المبارك.

فإن الله وصف النبي - ﷺ - بأشرف مقام وهو مقام العبودية في آية الإسراء التي تتحدث عن دخوله المسجد الأقصى- للمرة الأولى، وفي مطلع سورة الإسراء في الحديث عن معركة دخول بيت المقدس.

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُؤْتِي

بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (سورة الإسراء:

٥)، فقد وصف الذين دخلوا المسجد في المرة الأولى بأنهم عباد له

ﷺ

وعندما تحدث النبي - ﷺ - عن معركة تحرير المسجد الأقصى من أيدي اليهود بيّن أن شعار المعركة هو العبودية لله تعالى، حيث جاء في صحيح مسلم أن النبي - ﷺ - قال: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يختبئ اليهودي وراء الحجر أو الشجر فيقول الحجر أو الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»، فهذا بيّن بجلاء أنّ طريق تحرير المسجد الأقصى يبدأ بتحقيق العبودية لله تعالى على حقيقتها من الخضوع له وحده دون سواه، والامتنال لأوامره، والمبادرة والمسارة لتطبيق تعاليمه واجتناب نواهيه، ورفض الخضوع لأحدٍ غيره.

وها هو المسجد الأقصى عندما وقع في براثن الصليبيين الحاقدين ما خلّصه من أيدهم وحرّره من احتلالهم إلاّ الأيدي المتوضئة، وها هو صلاح الدين الأيوبي يتفقد جنده في خيامهم فيجدُ خيمةً يقوم أفرادها الليل فيقول: «من هنا يأتي النصر»، ويمر على خيمةٍ وقد نام أفرادها فيقول: «من هنا تأتي الهزيمة».

إن الحقيقة ساطعة كالشمس في رابعة النهار بأن اليهود لا تخيفهم
 المفاوضات ولا ترعبهم الحوارات، وإنما ترتعد فرائصهم رعباً من شباب
 تربوا على مبادئ الإيمان وتعاليم القرآن الكريم.. وفي شباب فلسطين
 المجاهدين خير دليل على ذلك، حيث إنهم أذاقوا اليهود الرعب وزلزلوا
 كيانهم بعملياتهم البطولية الجهادية، وقد حملوا البندقية بيد والمصحف
 بيد بعد أن حملوه عقيدةً في قلوبهم وسلوكاً في حياتهم.

عباد الله! لا زالت الدروس والعبر مستمرة ولنا لقاء قادم ان شاء الله.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن

عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله

بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ اللهم صل وسلم على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



الأنصار و الهجرة

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله الذي لم يزل بالنعمة مُنعمًا،
وبالمعروف معروفًا، وبالإحسان مُحسنًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يكشف كربًا، ويغفر
ذنبا، ويغيث ملهوفًا، ويجبر كسيرًا، ويجير خائفًا، ويرسل بالآيات
تخويفًا.

الحمد لله حمداً طاب وانتشرا - على ترادف جودٍ في الوجود سرى
الحمد لله حمداً سرمداً أبداً ما أضحك الغيث وجه الأرض حين جري
حمداً كثيراً به أرقى لحضرتة على منابر أنسٍ أبلغ الوطرا
ثم الصلاة على ختم النبوة من إذا تقدم كان الأولون ورا
مع السلام الذي يهdy لحضرتة يعم آلاً وصحباً سادة غررا
ونسأل الله توفيقاً لطاعته ورحمةً لم نجد من بعدها كدرا
وأشهد أن نبينا وحبينا محمد عليه الصلاة والسلام.

أما بعد عباد الله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ

مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

كلما هل هلال محرم تذكّرنا أهم أحداث السيرة سيرة رسول الله - ﷺ - وأصحابه.

حدث ينبغي أن نقف معه وأن نقّدي من خلالها برسولنا في إيمانه وصبره وفي جهاده وأخلاقه وفي ثباته وتضحّيته.

إنها الهجرة أعظم نصر حققه الإسلام، وميلاداً جديداً للإسلام الهجرة مثل رائع للثبات والصبر والتحمل وقوة الإيمان.

كلما هل هلال محرم فتح لنا باب الأمل في نصرته الله لأوليائه وأنصاره وهلاكه للظالمين والطغاة، فقد أهلك الله في العاشر من محرم زعيم الطغاة وكبيرهم فرعون وأعز الحق وأهله.

كلما هلّ محرم تذكّرنا أن رسول الله - ﷺ - صام العاشر من محرم وأخبرنا أن صيامه يكفّر ذنوب سنة وصام اليوم التاسع مخالفة لليهود.

أيها الإخوة: إن الهجرة ما كانت لتتمّ لولا وجود الأنصار، إنّ الهجرة ما كانت لتؤتي أكلها لولا مواقف الأنصار، وإنّ دعوة الإسلام ما كانت لتعلو لولا راية الأنصار، وما كانت لتخفق لولا جهاد الأنصار، ولذلك فإنّ من حقّ الأنصار إذا ذُكرت الهجرة النبوية أن يذكروا، وإذا رفعنا ذكر الهجرة أن نرفع ذكر الأنصار.

أيها الإخوة:

لماذا سُمي الأنصار بهذا الاسم؟! ومن الذي ساهم بالأنصار؟! إنه توجد قبيلة في المدينة قبل الإسلام اسمها الأنصار، فمن أين جاءت هذه التسمية؟!!

روى البخاري في صحيحه عن غيلان بن جرير قال: قلت لأنس: رأيت اسم الأنصار؟! كُنتُمْ تُسَمُّونَ بِهِ أَمْ سَمَّاكُمْ اللهُ؟! قَالَ: بَلْ سَمَّاَنَا اللهُ - عَزَّ وَجَلَّ - نعم القائل: ﴿وَالسَّبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنْ

أَلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ
وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ
الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ (التوبة : ١٠٠)

فالأنصار اسم إسلامي، اسم رباني، لم يسمهم به سلطان هالك ولا
زعيم بائد، ولا شيخ قبيلة فانٍ، إنما الذي سمي الأنصار بهذا الاسم هو
الله العظيم العلي القدير، ساهم به من فوق سبع سموات طباق، وسام
شرف من رفيع الدرجات سبحانه ليرفع به ذكرهم إلى يوم الدين، وسام
لا تدانيه أوسمة الدنيا الأرضية كلها؛ لأنها وأصحابها زائلون.

إنهم أنصار الله ورسول الله ودين الله لا يقتلون النفس التي حرم
الله بل يجاهدون في سبيل الله.

أنصار الله لا يخيفون الأمنين بل يؤمنونهم.

أنصار الله لا يهدمون المساجد بل يبنونها ويعمرونها بذكر الله
وطاعته.

أتعلمون -أيها الإخوة- ماذا كان اسم الأنصار ومن هم الأنصار؟!
إنهم قبيلة الأوس وقبيلة الخزرج. والأوس: يُنسبون إلى أوس بن حارثة،

والخزرج ينسبون إلى الخزرج بن حارثة، وهو أبناء الحارث رجل من رجال العرب اليمينيين. وهما ابنا قَيْلة، وقيلة اسم لأهمم التي تجمعهم، ولكن اسم الأنصار كان هو الأخلد والأبقى والأحب والأشرف إليهم من اسم الأوس والخزرج. "اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار".

أيها المؤمنون: هل محبتنا للأنصار أمر مباح أم واجب؟! أن تحب الأنصار أو لا تحبهم، هل هو شأن خاص بك؟! هل هو أمر هامشي- في حياتك؟! هل محبتك لهم يمكن أن ترفعك؟!!

في صحيح البخاري عن البراء - رضي الله عنه - قال: سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول: «الأنصار لا يحبهم إلا مؤمن، ولا يبغضهم إلا منافق، فمن أحبهم أحبه الله، ومن أبغضهم أبغضه الله»، «لا يحبهم إلا مؤمن»، فحبك للأنصار شهادة قطعية من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على صدق إيمانك، وأكثر من ذلك أن حبك للأنصار ضمان لك بأن الله يحبك أيها المؤمن، تأمل معي: «فمن أحبهم أحبه الله».

الله أكبر ما أعظم شأن الأنصار!! يربط الله محبته لك بمحبتك للأنصار، وفي المقابل تأمل معي قوله - صلى الله عليه وسلم -: «ولا يبغضهم إلا

«منافق»، حُكْمٌ صارمٌ من نبي الله - ﷺ - إلى الخلق كافة: أن من يبغض الأنصار فهو منافق، وإذا كان مجرد بغضهم، مجرد كرههم نفاقاً، فكيف - بالله عليكم - من يسبهم؟! بل من يطعن في دينهم؟! بل من يلعنهم؟! بل كيف بمن يكفرهم؟! كما يفعل ذلك الرافضة الذين تنضح كتبهم وتفيض ألسنتهم بالطعن في الأنصار لغير ذنب ارتكبوه، بل لدين وإسلام نصره، هؤلاء ماذا تتوقع أن يقول فيهم نبينا - ﷺ -؟!!

نعم، «الأنصار لا يجبهم إلا مؤمن»، وحب الأنصار لم ينقطع بموتهم، بل حبّ الأنصار باقٍ ما بقي مؤمن على وجه الأرض، باقٍ ما أبقى الله الإسلام والقرآن، فهم ليسوا تاريخاً وانطمس، ولا صفحات في كتاب واحترقت، ولا عابري سبيل قد مضوا، فكما لم ينقطع حبنا لرسول الله - ﷺ - بموته، كذلك لم ولن ينقطع حب المؤمنين الصادقين للأنصار، فهم قوم لا يجبهم إلا مؤمن، كيف لا، وهم سموا بالأنصار لأنهم نصر-وا الدين حينما نفر عنه الناس، ولأنهم نصر-وا رسول الله - ﷺ - حينما تجهمه البعيد وخذله القريب، فقد كان رسولنا - ﷺ - يدور على القبائل،

ويسير إلى العشائر في مكة وما حولها، ويناديهم ويقول لهم: «من يؤويني؟! من يؤويني حتى أبلغ رسالة ربي، وله الجنة؟!»، فلا يسمع إلا همساً، لا ملبى لندائه، لا قابل لعرضه، حتى لبّاه يوماً ما أولئك النفر من أقصى- البلاد، إنهم الأنصار، نعم، الأنصار ولا أحد غيرهم، فاستحقوا من الله الكريم ذلك الاسم الكريم: "الأنصار"؛ «اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار».

أيها المؤمنون: متى بدأت رحلة الأنصار في نصره الإسلام؟! إنها لم تبدأ في المدينة، بل بدأت في مكة من قبل، إنها لم تنطلق بعد الهجرة بل انطلقت قبل الهجرة النبوية.

نعم، بدأت رحلة الأنصار في نصره دين الله هناك في مكة، منذ بيعة العقبة الأولى والثانية، فقد التقى بهم رسول الله - ﷺ - في مواسم حج العرب كما في سيرة ابن هشام وغيره، فدعاهم إلى الله تعالى ورغبهم بالإسلام، ثم خاطبهم قائلاً لهم: «أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبنائكم». فيما إذا رد عليه الأنصار؟! قالوا له: نعم، فوالذي بعثك بالحق نبياً لنمنعك مما نمنع منه أزرنا

أي -نساءنا-، فبايعنا يا رسول الله، فنحن أبناء الحروب وأهل الحَلَقَة
-السلح-، ورثناها كابراً عن كابر.

كلمات لا تصدر إلا من رجال صادقين، راغبين في نصره دين الله. ثم
قال قائل من الأنصار: يا رسول الله -استمع إلى رجال العقيدة والتوحيد
الحق- يا رسول الله: "إن بيننا وبين اليهود حبلاً، وإننا قاطعوها، فهل
عسيت إن نحن فعلنا ذلك، ثم أظهرك الله أن ترجع إلى قومك
وتدعنا؟!".

فماذا رد عليهم رجل الإيمان الأول رسول الله ﷺ -؟! قال لهم:
«بل الدم بالدم، والهدم بالهدم، أنا منكم وأنتم مني، أحارب من حاربتكم،
وأسالم من سالمتم». إنه وفاء الدعاة الصادقين، وحمة الدين الجادّين.

وفي ظل هذه البيعة النادرة، والصفقة الرابحة لنصرة دين الله، يقوم
رجل آخر من الأنصار، فيخاطب قومه قائلاً لهم: "يا معشر الخزرج: هل
تدورن علام تبايعون هذا الرجل؟! قالوا: نعم، قال: إنكم تبايعونه على
حرب الأحمر والأسود من الناس، فإن كنتم ترون أنكم إذا نَهَكْتُمْ
أموالكم مصيبة، وأشرافكم قتلاً أسلمتموه، فمن الآن.

قالوا: فإننا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف، فما لنا بذلك - يا رسول الله - إن نحن وفينا بذلك؟! قال: «الجنة»، قالوا: ابسط يدك، فبسط يده فبايعوه. نعمة البيعة ونعم الثمن.

هذه هي بيعة الأنصار لنصرة الإسلام، ليسمعها بعض المسلمين اليوم، أولئك الذين رموا الالتزام وراء ظهورهم لأجل فُتات من الدنيا، وليسمعها كثير من الدعاة اليوم الذين تخلوا عن مبادئهم مقابل ثمنٍ بخس.

"اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار".

أيها الإخوة: ولقد وفي الأنصار بعهدهم وكانوا أنصارًا حقًا لله ولدينه ولرسوله - ﷺ -، وما زالت كلمات الأنصار تبيّض الصفائف وتتردد على ألسنة الدعاة على مر السنين، وذلك حينما استشارهم النبي - ﷺ - في غزوة بدر، فقال: «أشيروا عليّ أيها الناس»، فقال له سعد بن معاذ الأنصاري: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟! قال - ﷺ - : «أجل»، فقال سعد بلسان الأنصار كلهم: "لقد آمنّا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدنا وموآثيقنا على السمع

والطاعة، فامض -يا رسول الله- لما أردت، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل وأحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك فسر على بركة الله".

وماذا عساه القائل منا أن يقول أمام هذا الكلام الصادق والموقف الشهم؟! إنه الوفاء لله ولرسوله -ﷺ-، إنه التفاني في نصر دين الله ودعوة الإسلام من قبل أولئك الأنصار الأفاضل، فإين المتشبهون بالأنصار الناصرون لدين الله ولرسول الله ولصحابة رسول الله. "اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار".

ولما هاجر النبي -ﷺ- وأصحابه إلى المدينة، استقبلهم الأنصار خير استقبال وأطيبه، وآووههم أحسن إيواء وأجمله، لم يكن استقبالهم لهم بالشعارات البراقة ولا بالهتافات المزيفة ولا باللافات المزورة، ولا بالابتسامات المتكلفة ولا بالأشعار المصطنعة، بل كان استقبالهم لهم استقبال الرجال الأوفياء، استقبال المؤمنين الأجلاء، الذين بايعوا محمداً -ﷺ- على الجنة وعلى النصر، فأووههم، واقتسموا معهم المال

والأرض والسكن والفراش والزوجات والبساتين، وأخي الرسول بينهم وبين المهاجرين، فكانوا نعم الإخوة.

يقول عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - : "لما قدمنا المدينة أخي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بيني وبين سعد بن الربيع، فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالاً، فأقسم لك نصف مالي، وانظر أي زوجتي هويت نزلت لك عنها، فإذا حلت تزوجتها". يا الله ما هذا الإيثار

والتضحية والأخوة: ﴿وَيُؤْتِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ

وَمَنْ يُوقِ شَحْنَ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ (الحشر: ٩)

كل هذا فعلوه لأجل الله، لأجل الإسلام، لأجل الدعوة، لأجل الجنة، لم يفعلوه لأجل دنيا ولا مصالح ولا وجهة: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ

أَبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ (النساء: ١١٤)

، فليعتبر أولئك الذين يتحركون للدنيا، يعملون للمال، ينصرون الدرهم، أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «تعس عبد الدينار، والدرهم، والقטיפه، والخميصة، إن أعطي رضي، وإن لم يُعط سخط». "اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار".

رضي الله عن الأنصار، فقد كانوا يذودون عن حمى الإسلام ويدفعون عنه كل سوء، وكانوا يردّون عن رسول الإسلام - ﷺ - كل أذى وأذية، ما كانوا يسمحون لأحد أن ينال منه، لا إنسان ولا حتى حيوان، ومن أعجب ما سجلته لنا كتب السنة في هذا الشأن ما رواه لنا أنس - رضي الله عنه - قال: "خرج رسول الله - ﷺ - ذات يوم إلى عبد الله بن أبي - كبير المنافقين - راكبًا حمارًا له، وانطلق المسلمون يمشون معه، فلما أتاه رسول الله - ﷺ -، قال ابن أبي: إليك عني، فوالله لقد آذاني نتن حمارك، فغضب لذلك رجل من الأنصار فقام فقال لابن أبي: والله لحمار رسول الله - ﷺ - أطيب ريحًا منك". حتى نساء الأنصار وأبناء الأنصار.

تلك المرأة الدينارية الأنصارية التي بلغها أنّ النبي - ﷺ - قد قُتِل في أحد، فانطلقت إلى ساحة المعركة فإذا أبوها مقتولٌ وأخوها مقتول وابنها مقتولٌ وزوجها مقتول فقالت: ما فعل رسول الله؟ فلما وقعت عينها على شخص النبي اطمأنت وقالت: يا رسول الله، كل مصيبة بعدك جَلَل. أي: تهون.

"اللهم ارحم الأنصار، وأبناء الأنصار".

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على
الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد: أيها الإخوة: سيبقى ذلك المشهد المؤثر البليغ الذي وفي
فيه نبي الله - ﷺ - للأنصار عهدهم، وجازاهم به أتم الجزاء وأكمله،
ذلك المشهد الذي عرفت الأمة كلها فيه إلى يوم الدين من هم
الأنصار، وما هو قدر الأنصار عند الله تعالى وعند نبي الله - ﷺ -،
ذلك المشهد الذي أبكى الأنصار شبيهاً وشباباً، نساءً وأطفالاً.

أيها الإخوة:

لما قسم النبي - ﷺ - غنائم غزوة حنين بعد فتح مكة وإسلام
قريش، أعطى قريشاً وقبائل العرب الكثير من هذه الغنائم، ولم يعط
الأنصار شيئاً، فوجد الأنصار في أنفسهم - أي تأثروا -، وتكلم

بعضهم حتى قال قائل منهم : "لقد لقي رسول الله - ﷺ - قومه، فبلغ ذلك الكلام رسول الله - ﷺ -، فأمر بهم أن يجتمعوا، فلما اجتمعوا أتاهم، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال - ﷺ - : «يا معشر- الأنصار : مقالةً بلغتني عنكم، وجدّةً وجدتموها في أنفسكم، ألم آتكم ضللاً فهداكم الله بي، وعالةً فأغناكم الله بي، وأعداءً فألف الله بين قلوبكم؟ !»، قالوا: بلى، الله ورسوله أمنٌ وأفضل، ثم قال: "ألا تحيوني يا معشر الأنصار؟!"، قالوا: بماذا نجيبك يا رسول الله؟! الله ورسوله المنّ والفضل. قال: "أما والله لو شئتم لقلتم فلصدقتم ولصدقتم: آتينا مكذباً فصدقناك، ومخذولاً فنصرناك، وطريداً فأويناك، وعائلاً فواسيناك"، لا شهادة بعد هذه الشهادة يحتاجها الأنصار من أحد.

ثم قال لهم - ﷺ - مفسراً لم فعل ذلك: "أوجدتم عليّ -يا معشر- الأنصار- في أنفسكم في لُعاة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا؟! -أعطيت الناس هؤلاء لأنهم حديثو عهد بالإسلام، فأردت تأليف قلوبهم - ووكلتكم إلى إسلامكم".

ثم قال لهم الكلام الذي لا يوزن بكل عطايا الدنيا وهباتها : «أَلَا تَرْضَوْنَ - يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ - أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ ! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرَ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتُ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ».

ثم دعا لهم نبي الله - ﷺ - دعاءً لا ينقطع وصله، فقال: «اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ». فَبَكَى الْأَنْصَارُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا وَحَظًّا. ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - وَتَفَرَّقَ الْقَوْمُ، لِيَكُونَ هَذَا الْمَشْهَدُ هُوَ الْقَوْلُ الْفَصْلُ بِمَكَانَةِ الْأَنْصَارِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى وَعِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - وَعِنْدَ كُلِّ مَنْ يَجِبُ اللَّهُ وَعِنْدَ كُلِّ مَنْ يَتَّبِعُ رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - إِلَى يَوْمِ نَلْقَى اللَّهُ تَعَالَى.

«اللَّهُمَّ ارْحَمْ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ».

هذه نفحات من نفحات الأنصار، وتلكم مشاهد من مشاهدهم،
ومآثر من مآثرهم، نستذكرها كلما قرأنا السيرة، ونستشعر حضورهم
كلما مررنا بالمدينة، ونستحضر صنيعهم كلما رأينا الإسلام مستضعفاً
في الأَرْض، وكلما شاهدنا المسلمين مستذلين في ديارهم.

إنّ درس الأنصار هذا يقول لنا: أن نركب مركبهم في نصره دعوة
الله تعالى، وأن نسير مسيرهم في نصرته حملة هذا الدين وأتباع نبيه
الأمين - ﷺ - في مشارق الأَرْض ومغاربها، لا أن نكون من المرجفين
ولا من المخذلين ولا من المخذولين.

إنّ درس الأنصار يقول للجميع: إن نصرته دعوة الإسلام دين في
أعناقكم، إن نصرته سنة نبيكم وحمل رسالته مرصوع في ذممكم جميعاً،
فليست نصرته الإسلام منوطة في ديننا بفتة محددة ولا بلافتة معينة، بل
هي في عنق كل من في عنقه بيعة الإسلام، في عنق كل من يؤمن بنبي
الإسلام - ﷺ -: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللَّهِ أَنْصَارَ اللَّهِ﴾ (الصف:
١٤).

يقول ابن كثير: "يقول تعالى أمرًا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم، بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم".

وفي الأيام الأخيرة من حياة نبينا - ﷺ - جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك - رضي الله عنه -: "مرَّ أَبُو بَكْرٍ وَالْعَبَّاسُ - رضي الله عنهما - بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ، فَقَالَ: مَا يُبْكِيكُمْ؟! قَالُوا: ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ - رضي الله عنه - مِنَّا - أَي: جلوسنا معه فبكوا حزنًا على ذلك، فأبي قوم هؤلاء؟! وأي قلب ذلك الذي لا يحبهم؟! - فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ - رضي الله عنه - عَلَى النَّبِيِّ - رضي الله عنه - فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ، قَالَ: فَخَرَجَ النَّبِيُّ - رضي الله عنه - وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ، فَهُوَ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ، قَالَ: فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ وَلَمْ يَصْعُدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ؛ فَإِنَّهُمْ كَرِثِي وَعَيْبَتِي - أَي بطانتي وخاصتي -، وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ - أَي أدوا ما عاهدوا عليه من النصره وغيرها -، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ».

فحبّنا للأنصار دين وعقيدة وإيمان، وكُرّهنا ومعاداتنا لمن يبغض
الأنصار ولمن يطعن بالأنصار أصحاب محمد - ﷺ - هو كذلك هو
دين وعقيدة وإيمان.

حبّنا للأنصار ولمن ينصر دين الله ويبلغ دعوة نبي الله - ﷺ - ويذود عن
حمى أمته في كل زمان ومكان، هو صلاح وقربة، وإيمان وعبادة، وتقوى
وأمانة، وواجب وسنة.

اللهم ارزقنا حب الأنصار، وحب ذرية الأنصار، وحب أتباع الأنصار في
كل حين وأوان، وموطن ومكان. آمين.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في
كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



القضاء

الحمد لله - تبارك وتعالى - يقضي بما شاء، ويفعل ما يريد، وربك يخلق ما يشاء ويختار، أحمده - سبحانه - وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يحاسب على الفتيل والقطمير، وكفى بالله حسيباً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من سعى وطاف، وأفضل من بكى لله وخاف، صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: أوصيكم - أيها الناس - ونفسي - بتقوى الله ﷻ، فاتقوا الله رحمكم الله، وتوبوا إليه فإنه يحبّ التوابين، واستغفروه ذنوبكم فهو خير الغافرين، اتقوه مخلصين، وتوبوا إليه نادمين، انصروه ينصركم، وأطيعوه يثبتكم، اغتنموا الصالحات لأنفسكم، فمن عمل صالحاً فسوف يراه، ومن فرط حلّ به الندم ودام حزنه وشقاه، والويل لمن زلت به قدماه يوم ينظر المرء ما قدمت يداه.

أيها المرسلون:

حديثنا معكم في هذه الدقائق الغالية عن مؤسسة من مؤسسات الدولة، مؤسسة إن صلحت أمن الناس على أموالهم ورُدَّت إليهم حقوقهم وعُوقب المجرمين، مؤسسة هي المخولة في شريعتنا بإقامة الحدود وليس القبيلة ولا الشيخ ولا الأحزاب والطوائف.

نعم الحدود جاء في الحديث: «لَحْدٌ يُقَامُ فِي الْأَرْضِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَمَطَّرُوا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا». (أخرجه أحمد (٢/٣٦٢، ٤٠٢)، والنسائي في قطع السارق (٤٩٠٤)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٣٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه وصححه ابن الجارود (٨٠١)، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٣١)).

نعم حدٌ يُقَامُ يَصْلِحُ الْبِلَادَ وَالْعِبَادَ خَيْرٌ مِنْ مَطَرٍ أَرْبَعِينَ عَامًا؛ لِأَنَّ الْمَطَرَ مَنْفَعَتُهُ مَحْدُودَةٌ وَحُدُودُ الشَّرْعِ مَصْلَحَةٌ عَامَّةٌ لِلْفَرْدِ وَالْمَجْتَمَعِ فِي الْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ.

نتكلم عن القضاء ونحن نتذكر قول النبي ﷺ - «القضأة ثلاثة، وأحد في الجنة واثنان في النار، فأما الذي في الجنة فرجلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ» (رواه أبو داود وابن ماجه وسنده صحيح).

القضاء الفاسد والحكم الظالم هو الذي حكم بسجن نبي الله يوسف
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

القضاء الفاسد والحكم الظالم هو الذي حكم بالإعدام على خيرة
العلماء والصالحين على مر التاريخ إلى اليوم.

سجدات الله: ان الله قادر على نصر أوليائه في كل مكان ولكنه البلاء
والاختبار ليعلم الله من يقف مع الحق ومن يقف مع الباطل من
ينصر هؤلاء ومن ينصر- هؤلاء قال تعالى: ﴿وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَأُنْصَرَ مِنْهُمْ
وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ﴾ (محمد : ٤)

القضاء الفاسد يجعل الدماء تسيل بغطاءٍ قانوني.

القضاء الفاسد يجعل الأموال تُنهب بغطاءٍ قانوني.

القضاء الفاسد يجعل الأطهار والأخيار وأهل القرآن شر الناس
وبغطاءٍ قانوني.

لأهمية القضاء قال - ﷺ - : « من ولي القضاء، أو جعل قاضياً، فقد ذُبح بغير سكين » (أخرجه الترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الترمذي ٥ / ٢).

القضاء من أشد الوظائف خطورة، فالقاضي يفتي الناس ويحكم بينهم بالعدل والسوية، دون محاباة لأحد على آخر، فالكل لديه سواسية، لا فرق بين كبير ولا صغير، ولا ذكر ولا أنثى، ولا وضع ولا رفيع، فالكل مسلمون، وفي شريعة الرحمن إخواناً تجمعهم روابط الأخوة والدين الواحد.

وهذه باقة يانعة من كتاب الله جل وعلا، تبين خطورة الإجحاف في القضاء، بل تبين خطورة القضاء بين الناس:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ حَكَمْتَ فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾ (المائدة: ٤٢)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ

﴾ (المائدة: ٤٤)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

﴿٤٥﴾ (المائدة: ٤٥)

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ

﴿٤٧﴾ (المائدة: ٤٧)

وقال تعالى: ﴿فَأَحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا

جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ (المائدة: ٤٨)

وقال تعالى: ﴿وَأِنْ أَحْكَمُ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

وَأَحْذَرَهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (المائدة: ٤٩)

وقال -صلى الله عليه وسلم-: «إِنْ شِئْتُمْ حَدَّثْتُكُمْ عَنِ الْإِمَارَةِ مَا هِيَ: أَوْلَهَا مَلَامَةٌ،

وِثَانِيهَا نَدَامَةٌ، وَثَالِثُهَا عَذَابٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مِنْ عَدْلِ» (أَخْرَجَهُ الْبِزَارُ

وَالطَّبْرَانِيُّ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ).

عِبَادَ اللَّهِ: مَنْ سَأَلَ الْقَضَاءَ يَجِبُ أَنْ لَا يُولَاهُ، وَمَنْ اسْتَعَانَ

بِالشَّفْعَاءِ لِلْوَصُولِ لِلْقَضَاءِ، يَجِبُ أَنْ يُحَالَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهِي، حَتَّى

لا يكون المجال رحباً للتنافس في تحصيل ملذات الدنيا، وزينتها
وبهرجتها.

أيها الأماجد، القضاء مهمة شاقة، وأمانة ومسؤولية عظيمة فمن حملها،
فكأنما حمل جبال الأَرْض على ظهره، فإما أن يقوم بحقها، ويكون الله معه، ويُعان
على ذلك، وإما أن يخون الأمانة، ويركن للدنيا فتقضم ظهره.

وأعجب كل العجب عندما يتولى أحدهم القضاء، وليس لديه من
العلم الشرعي إلا بصيص، وهذا واقع ملموس، حتى أن بعض القضاة
ربما يُسأل في مسألة بسيطة يجب أن يُلم بها لنفسه أولاً، ولمكانته ثانياً،
ومع ذلك يُجار في الجواب، ويتعدى الصواب.

وعجبي لقاضٍ يضع رجلاً على الأخرى في مكتبه، ولا يحترم
الخصوم، ولا يصفح من صافحه، ومنهم من يصفح برؤوس أصابعه،
ومنهم من لا يرد السلام، ولا يتلکم بكلام، فما هذا القضاء، أهذا قضاء
أم تكبر واستهزاء؟

ومنهم من تراه معبساً في مكتبه وفي حيه وفي شأنه كله، ومنهم من لا
يستيقظ لعمله إلا في العاشرة صباحاً ولا ينزل لحل قضية بين

متخاصمين إلا بعد دفع مبالغ طائلة. يا الله ما هؤلاء القضاة نعم والله
لقد أساءوا للقضاء، وتمردوا على الله تعالى، وأصبح همُّ أحدهم جمع أكبر
قدر من المال، والتوسع في البنيان، والتوطن في البلدان، والتفاخر في
المراكب، سبحان الله أي قضاة أولئك؟

القاضي قديماً يفض النزاع بين الناس، ويساوي بين الخصوم،
وهؤلاء يشعلون فتيل النار، ويخربون الدار، ولا يحترمون الجار،
ويفرون بين المرء وأخيه، حتى تقع الشحناء، وتحصل البغضاء،
ويقولون نحن قضاة.

قال - صلى الله عليه وسلم -: «إن الله مع القاضي، ما لم يجُر، فإن جار، تحلى الله عنه،
ولزمه الشيطان» (أخرجه الترمذي وابن ماجه، وحسنه الألباني ٦٦/٢).

وهاكم الطامة الكبرى، والمصيبة العظمى، إذا ارتشى القاضي،
وحكم للظالم، وهضم حق المظلوم، هنا باء بلعنة الله تعالى، وخرج
من رحمة أرحم الراحمين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «لعن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - الراشي والمرتشي في الحكم» (أخرجه الترمذي وابن ماجه، وصححه
الألباني ٦٨/٢).

وما أكثرهم اليوم، فنحن نرى القاضي يتعين ويبقى سنتين أو ثلاث، وإذ لديه مسكناً فخماً، وسيارة فارهة، ومزرعة واستراحة، فمن أين لك هذا؟ ولو كان من حلال، لا ينبغي لك أن يجعل نفسه عُرضة للاتهام.

لا يظن ظان، أنني أعمم جميع القضاة فيما قلته، لا والذي نفسي بيده، وإنما هم ثلثة، وقلة قليلة، ممن أنساهم الشيطان ذكر ربهم، ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة، فوقع منهم ما وقع، والافهناك قضاة لا أقول أمناء، ولا أقول نُزهاء فقط، بل هم الأمانة بعينها، والنزاهة برمتها، فلهم منا كل التحية والاحترام، ولهم منا خالص الدعاء، أن يثبتهم الله، ويسدد أقوالهم، ويصوب أحكامهم، ويجعلهم يوم القيامة في ظله يوم لا ظل إلا ظله، وأن يكونوا على منابر من نور على يمين الرحمن جل وعلا.

أيها المرسلون: القضاء ملاذ المظلومين ومنتهى الخائفين وزورق نجاة الضعفاء فإذا فسد قضاء أمة وأصبح حاميتها حراميتها فلمن يشتكى المظلوم!!؟

إن أشدَّ ما تُصاب به مؤسسة من المؤسسات أو جماعة أو حتى بيت من البيوت هو أن يكون مديرها وقائدها وربها وحاميها ظالماً؛ لا يري إلا نفسه ولا يسعى إلا لمصلحه.

فكيف إذا جمع مع الظلم غدراً وكذباً وخيانة!!؟

كذلك الحال في الأمم والدول؛ فينصر الله الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مسلمة، قال تعالى:

﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَنْظِرْ كَيْفَ

كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ

بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ

﴿٥٢﴾ (النمل : ٥٢)

إذا خان الأميرُ وكتباهُ وقاضي الأرضِ داهنَ في القضاءِ
فويلٌ ثمَّ ويلٌ ثمَّ ويلٌ لقاضي الأرضِ من قاضي السماءِ

عَنْ جَابِرٍ قَالَ لَمَّا رَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - مَهَاجِرَةَ الْبَحْرِ قَالَ: «
أَلَا تُحَدِّثُونِي بِأَعَاجِبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْحَبْشَةِ». قَالَ فِتِيَةٌ مِنْهُمْ بَلَى يَا

رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَرَّتْ بِنَا عَجُوزٌ مِنْ عَجَائِزِ رَهَابِيْنِهِمْ تَحْمِلُ
 عَلَى رَأْسِهَا قُلَّةً مِنْ مَاءٍ فَمَرَّتْ بِفَتَى مِنْهُمْ فَجَعَلَ إِحْدَى يَدَيْهِ بَيْنَ كَتِفَيْهَا
 ثُمَّ دَفَعَهَا فَخَرَّتْ عَلَى رُكْبَتَيْهَا فَانْكَسَرَتْ قُلَّتُهَا فَلَمَّا ارْتَفَعَتِ التَّفَتَّتْ إِلَيْهِ
 فَقَالَتْ سَوْفَ تَعْلَمُ يَا غَدْرُ إِذَا وَضَعَ اللَّهُ الْكُرْسِيِّ وَجَمَعَ الْأَوَّلِينَ
 وَالْآخِرِينَ وَتَكَلَّمَتِ الْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ فَسَوْفَ تَعْلَمُ
 كَيْفَ أَمْرِي وَأَمْرُكَ عِنْدَهُ غَدًا.

قَالَ يَقُولُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ - « صَدَقْتَ صَدَقْتَ كَيْفَ يُقَدِّسُ اللَّهُ أُمَّةً لَا
 يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ ». (ابن ماجة وابن حبان في صحيحه وحسنه الألباني)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر
 الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على
 الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً
 عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

عباد الله: إذا فسد القضاء وخاب الأمل في قاض الأَرْض وضاع الحق في الدنيا فالفصل في القضاء بين يدي الله في محكمة الحق الإلهية فهناك يوم للحكم والفرقان والفصل في كل ما كان. وهو اليوم المرسوم الموعد الموقوت بأجل عند الله معلوم محدود للفصل في جميع القضايا المعلقة في الحياة الأرضية، والقضاء بحكم الله فيها، وإعلان الكلمة الأخيرة والحكم النهائي.

يجتمع الظالم والمظلوم والقاتل والمقتول الجاني والمجني عليه فتبلى السرائر وتظهر الحقائق ويعطي المظلوم حقه، قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ

الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ

حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾ (الأنبياء: ٤٧)

أَمَا وَاللَّهِ إِنَّا ظَلَمْنَا لَوْمًا وَمَا زَالَ الْمُسِيءُ هُوَ الظَّالِمُ
إِلَى دِيَّانٍ يَوْمَ الدِّينِ نَمُضِي- وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الخُصُومُ
سَتَعَلَّمُ فِي الحِسَابِ إِذَا التَّقِينَا غَدًا عِنْدَ الإِلهِ مِنَ المُلُومِ

تجتمع الخلائق للقضاء الحق وقاعة المحكمة يعلوها الصمت التام

فلا يعلوا إلا صوت الحق ﴿يَوْمِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ، وَخَشَعَتِ

الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه : ١٠٨)

وليس هناك محامون إلا من عمل صالحاً، قال تعالى: ﴿يَوْمِذٍ لَا

تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ (طه : ١٠٩)

القاضي فيها يحكم بعلمه فلا يخفي عليه شيء ﴿يَوْمِذٍ تُعْرَضُونَ لَا

تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ﴾ (الحاقة : ١٨)

ولا بد من إحضار المتهم فليس فيها حكم غيابي ﴿يَوْمَ هُمْ بَارِزُونَ لَا

يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ (غافر : ١٦)

والجهة التنفيذية فيها ﴿مَلَكَةٌ غَلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ

وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ (التحريم : ٦)

والمظلوم حتماً يشفي الله غليله ويذهب غيظه ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ

الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ (طه : ١١٢)

فالميزان حساس بمثقال الذرة ولا يضيع فيها حق ولا يتبدد ولا يسقط الحكم بالتقادم.

فيا من اتهمت ظلماً فسُجنتَ أو صودرت أموالك أو جُرحت أو أُصبت بأي أذى لا بد أن يقف لك ظالمك ذليلاً خاشعاً لتقتص منه وإذا كان يوم ظلمك يوماً شديداً عليك فيوم ظالمك عليه أشد

﴿ الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ﴾ (٢٦)

(الفرقان : ٢٦)

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبِ الْقُرَظِيِّ، قَالَ: ثَلَاثُ خِصَالٍ مَنْ كُنَّ فِيهِ كُنَّ

عَلَيْهِ: الْبَغْيُ، وَالنُّكْثُ، وَالْمُكْرُ. وَقَرَأَ: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمُكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

بَأَهْلِهِ﴾ (فاطر : ٤٣)، ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ﴾ (يونس :

٢٣)، ﴿فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾ (الفتح : ١٠) (رواه أبو نعيم في

" أخبار أصبهان " وأبو الشيخ وابن مردويه في التفسير)

وأما الشهود فيها؛ فهناك تسجيل لكل الأحداث فمن علم

الإنسان التوثيق بالصوت والصورة بوسائل التكنولوجيا الحديثة

أيعجز عن توثيق ظلمهم صوتاً وصورة؟! !! فهناك سجلات

مدونة لظلمهم، ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ

تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ

﴿٢٩﴾ (الجاثية : ٢٩)

وملائكة حفاظ قال تعالى : ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ ۚ

بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ (الزخرف : ٨٠)

وتحدث المفاجآت فيشهد علي الظالم جوارحه، قال تعالى : ﴿يَوْمَ

تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ (النور : ٢٤)

ويكفينا أن الله شاهد ومطلع فسيحانه علام الغيوب، قال تعالى : ﴿فَكَفَىٰ

بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغْفِيلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلَأُونَ كُلُّ نَفْسٍ مَّا

أَسْلَفَتْ ۗ وَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۗ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يُفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾ (يونس :

٣٠)

يا قضاة الحق :

أنتم قلب الدولة إن صلح القلب صلحت الدولة كلها وإن فسد

ضاعت الدولة كلها فعليكم بوصية الله لكم، قال تعالى : ﴿قُلْ رَبِّ

أَحْكُم بِالْحَقِّ ۗ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ (الأنبياء : ١١٢)

وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ

سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ (النساء : ٥٨)

عَنِ ابْنِ بَرِيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - قَالَ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ وَأَحَدٌ فِي الْجَنَّةِ
وَإِثْنَانِ فِي النَّارِ فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَى بِهِ وَرَجُلٌ عَرَفَ
الْحَقَّ فَجَارَ فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ وَرَجُلٌ قَضَى لِلنَّاسِ عَلَى جَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ
». (رواه أبو داود وابن ماجه والترمذي وصححه الألباني وصححه العراقي).

هذه رسالة أوجهها إلى رجال الأمن، وأقول فيها: يا رجال
الأمن، استعينوا بالله واصبروا، ولا تهنوا ولا تحزنوا، فالله معكم ولن
يترككم أعمالكم.

ان الله خص أولئك الأشخاص الذين يقومون بالأمن والحراسة؛ أولئك
الأقوام الذين بذلوا أرواحهم لحراسة المسلمين، خصهم الله بأجر عظيم،
يقول الله سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا

اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾ (آل عمران : ٢٠٠)، يقول ابن كثير رحمه الله: "المرابطة
هي حفظ ثغور المسلمين وصيانتها عن دخول الأعداء إلى حوزة بلاد
المسلمين" اه، فكيف إذا كان ذلك العدو من داخل البلد؟! "

وَلَقَدْ جَاءَتْ النُّصُوصُ الشَّرْعِيَّةُ الكَثِيرَةُ فِي فَضْلِ عَمَلِ المَرَابِطِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَى تُغُورِ المُسْلِمِينَ، رَوَى البُخَارِيُّ عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»، وَرَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أَنَّهُ قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرِي عَلَيْهِ رِزْقُهُ وَأَمِنَ الفِتَّانَ». هَذَا وَصَلُوا - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - عَلَى خَيْرِ البرية، وَأَزكى البشرية مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المَطْلَبِ صَاحِبِ الحَوْضِ وَالشَّفَاعَةِ، فَقَدْ أَمَرَكَمُ اللَّهُ بِذَلِكَ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ الكَرِيمِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



حَسَنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ تَعَالَى

الحمد لله المطلع على أسرار الغيوب، الرقيب على بواطن القلوب، أحده على نعمه الكرام، وآلائه العظام، وموآبه الجسام.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة صدق ويقين،
فإنها عزيمة الإيمان، وفتحة الإحسان، ومرضاة الرحمن، ومدحرة
الشیطان.

يا من يرى ما في الضمير ويسمع أنت المعدُّ لكل ما يُتوقع
يا من يُرَجى للشدائد كلها يا من إليه المشتكى والمفزع
يا من خزائن رزقه في قول كُنْ أُمِنَ فإن الخير عندك أجمع
مالي سوى فقري إليك وسيلة فبالافتقار إليك فقري أَدفع
مالي سوى قرعي لبابك حيلة فلئن رددت فأني بابٍ أقرع
ومن الذي أَدعو وأهتف باسمه إن كان فضلك عن فقيرك يمنع
حاشا لجودك أن تقنط عاصيا الفضل أجزل والموآهب أوسع

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده المصطفى، ورسوله المجتبي، وأمينه على وحي السماء،
صلى الله عليه وعلى آله مصابيح الدجى، وأصحابه مفاتيح الهدى، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا

وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران : ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ

وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي

تَتَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء : ١).

عباد الله: نعيش وإياكم مع عبادةٍ قلبية طالما غفلنا عنها، عبادة

من صميم التوحيد، إنها حُسنُ الظنِّ باللهِ تعالى، فما هو حُسنُ الظنِّ

بالله؟ هو قوة اليقين بما وعد الله تعالى عباده من النصر والعفو والمغفرة

والرحمة، إن الله تعالى مدح الذين أحسنوا الظنِّ به، وأثابهم، وذم

الذين أساءوا الظنِّ به، فقال الله عنهم: ﴿ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ عَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ

الْجَاهِلِيَّةِ ﴾ (آل عمران : ١٥٤)، وقال تعالى: ﴿ وَيُعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ

وَالْمُنْفِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ بِاللَّهِ ظَنِّ السَّوِّءِ عَلَيْهِمْ

دَائِرَةُ السَّوِّءِ وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا

﴿ ٦ ﴾ [الفتح: ٦]

أَخْلَجَ الْكُرَيْمِ: من شدة قرب رحمة الله منك ليس عليك الا أن تظن بالله أي شيء تحب أن يفعله لك سيكون عند حسن ظنك. أي شيء. تظن بالله أنه سيرحمك سيرحمك.

تظن أنه سيعتقك من النار سيعتقك.

تظن أنه سيدخلك الفردوس سيفعل ذلك.

تظن أنه سيستجيب لك سيستجيب لك.

هذا كلام الله ليس كلامي اسمع كلامه في الحديث القدسي قال رسول الله ﷺ قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي؛ فليظن بي ما شاء»، وفي رواية قال الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي؛ إن ظن بي خيراً فله، وإن ظن شراً فله».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إن حسن الظن بالله تعالى من حسن العبادة» (رواه أبو داود والترمذي).

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «والذي لا إله غيره ما أعطي عبداً مؤمناً شيئاً خيراً من حسن الظن بالله ﷻ، والذي لا إله غيره لا يحسن عبد بالله ﷻ الظن إلا أعطاه الله ﷻ ظنّه؛ ذلك بأنّ الخيرَ في يده» (رواه ابن أبي الدنيا في حسن الظن).

عباد الله: ما الذي يجعلنا نحسن الظن بالله تعالى، نحسن الظن بالله لأن رحمته واسعة وسعت كل شيء وربك الغفور ذو الرحمة.

نُحسِنُ الظن بالله لأن رحمته سبقت غضبه، ما سمي نفسه الغفور إلا ليغفر لنا، ما سمي نفسه العفو إلا ليغفو عنا.

نحسِنُ الظن بالله لأنه جعل رحمة في الأَرْضِ وأخر تسعة وتسعين جزءاً إلى يوم القيامة، والله حينئذٍ سيكون أرحم بنا من كل شيء.

روى البيهقي في الشعب عن رجل من ولد عبادة بن الصامت عن أبي هريرة مرفوعاً: أمر الله عز وجل بعبد إلى النار فلما وقف على شفيرها التفت، فقال: له لم التفت فقال أما والله يا رب إن كان ظني بك لحسناً، فقال الله عز وجل: ردوه عن النار فأنا عند ظن عبدي بي.

قيل لأعرابي: إنَّك ميّت . . .

فقال: ثمَّ إلى أين؟

قيل له: إلى الله تعالى.

قال: ما وجدنا الخير إلا من الله تعالى . . . أفنخشى لقاءه.

ما أجمل حسن الظنِّ باللهِ!!!

سأل رجل ابن عباس: من يحاسب النَّاس يوم القيامة؟

قال: الله، قال الرَّجل: نجونا وربَّ الكعبة...! فما ظنكم برب

العالمين ما أجمل. حسن. الظنِّ. بالله.

حسن الظن بالله في كل موطن لكنه مطلوب أكثر في موطن،

منها:

أولاً: عند الموت، فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل

موته بثلاثة أيام يقول: «لا يموتنَّ أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله

ﷺ» (رواه مسلم).

وعن أنس رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم دخل على شاب وهو في الموت، فقال:

«كيف تجدك؟» قال: والله يا رسول الله إني أرجو الله، وإني أخاف

ذنوبي. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يجتمعان في قلب عبد في مثل هذا

الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وآمنه مما يخاف» (رواه الترمذي ح (٩٨٣)،

وابن ماجه ح (٤٣٦١)).

قال سهل القطعي - رحمته -: رأيت مالك بن دينار - رحمته - في منامي،
فقلت: يا أبا يحيى ليت شعري، ماذا قدمت به على الله ﷻ؟ قال:
قدمت بذنوب كثيرة، فمحاها عني حسن الظن بالله رواه ابن أبي
الدنيا في حسن الظن.

احتضر - شاب فبكت أمه، فقال: يا أمّ لو أنّ حسابي يكون بين
يديك فما تفعلين بي؟

قالت: أرحمك. فقال: الله أرحم بي منك...! لا إله الا الله ما
أجمل. حسن. الظنّ. بالله.

فما ظنكم برب العالمين اللهم انا نحسن الظن بك فأحسن لنا
الختام لكن هذا الأمر لا يقودنا إلى التواكل؟! والاتكال على الرحمة،
وترك العمل، والوقوع في الكبائر والذنوب؟! كلا والله، هذا حرام لا
يجوز، فإن الاتكال إنما يكون مع الإحسان في العمل والعمل
بالأسباب.

ويقول الحسن البصري - رحمه الله -: "إن المؤمن أحسنَ الظن بربه فأحسن العمل، وإن الفاجر أساءَ الظن بربه فأساءَ العمل" (رواه أحمد في الزهد).

الموطن الثاني لحسن الظن عند الشدة والكرب والأزمات:

فإن الثلاثة الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ في تبوك لم يكشف عنهم ما بهم من كرب وضيق إلا بعدما أحسنوا الظن بربهم، قال تعالى: ﴿وَعَلَى

الْثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

الْتَوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ (التوبة: ١١٨)

وتأمل في قوله: ﴿وَضَاقُوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ﴾، فلما أحسنوا

الظن بالله رزقهم الله إياه.

أخاي المؤمن:

ثق بأن الله له حكمة في كل شيء، وعندما تقع في مشكلة اعلم أن

الله يسعى لإنقاذك بالوسيلة التي يختارها لك.

وإذا البشائرُ لم تُحَن أوقاتُها فليحكمة عند الإله تأخرت
 سيسوقها في حينها فاصبر لها حتى وإن ضاقت عليك وأقفرت
 تجري دموع اليأس منك وربما عند الصباح ترى البشائرَ أنورت
 وتقول سبحان الذي رفع البلاء من بعد أن فقد الرجاء تيسرت
 أخلاي اللبيب: إذ لساءت الظروف لا تخاف اعلم أن الله معك، ثق
 بأن الله له حكمه في كل شيء، دائماً أحسن الظن بالله، اعلم أن الله
 معك دائماً، عندما يصيبك كرب اعلم أن الله سيساعدك.

تأملوا في أم موسى تخاف على رضيعها من بطش فرعون ويأتيها
 الإلهام من ربه، قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فإِذَا
 خِفَتْ عَلَيْهِ فَكَأَلَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ
 مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ (القصص : ٧)

لولا ثقتها برها وحسن ظنها به ما أقت فلذة كبدها في اليم، قال
 تعالى: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَىٰ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۗ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ
 وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا ۗ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ (القصص : ١٣)

موسى عليه السلام فرعون من خلفه والبحر من امامه وقومه

يقولون: ﴿إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]

وهو يحسن الظن بالله تعالى أنه لن يخذله لن يتركه قال: ﴿كَلَّا إِنَّ

مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [٦٢] [الشعراء: ٦٢] فجاء الفرج .

ورسولنا ﷺ في الغار يقول وهو يحسن الظن بمعية الله وحفظه :

﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]

الموطن الثالث لحسن الظن بالله عند ضيق العيش :

أن تحسن الظن بالله في رزقك، أن الله سيرزقك، ويسوق رزقك

إليك، وأنه سبحانه لن يضيعك، فإن الله لا يضيع من يتوكل عليه :

﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ (الطلاق : ٣)، ومن يتوكل على الله

يرزقه من حيث لا يحتسب .

وما وقع لأمننا هاجر ليس عنكم ببعيد، وهي تقول للخليل

إبراهيم عليه السلام: " يا إبراهيم لمن تتركنا؟ يا إبراهيم آآ الله أمرك بهذا.

فأشار إليه أن نعم، قال إذا لن يضيعنا. أحسنت ظنها برهبها فكان
الفرج وزوال الهم .

قُلْ لِلَّذِي مَلَأَ التَّشَاوُْمُ قَلْبَهُ *** وَمَضَى - يُضَيِّقُ حَوْلَنَا الْآفَاقَا
سُرُّ السَّعَادَةِ حُسْنُ ظَنِّكَ بِالَّذِي *** خَلَقَ الْحَيَاةَ وَقَسَمَ الْأَرْزَاقَا
الموطن الرابع لحسن الظن بالله عند غلبة الدَّين:

ومن عجيب ما قرأت في هذا الباب ما ثبت في صحيح البخاري
من قول الزبير بن العوام لابنه عبد الله رضي الله عنه: يا بني إن عجزت عن
شيء من ديني فاستعن عليه مولاي. قال عبد الله: فو الله ما دريت ما
أراد حتى قلت: يا أبت من مولاك؟ قال: الله. قال: فو الله ما وقعت
في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض عنه دينه، فيقضيه.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات
والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

الموطن الخامس لحسن الظن بالله تعالى عند الدعاء:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة» (رواه الترمذي ح (٣٤٧٩) والحاكم ح (١٨١٧) وأحمد (٦٦١٧) قال الهيثمي: وإسناده حسن (١٠/١٤٨)).

فإذا دعوت الله -أيها المؤمن- فعظم الرغبة فيما عنده، وأحسن الظن به. وإني لأدعو الله حتى كأنني *** أرى بجميل الظن ما الله صانعُه روى أحد الثقات أنه في يوم روي أحد الصالحين وهو ينظف ميزاب أحد الأسطح، فسئل: يا شيخ لم تنظف الميزاب والجو صحو؟! فقال: ألا تعلمون أنه غداً صلاة الاستسقاء؟! !!

أُنظروا إلى قوة الإيمان وحُسن الظن بالله..

سُئِلَ أحدُ السَّلَفِ: هل تعرف رجلاً مستجاب الدعوة؟

قال: لا، ولكنني أعرف من يستجيب الدعوة.

ما أجمل حسن الظنِّ. بالله!!

اسمعوا الى هذا الحوار يقول القائل

أيقبلني ربي؟ نقول له = يقبلُك.

-وذنبِي؟ = يغفره.

-ونفسي؟ = يهديها.

-وقلبي؟ = يُنيره.

-وهَمِّي؟ = يُزيله؟

-أيقبلني ربي؟ نعم = يقبلُك.

-ذنبِي كبير! = رحمتُهُ أكبر.

-نفسي ضعيفة.. = بالله أقوى.

- شيطاني ماكر.. = مكرهٌ ضعيف.

- لماذا لا يحدثُ ما أُريدُ وما دعوتُ الله به؟!!

= ليحدث ما يريد الله..

- ألا يريد الله سعادتِي؟!!

= بلى يريد..

- إذاً لماذا لا يفعل ما سيسعدني؟!!

= لأن ما تطلبه لن يُسعدك..

- لكنني أحزن إن لم يحدث!

= لكنك ستحزن أكثر إن حدث..

- وكيف أسعد؟!!

= بالرضا..

- وكيف أرضي؟!!

= بعلمك أن الله يعلم وأنت لا تعلم.

- لكنني أتألم.

= لتؤجر.

- لكنني أحزن!

= ستفرح..

- ضاقت!

= ستسع..

- ضعيفٌ أنا.

= قويٌ هو..

- أئجبنِي!

= يُحبك..

- أئجبنِي ويُبكِنِي!

= ليُطهِّرَكَ..

- أئجبنِي ويبتلِينِي! = ليُقربَكَ.. فلا إله إلا الله

هكذا هم الرجال الصادقون، فاللهم ارزقنا حُسن الظن فيك.

كم بُت في ظلمات الليل منفرداً *** أشكو إلى الله آلاماً أُلقيها
ففي الفؤاد هموم كنت أكتمها *** وما لغير الرحمن أحكيها
إني لأرفع كفي حين أرفعها *** لخالقي ودموع العين ترويها
فاغمض الجفن وآلم ذاهبَةً *** لأن ربي بحُسن الظن يطويها

الموطن السادس لحُسن الظن بالله تعالى عند التوبة:

فعن أبي هريرة - رضي الله عنه -، عن النبي - صلى الله عليه وسلم - فيما يحكي عن ربه ﷻ - قال:

«أذنب عبد ذنباً، فقال: اللهم اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: أذنب

عبدي ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال:

أي رب اغفر لي ذنبي. فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً

يغفر الذنب ويأخذ بالذنب. ثم عاد فأذنب، فقال: أي رب اغفر لي ذنبي.

فقال تبارك وتعالى: عبدي أذنب ذنباً فعلم أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ

بالذنب. اعمل ما شئت فقد غفرت لك» (رواه مسلم). أي: ما دمت أنك

تذنب وتتوب فإني أتوب عليك ولو تكرر الذنب منك.

أي: ما دمتَ أنك تَذنب وتُتوب فإن الله يتوب عليك ولو تكرر الذنب منك. اسمع الى الحديث القدسي عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله تبارك وتعالى: يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان فيك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك ولا أبالي، يا ابن آدم إنك لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة (رواه الترمذي وصححه ابن القيم وحسنه الألباني).

سبحانه القائل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا

تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾
(الزُّمَرُ : ٥٣)

أيها المؤمنون: من يتأمل واقع الأمة اليوم وما يحصل للمسلمين من بلاء وشقاء وسفك للدماء وتسلط للأعداء؛ من ظن أن الله لن ينصر أوليائه، ولن ينصر الدعوة إليه، ولن ينصر المؤمنين فهو مسيء الظن بالله.

ومن إذا تأمل الشرق والغرب قال: إن الدولة ستكون لهم طيلة الوقت، فهو مسيء الظن بالله.

ألم يتعهد الله بأن ينصر من ينصره في الدنيا قبل الآخرة! !

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٢١) (المجادلة : ٢١)،

﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (٤٠) (الحج : ٤٠)

والله الذي لا إله إلا هو ليأتين نصر الله، والله الذي لا إله إلا هو

ليقومن الإسلام قومة يمحو الكفر، فلا يكون له وجود، ولتعلمن

نبأه بعد حين، ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد

بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم

الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا. اللهم صل وسلم

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



مفاتيح رحمة الله (١)

الحمد لله لم يزل علياً، ولم يزل في علاه سمياً، قطرةً من بحر
 جوده تملأ الأرض رياً، نظرةً من عين رضاه تجعل الكافر ولياً، الجنة
 لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً و النار لمن عصاه ولو شريفاً قرشياً،
 أنزل على نبيه ومصطفاه قولاً بهياً ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ
 تَقِيًّا﴾ (٦٣) (مريم : ٦٣)، وأشهد أن لا إله إلا الله العز كل العز في طاعته،
 والذل كل الذل في معصيته، سبحانه، غنى كل فقير، وعز كل ذليل،
 وقوة كل ضعيف، ومفزع كل ملهوف، من تكلم سمعت نطقه، ومن
 سكت علمت سرّه.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله صلوات الله وسلامه عليه وعلى
 آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

(آل عمران: ١٠٢)

أما بعد:

نعيش وإياكم مع أجمل وأحلي شيء في الحياة، شيء لو دخل في حياتك وبيتك صلحت أمورك كلها، وعشت أسعد حياة، وأحلي حياة.

إنها رحمة الله القائل: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ

مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ (يونس : ٥٨)

ما المخرج مما نحن فيه؟ ما النجاة من الهموم والمصائب والأزمات؟ إنها رحمة الله لا ملجأ ولا منجاة منه إلا إليه.

دخول الجنة التي عرضها السموات والأرض، ليس مقابل طاعاتنا وصلاتنا وقرباتنا؛ فالجنة غالية إنها يدخل الله تعالى عباده السعداء جنته برحمته، وبمحض فضله وإحسانه وجوده وكرمه، ففي الحديث الشريف قال - ﷺ -: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخل أحدًا الجنة عمله» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟! قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة» (أخرجه البخاري ومسلم).

من يحمينا من الشيطان ومكائده إلا رحمة الله، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا

فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ، لَا تَبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (النساء : ٨٣)

من يحمينا من قرناء السوء واتباع الهوى الذين يحاولون إبعادنا عن

الخير والإيمان قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ، لَهَمَّتْ

طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ

شَيْءٍ﴾ (النساء : ١١٣)

كم نخوض بألستتنا!! كم نتكلم في أعراض الآخرين! كلماتنا

تهلكنا لولا رحمة الله القائل: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، فِي الدُّنْيَا

وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور : ١٤)

من هدانا من زكانا من دلنا على الخير وأدخلنا المسجد وأعاننا على

طاعته؟ إنها رحمة الله القائل: ﴿وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ، مَا زَكَا

مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (النور : ٢١)

نعيش وإياكم مع مفاتيح رحمة الله.

المفاتيح، والمفاتيح رمز للخير والمال ورمز للخزائن، ولقد وصف

الله غنى قارون بذكر مفاتيحه، قال تعالى: ﴿إِنَّ قَارُونَ كَانَ

مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَأَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءَ بِالْعُصْبَةِ

أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ (القصص:

٧٦)

حتى في المنام من رأى مفاتيح فهي رمز لفتح الأرزاق والخيرات. واليوم سنعيش وإياكم مع المفاتيح؛ لكنها ليست مفاتيح المال والدنيا؛ بل مفاتيح رحمة الله عز وجل. اللهم افتح لنا أبواب رحمتك يارب العالمين.

سبحانه رحمة وسعت كل شيء، سبحانه رحمة سبقت غضبه. لا أحد أرحم من الله ﷻ، فالله أرحم بعبده من عبده بأنفسهم، يرى النبي عليه الصلاة والسلام امرأة من السبي وهي تحتضن وليداً ترضعه، فيسأل النبي عليه الصلاة والسلام أصحابه: «هل ترون هذه طارحة وليدها في النار»؟ فيقولون: لا والله يا رسول الله، فيقول عليه الصلاة والسلام «لله أرحم بعبده من هذه بوليدها» الله جل وتعالى، فتح أبواب رحمة للتائبين، وللعاصين، وللمنحرفين، ما عليهم إلا أن يقبلوا على مولاهم،

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزُّمَر : ٥٣)

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (الزُّمَر : ٥٣)

قيل لأحد السلف هل ترضى أن يتحمل أهلك وذويك عنك أوزارك يوم القيامة؟ فأجاب: لا أرضى بذلك. فقيل ولما؟ قال: لأن الله سيكون يوم القيامة ارحم بي من أبي وأمي وجميع أهلي.

«إن لله مائة رحمة، أنزل منها رحمة واحدة بين الجن والإنس والبهائم والهوام، فيها يتعاطفون وبها يتراحمون، وبها تعطف الوحش على ولدها- وفي رواية، حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه، وأخر الله تسعاً وتسعين رحمة يرحم بها عباده يوم القيامة».

عباد الله:

إن رحمة الله لو فتحتها سبحانه لأحد من خلقه، فسيجدها في كل شيء، وفي كل موضع، وفي كل حال، وفي كل مكان، وفي كل زمان، فإنه لا ممسك لها، قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ

لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر : ٢)

أيها المسلمون:

ما من نعمة من نعم الله، يُمسك الله عنها رحمته، حتى تنقلب هي بذاتها نقمة، وما من محنة تحفها رحمة الله، حتى تكون هي بذاتها نعمة، ينام الإنسان على الشوك مع رحمة الله فإذا هو مهاد وحرير، وينام على الحرير وقد أمسكت عنه رحمة الله، فإذا هو شوك وعذاب. ﴿مَا يَفْتَحِ

اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ

الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ (فاطر : ٢)

إن الإنسان يواجه أصعب الأمور برحمة الله فإذا هي هواده ويسر-، ويواجه أيسر- الأمور وقد تخلت رحمة الله فإذا هي مشقة وعسر-، ويخوض المخاوف والأخطار برحمة الله، فإذا هي أمن وسلام، ويعبرها بدون رحمة الله، فإذا هي مهلكة وبوار. إنه لا ضيق مع رحمة الله.

فلنطلبها بفعل أسبابها والأخذ بمفاتيحها يارب خصنا برحمتك يا

من يختص برحمته من يشاء.

إن المال والولد والصحة والقوة والجاه والسلطان لتصبح مصادر قلق وتعب ونكد إذا أمسكت عنها رحمة الله، فإذا فتح الله أبواب رحمته كان فيها السكن والراحة والسعادة والاطمئنان.

إن رحمة الله من طلبها وجدها ومن اخذ بمفاتيحها نالها في أي مكان وفي أي حال. وجدها إبراهيم -عليه السلام- في النار، ووجدها يوسف -عليه السلام- في الحب، كما وجدها في السجن، ووجدها يونس -عليه السلام- في بطن الحوت في ظلمات ثلاث، ووجدها موسى -عليه السلام- في اليم وهو طفل رضيع مجرد من كل قوة ومن كل حراسة، ووجدها أصحاب الكهف في الكهف حين افتقدوها في القصور والدور فقال بعضهم لبعض: فأووا إلى الكهف ينشر- لكم ربكم من رحمته ووجدها رسول الله ﷺ وصاحبه في الغار، والقوم يتعقبونهم قائلاً: لا تحزن إن الله معنا.

ووجدها شيخ الإسلام عندما أدخل السجن فالتفت إلى السجناء،

وتمثل قول الله تعالى: **فَضْرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ**

الْعَذَابُ ﴿١٣﴾ (الحديد : ١٣)

إنه ما بين الناس ورحمة الله إلا أن يطلبوها مباشرة منه بلا واسطة،
ويعملون بأسبابها ويأخذون بمفاتيحها، وفي كتاب الله علّمنا الله أن
نطلب الرحمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُرْغِ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ
رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران : ٨)

بين أيدينا بضعة وعشرون مفتاحاً من مفاتيح الرحمة.

المفتاح الأول: الإيمان

إن رحمة الله لا تحصل إلا لمن آمن، الإيمان الحقيقي بجميع أركانه
الستة: الإيمان بالله، بملائكته، وبكتبه، ورسوله، وباليوم الآخر، وبالقدر
خيره وشره، وقال جل وعلا: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
فِيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ؕ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ﴾ (الجنّة : ٣٠)

يرى رسول الله - ﷺ - أحد الأصحاب فيقول له: «كيف أصبحت؟»،
فيقول: أصبحت مؤمناً حقاً، فيقول المصطفى: وما حقيقة إيمانك؟،
فيقول: أصبحت أرى عرش ربي بارزاً، وأصبحت أرى أهل الجنة وهم
يتزاورون، وأهل النار وهم يتعاونون فقال: «عرفت فالزم» (البيزار في
مسنده).

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم ونفعنا بما فيه من الآيات والذكر الحكيم أقول ما تسمعون وأستغفر الله إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين ولا عدوان إلا على الظالمين. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً.

أما بعد:

المفتاح الثاني طاعة الله وطاعة رسوله:

عباد الله إن ما عند الله لا ينال إلا بطاعة الله، ودخول الجنة معلق بطاعة الحبيب محمد - ﷺ - القائل: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى» قيل: ومن أبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى» (رواه البخاري).

آيات كثيرة في كتاب الله تحثنا على طاعة الله وطاعة رسوله، وقال جل

وعلا: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (آل عمران: ١٣٢)

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ (النور : ٥٦)

المفتاح الثالث اتباع الكتاب:

إن اتباع كتاب الله هو الخير كل الخير، قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ

أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ (الأنعام : ١٥٥)

المفتاح الرابع اتباع السنة: والسنة لا يصح اتباع الكتاب إلا

باتباعها؛ لأنها شارحة ومبينة للكتاب، قال تعالى: ﴿وَرَحِمَتِي

وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَاكُنْهَا لِلَّذِينَ نَفَقُوا وَيُوْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ

هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي

يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ

وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿الأعراف : ١٥٧﴾.

ظهر في أمة محمد من ينكر السنة ويقول يكفيننا القرآن، نقول لهؤلاء

أين تذهبون بقول الله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ

فَانْتَهُوا ﴿الحشر : ٧﴾

المفتاح الخامس: رحمة الخلق، كيف تريد رحمة الله وأنت لا ترحم

عباده، قال رسول الله - ﷺ -: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (رواه أبو داود والترمذي).

إن المؤمن لا يكون مصدر إيذاء أبداً، وإلا ففي إيمانه نظر، قيل لرسول الله عليه الصلاة والسلام: فلانة تقوم الليل وتصوم النهار ولكنها تؤذي جيرانها؟ قال عليه الصلاة والسلام: في الحديث الصحيح الذي رواه أحمد «دعوها إنها من أهل النار» من ادعى الإيمان وهو يؤذي الخلق ويفزعهم فهو كاذب، قال - ﷺ -: «من لا يرحم لا يُرحم» (أخرجه البخاري في التوحيد (٧٣٧٦)، ومسلم في الفضائل (٢٣١٩)، واللفظ له). وأولى الناس برحمتك ولينك وعطفك أقرب الناس بك أهلك وأولادك عن أنس رضي الله عنه قال: ((دخلنا مع رسول الله على ولده لإبراهيم فقبله وشمه ثم دخلنا عليه بعده وهو يجود بنفسه فجعلت عينا رسول الله تذر فان فقال ابن عوف وأنت يا رسول الله كأنه استغرب بكاءه فقال - ﷺ -: «القلب يخشع ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا لفراقك يا إبراهيم لمحزونون» (رواه مسلم). وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «قَبَّلَ رسول الله الحسن والحسين وعنده الأقرع بن حابس فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا قط فنظر إليه رسول الله وقال: «أَوْ أَمَلِك

لك أن نزع الله الرحمة من قلبك» وفي رواية «من لا يرحم لا يرحم» (رواه البخاري).

عباد الله:

إذا ترحلت الرحمة من المجتمع، انقلب المجتمع إلى مجتمع غاب، يأكل القوي فيه الضعيف، وتداس في الحقوق، ويشكو الوالد ولده، وتشكو الزوجة زوجها، والقضايا المتراكمة في المحاكم تشهد بذهاب خلق الرحمة بين الناس. بل لقد أخبرنا الصادق المصدوق، كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة - رضي الله عنه -: «أن امرأة بغياً رأت كلباً في يوم حار يطوف ببئر، قد أدلع لسانه من العطش، فنزعت له بموقها (أي أنها استقت له من البئر، والموق هنا هو الخف) فغُفِر لها» (متفق عليه).

عباد الله: إذا كانت الرحمة بالكلاب تغفر الخطايا للبغايا فكيف

تصنع الرحمة بمن وحد رب البرايا؟!!

المفتاح الخامس التصالح والأخوة: قال تعالى: ﴿ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَأَتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ (١٠) (الحجرات : ١٠)

لا صلاح لأحوالنا ولا اقتصادنا إلا بالأخوة والتصالح.

سفينة المجتمع إذا تم خرقها سنغرق جميعا فلنوحد صفوفنا، ولا

نسمح لأحد يشق صفنا وأُفتنا. ولنقدم مصلحة الدين ثم الوطن

على كل الفئات والأحزاب والطوائف والأشخاص.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد

بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم

الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ**

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾. اللهم صل وسلم

على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



مفاتيح رحمة الله (٣)

الحمد لله مجيب الدعوات رفيع الدرجات يجيب دعوة المضطرين ويكشف
السوء وينزل الرحمات.

أحمده تعالى، وأشكره، وأثنى عليه، واستغفره، وأشهد أن لا إله
إلا الله الواحد القهار العزيز الغفار.

والبر والبحر فيض من عطياه	والشمس والبدر من آيات قدرته
والموج كبره والحوث ناجاه	الطير سبحه والوحش مجده
والنحل يهتف له حمداً في خلاياه	والنمل تحت الصخور الصم قدسه
والعبد ينسى وربي ليس ينساه	والناس يعصونه جهراً فيسترهم

ما زلنا وإياكم مع مفاتيح الرحمة:

الرحمة وما أدراكم ما الرحمة إذا ذكرت العبد فلينسأه الله جميعاً لا

يهم، قال تعالى: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكْرِيَّا﴾ (مريم: ٢)

الله أكبر إنها خزائن اللطف والجود والعناية انفتحت لزكريا عليه السلام.

وإذا العناية لاحظتك عيونها نم فالمخاوف كلها أمان
 رحمته سبحانه إذا قصدت أحداً فإنها تصل إليه ولو كان في فم أسد،
 فلا إله إلا الله لو وقف في طريق إرادته ورحمته الناس كلهم أولهم
 وآخرهم وأنسهم وجنهم فإنها تعبر بالمرحوم إلى بر الجود والإحسان
 وشواطئ الأمان والجنان.

قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
 كَاشِفَاتُ ضُرِّيهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ (الزمر : ٣٨)

فيا أيها المؤمنون:

المراء في هذه الحياة يسعى ويعمل، ويرجو رحمة ربه، فيها ينال
 السعادة في الدنيا والآخرة، فلا سعادة ولا فلاح ولا فوز ولا نجاح
 إلا برحمة الله، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا
 يَجْمَعُونَ﴾ (يونس : ٥٨)

روى الحاكم وقال: "صحيح الإسناد" من حديث جابر رضي الله عنه أن رسول الله
- صلى الله عليه وسلم - قال: «إِنَّ جَبْرِيْلَ قَالَ لِي : إِنَّ لَهِ عِبَادًا مِنْ عِبَادِهِ عِبَادَ اللَّهِ خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ
عَلَى رَأْسِ جَبَلٍ فِي الْبَحْرِ، وَأَخْرَجَ اللَّهُ لَهُ عَيْنًا عَذْبَةً وَشَجْرَةً رُؤْمَانَ تَخْرُجُ لَهُ فِي
كُلِّ لَيْلَةٍ رُؤْمَانَةٌ، يَتَعَبَّدُ يَوْمَهُ فَإِذَا أَمْسَى نَزَلَ فَأَصَابَ مِنْ ذَلِكَ، ثُمَّ قَامَ لَصَلَاتِهِ
فَسَأَلَ اللَّهَ رَبَّهُ عِنْدَ الْأَجَلِ أَنْ يَقْبِضَهُ سَاجِدًا حَتَّى يَبْعَثَهُ سَاجِدًا فَاسْتَجَابَ اللَّهُ
لَهُ، فَتَجَدَّ لَهُ فِي الْعِلْمِ أَنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُوقَفُ بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ فَيَقُولُ لَهُ
الرَّبُّ: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، فَيَقُولُ: رَبِّ بَلْ بَعَمَلِي، فَيَقُولُ اللَّهُ: قَائِسُوا
عَبْدِي بِنِعْمَتِي عَلَيْهِ وَبِعَمَلِهِ فَتَوَجَّدَ نِعْمَةَ الْبَصْرِ أَحَاطَتْ بِعِبَادَةِ خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ،
وَبَقِيَتْ نِعْمَةُ الْجَسَدِ فَضْلًا عَلَيْهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ: أَدْخِلُوا عَبْدِي النَّارَ، فَيُجْرُّ إِلَى
النَّارِ، فَيُنَادِي: رَبِّ بِرَحْمَتِكَ أَدْخِلْنِي الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ اللَّهُ: رَدِّوهُ، فَيَقُولُ: يَا عَبْدِي
مَنْ خَلَقَكَ وَلَمْ تَكْ شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ اللَّهُ: مَنْ قَوَّكَ عَلَى عِبَادَةِ
خَمْسَ مِائَةِ سَنَةٍ، فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: مَنْ أَنْزَلَكَ مِنْ جَبَلٍ وَسَطَ لُجَّةٍ
وَأَخْرَجَكَ لَكَ الْمَاءَ الْعَذْبَ مِنَ الْمَالِحِ وَأَخْرَجَكَ لَكَ كُلَّ لَيْلَةٍ رُؤْمَانَةٌ وَإِنَّمَا يُخْرَجُ كُلَّ
سَنَةٍ مَرَّةً، فَيَقُولُ: أَنْتَ يَا رَبِّ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَدْخِلُوا عَبْدِي الْجَنَّةَ
بِرَحْمَتِي، وَنِعْمَ الْعَبْدُ كُنْتَ» (مستدرک الحاكم (٧٦٣٧)، وأخرجه البيهقي في الشعب
(٤/ ١٥٠-١٥١)، وضعفه العقيلي في الضعفاء (١٦٥)، والذهبي متعقبا للحاكم بقوله: "لا والله،
وسليمان غير معتمد"، وانظر: السلسلة الضعيفة (١١٨٣)).

وقفنا مفاتيح الرحمة الستة إيماناً بالله، وطاعة لله ولرسوله، واتباع
للكتاب الحكيم، واتباع لسنة نبيه الكريم ورحمة للخلق؛ فمن لا
يرحم لا يرحم، وأخوة وصلح بين المتخاصمين؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ
إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (الحجرات : ١٠)

المفتاح السابع اللجوء إلى الله تعالى والتضرع بين يديه:

الدعاء فكم من رحمة ظاهرة أو باطنة كانت بسبب الدعاء، ألا
تري أصحاب الكهف فروا بدينهم من القهر والظلم، ولجأوا إلى الله
بالدعاء، قال تعالى: ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا مِن
لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ (الكهف : ١٠)

فاستجاب الله لهم وأنزل عليهم رحمته فقال لهم: ﴿فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ
يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ (الكهف :
١٦)

لا إله إلا الله لقد تحول ذلك الكهف إلى رحمة شاملة وإلى أم رؤوف
تحتضن فلذات أكبادها بين ذراعيها وتضمهم إلى صدرها بينما تنكرهم
البشر.

ومن أدعية القرآن كما في سورة آل عمران: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ

هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ (آل عمران : ٨)

ألا فتأملوا تواضع سليمان عليه السلام هو يطلب رحمة الله حين أحس

بالنعمة التي وهبها الله إياه من سماع النملة تتكلم، قال تعالى: ﴿فَبَسَّمَ

ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى

وَالِدَتِي وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ

﴿١٩﴾ (النمل : ١٩)

أخيه الحبيب: وأنت تقرأ القرآن إذا مررت بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ

بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ (البقرة : ١٠٥)، قل:

اللهم خصني برحمتك إذا مررت بقوله تعالى: ﴿يُدْخِلْ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ

وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣١﴾ (الإنسان : ٣١)

قل يارب أدخلني في رحمتك وأنت أرحم الراحمين.

عباد الله: اطلبوا رحمة الله تأتيكم قال أحد أسلافنا: كُنَّا فِي الْبَحْرِ، فَهَبَّتِ

الرِّيَّاحُ، وَهَاجَتِ الْأَمْوَاجُ، فَبَكَى النَّاسُ وَصَاحُوا، فَقِيلَ لِمَعْيُوفٍ أَوْ ابْنِ

مَعْيُوفٍ: هَذَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَدْهَمَ، لَوْ سَأَلْتَهُ أَنْ يَدْعُوَ اللَّهَ ﷻ؟ وَإِذَا هُوَ نَائِمٌ

فِي نَاحِيَةِ السَّفِينَةِ مَلْفُوفٌ رَأْسُهُ فِي كِسَاءٍ، فَذَنَا مِنْهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاقَ،
أَمَا تَرَى مَا النَّاسُ فِيهِ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ قَدْ أَرَيْتَنَا قُدْرَتَكَ، فَأَرِنَا رَحْمَتَكَ"،
فَهَدَّاتِ السَّفِينَةَ.

عباد الله:

إذا حل الهم، وحي لأم الغم، واشتد الكرب، وعظم الخطب، وضافت
السبل وبارت الحيل. نادى المنادي: يا الله يا الله «لا إله إلا الله العظيم
الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات
ورب الأرض ورب العرش الكريم» فتأتي رحمة الله فيفرج الهم، وينفّس
الكرب، ويذل الصعب، قال تعالى: ﴿فَاسْتَجِبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ

وَكَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨٨) (الأنبياء: ٨٨)

إنها رحمة الله.

إذا أجذبت الأرض، ومات الزرع، وجف الضرع، وذبلت الأزهار،
وذوت الأشجار، وغار الماء، وقل الغذاء، واشتد البلاء. خرج
المستغيثون بالشيوخ الركع، والأطفال الرضع، والبهائم الرتع، فنادوا: يا
الله يا الله، فينزل المطر، وينهمر الغيث، ويذهب الظمأ، وترتوي

الأرض: ﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (الروم : ٥٠)

إذا اشتد المرض بالمريض، وضعف جسمه، وشحب لونه، وقلت حيلته وضعفت وسيلته، وعجز الطبيب، وحرار المداوي، وجزعت النفس، ورجفت اليد، ووجف القلب، وانطرح المريض، واتجه العليل، إلى العليّ الجليل ونادى: يا الله يا الله، فزال الداء، ودب

الشفاء، وسُمع الدعاء ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٨٣) ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ، وَءَاتَيْنَاهُ أَهْلَهُ، وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَابِدِينَ﴾ (٨٤)

(الأنبياء : ٨٣-٨٤). انها رحمة الله.

إذا حلقت الطائرة في الأفق البعيد، وكانت معلقة بين السماء والأرض، فأشّر مؤشر الخلل، وظهرت دلائل العطل، فذعر القائد، وارتبك الركاب، وضجّت الأصوات، فبكى النساء وصاح الرجال، وفُجع الأطفال، وعمّ الرعب، وخيم الهلع، وعظم الفزع، أحوافى النداء، وعظم الدعاء، يا الله يا الله، فأتى لطفه وتنزلت رحمته،

وعظمت منته، فهدأت القلوب، وسكنت النفوس، وهبطت الطائفة
بسلام. إنها رحمة الله.

إذا اعترض الجنين في بطن أمه، وعسرت ولادته، وصعبت وفادته
وأوشكت الأم على الهلاك، وأيقنت بالممات. لجأت إلى مُنفس
الكربات، وقاضي الحاجات، ونادت: يا الله يا الله، فزال أنينها،
وخرج جنينها. إنها رحمة الله.

جاءت امرأة من بني اسرائيل إلى موسى قالت: يا نبي الله أنت
كليم الله ادع الله لي أن يرزقني الولد، فكلم الله، فقال الله يا موسى إن
المرأة عاقر، يعني أن المرأة ما تستطيع أن تلد. وبعد سنوات مرة يمر
موسى عليه السلام بجوار بيت هذه المرأة وإذا به يرى بجوراها ولدين،
فاستغرب وقال لها سائلاً: لمن هؤلاء الأولاد؟ قالت لي إنهم أبنائي.
فكلم موسى ربه وقال: يارب تلك المرأة العاقر رأيت لها أولاداً!
! فقال الله: «يا موسى إنها دعنتي ودعنتي فأجبتهما»، فلا إله
إلا الله.

المفتاح الثامن زيارة المريض: نعم اسمعوا الحبيب المصطفى وهو يقول كما جاء في السلسلة الصحيحة للألباني: «من عاد مريضاً لم يزل يخوض في الرحمة حتى يجلس، فإذا جلس اغتمس فيها».

إنها رسالة أن نتواصى على الخير، رسالة أن نتأخى، رسالة أن نترحم، رسالة أن لا نتفرق. وهذا هو الإسلام دين معاملات كما هو دين عبادات، يقول عليه الصلاة والسلام: «ما مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا - أي: يزور مريضاً أو أخاه في الله - غُدُوَّةً فِي أَوَّلِ النَّهَارِ إِلَّا صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً - أي: في المساء - صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّى يُصْبِحَ» (صحيح، أخرجه أحمد (١/ ٨١)، والترمذي: كتاب الجنائز - باب ما جاء في عيادة المريض، حديث (٩٦٩) وقال: حسن غريب، وأبو داود: كتاب الجنائز - باب في فضل العيادة على وضوء، حديث (٣٠٩٨) وصححه الحاكم (١/ ٣٤١-٣٤٢)). الله أكبر، هنيئاً والله لمن حمل نفسه في زيارة أخ له في الله، يزوره للاطمئنان عليه في مرضه أو في صحته، هنيئاً له بالجائزة الكبرى؛ يُصَلِّي عليه ألف ملك من ملائكة الله.

المفتاح التاسع التقوى: وهي: القناعة بالقليل، والعمل بالتنزيل، والخوف من الجليل، والاستعداد ليوم الرحيل، التقوى أن يراك الله حيث أمرك، وأن يفتقدك حيث نهاك.

التقوى أخي المسلم أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ

تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ (يس : ٤٥)، وقال عز اسمه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ

فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخْوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ (الحجرات : ١٠)

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ ءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ءُتُوتِكُمْ

كُفُلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ ءُيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ ءُيَغْفِر لَكُمْ ءُاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

﴿٢٨﴾ (الحديد : ٢٨)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

المفتاح العاشر الاستماع إلى القرآن الكريم والإنصات له وتعلمه:

القرآن الكريم كلام الله هو كله بركة ورحمة وفضل، وكلما اقترب منه العبد كلما حصل له الفضل والبر والرحمة، قال عز من قائل:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٢٠٤)

(الأعراف: ٢٠٤)

وقال رسول الله - ﷺ -: «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله، يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة ونزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده» (صحيح مسلم: كتاب الذكر، باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر ١٧ / ٢٢).

تقول أحد النساء : مات زوجي وأنا في الثلاثين من عمري
وعندي منه خمسة أطفال بنين وبنات، فأظلمت الدنيا في عيني
وبكيت حتى خفت على بصري وندبت حظي ويئست، وطوقني الهم
فأبنائي صغار وليس لنا دخل يكفينا وكنت أصرف باقتصاد من بقايا
مال قليل تركه لنا أبونا وبينما أنا في غرفتي فتحت المذيع على إذاعة
القران الكريم وإذا بشيخ يقول : قال رسول الله ﷺ : «من أكثر من
الإستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا»
(أخرجه أحمد (٢٢٣٤)، وأبو داود في الصلاة (١٥١٨)، وابن ماجه في الأدب
(٣٨١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنه، وصححه الحاكم (٢٦٢/٤) وتعقبه الذهبي بأن
فيه الحكم بن مصعب فيه جهالة، وضعفه الألباني في ضعيف الترغيب (١٠٠٢)).
فأكثرت بعدها الاستغفار وأمرت أبنائي بذلك وما مر بنا والله سته
أشهر حتى جاء تخطيط مشروع على أملاك لنا قديمة فعوضت فيها
بملايين وصار أبنائي الأول على طلاب منطقتهم وحفظ القرآن كاملاً.

وصار محل عناية الناس ورعايتهم وأمتلاً بيتنا خيراً وصرنا في
عيشه هنيئاً وأصلح الله لي كل أبنائي وبناتي وذهب عني الهم والحزن
والغم وصرت أسعد امرأة.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد
بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم
الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى
النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل
وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



مفاتيح رحمة الله (٣)

الحمد لله ذي الجلال والإكرام حي لا يموت قيوم لا ينام،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك الحليم العظيم الملك العلام،
وأشهد أن نبينا محمداً عبده ورسوله سيد الأنام والداعي إلى دار
السلام صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان.

أما بعد:

أيها الناس، اتقوا الله تعالى حقَّ التقوى، والزموا التقوى حتى
يأتيكم الموت.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿١٠٢﴾ (آل عمران : ١٠٢)

تأمل أخي الحبيب: لما كان موسى يسري ليلاً متجهاً للنار يلتمس
شهاباً قبساً.. لم يدر بخلده وهو يسمع أنفاسه المتعبة أنه متجهٌ لسمع
صوت رب العالمين

﴿يَمُوسَىٰ﴾ ١١! إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى

﴿١٢﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي

وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ (طه : ١١ - ١٤)

إن القلب ليجف، وإن الكيان ليرتجف. وهو يتصور - مجرد تصور - ذلك المشهد. موسى فريد في تلك الفلاة. والليل دامس، والظلام شامل، والصمت مخيم. وهو ذاهب يلتمس النار التي أنسها من جانب الطور. ثم إذا الوجود كله من حوله يتجاوب بذلك النداء : «! إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَأَخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٣﴾ وَأَنَا أَخْتَرْتُكَ

فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾

إن تلك الذرة الصغيرة الضعيفة المحدودة تواجه الجلال الذي لا تدركه الأبصار. الجلال الذي تتضاءل في ظلّه الأرض والسموات. ويتلقى. يتلقى ذلك النداء العلوي بالكيان البشري. فكيف؟ كيف لولا لطف الله؟

﴿وَأَنَا آخَرْتَكَ﴾ . . فيا للتكريم! يا للتكريم أن يكون الله بذاته هو الذي يختار. يختار عبدا من العبيد هو فرد من جموع الجموع.. تعيش على كوكب من الكواكب هو ذرة في مجموعة. المجموعة هي ذرة في الكون الكبير الذي قال له الله: كن.. فكان! ولكنها رعاية الرحمن لهذا الإنسان.

طرح إبراهيم ولده الوحيد، واستلّ سكينه ليذبحه.. وإسماعيل يردد: ﴿أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ﴾ وكلاهما لا يعلم أن كبشاً يُرَبَّى بالجنة من ٥٠٠ عام تجهيزاً لهذه اللحظة فيا لها من رحمت الرحيم.

لما دعا نوح ربه: ﴿أَنِّي مَغْلُوبٌ فَأَنْصِرْ﴾ (القمر : ١٠) لم يخطر بباله أن الله سيغرق البشرية لأجله!

وأن سكان العالم سيفنون إلا هو ومن معه في السفينة.. فثِقْ بربك.. الرحيم واطرق بابه وخذ بيدك مفاتيح الرحمة تناولها.

جاء موسى الرضيع وصراخه يملأ القصر- لا يقبل المراضع الكل مشغول به آسياه.. المراضع.. الحرس.

كل هذه التعقيدات لأجل قلب امرأة خلف النهر مشتاقة لولدها
رحمة ولطفاً من رب العالمين لها ولابنها.

أطبقت الظلمات على يونس.. واشتدت الهموم.. فلما اعتذر

ونادى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾

﴿٨٧﴾ (الأنبياء: ٨٧)

قال الله تعالى: ﴿فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَبَجَيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ، وَكَذَلِكَ نُجِي

الْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿٨٨﴾ (الأنبياء: ٨٨)

نبينا محمد - ﷺ - مستلق على فراشه حزينا ماتت زوجته خديجة
وعمه فيأمر ربه جبريل يعرج به إليه يرفعه للسماء.. فيسليه بالأنبياء
ويخفف عنه بالملائكة.

أخلاي اللبيب: كُنْ على يقين من ثلاث:

لا أحد أرحم بك من ربك، ولا أحد أعلم بهمك من ربك، ولا

أحد يقدر على رفع الضر عنك إلا ربك.

والحديث يرويه الإمام مسلم في صحيحه (رقم / ١٨٣) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

« إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا، وَيُصَلُّونَ، وَيُحْجُّونَ. فَيَقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مَنْ عَرَفْتُمْ. فَتُحْرَمُ صُورُهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ، وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ. فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا. ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ. فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا».

وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنَّ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ
فَاقْرَءُوا إِن شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكَ حَسَنَةً

يُضَعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء : ٤٠)

فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ، وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ، وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ،
وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا
لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ، قَدْ عَادُوا حُمَاً، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ يُقَالُ
لَهُ نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيَخْرُجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حِمِيلِ السَّيْلِ، فَيَخْرُجُونَ
كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْخَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هُوَ لَأَيُّ عِتْقَاءِ اللَّهِ الَّذِينَ
أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ».

هذا الحديث لا يكون سبب في ترك العمل والالتكال عليه فهذا
جهل إنما الفقه أنه لا يهلك على الله إلا هالك، وإن رباً هذه رحمته
وهذا فضله وهذا إحسانه أحق أن يُعبد، وأن يشكر، وأن يرتجى، وأن
يُدعى فهو القائل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ

﴾ (طه : ٨٢)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم وجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

الفتاح الحادي عشر من مفاتيح الرحمة الصبر: فالدنيا جُبلت على

كدرٍ، وتعب، وهموم؛ وبالتالي فأحلى حياة وأسعد حياة يعيشها المسلم بالصبر؛ ونتيجة الصبر محمودة، بل الصابرون هم الذين تنالهم رحمة

الله، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ

وَالْأَنْفُسِ وَالشَّرَّاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ (البقرة: ١٥٥) وعليه: فمن

أهم أسباب الحرمان من الرحمة كثرة الشكوى والسخط وعدم الاتصاف بالرضا عن الله وعن قدره وقضائه.

المفتاح الثاني عشر قيام الليل وايقاض الزوجين لبعضهم: عن أبي

هريرة - رحمته - قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله رجلاً قام من الليل فصلّى، ثمّ أيقظ امرأته فصلّت، فإنّ أبت نضح في وجهها الماء، ورحم الله امرأة قامت من الليل فصلّت، ثمّ أيقظت زوجها فصلّى، فإنّ أبى نضحت في وجهه الماء» (أخرجه أحمد والنسائي وابن ماجه وصححه بن خزيمة).

المفتاح الثالث عشر صلاة قبل العصر أربعاً: فعن ابن عمر - رضي الله عنهما -

قال: قال رسول الله ﷺ: «رحم الله امرأةً صلى قبل العصر - أربعاً» (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي).

المفتاح الرابع عشر انتظار الصلاة: جاء صحيح مسلم عن أبي هريرة

رحمته عن رسول الله ﷺ - قال: «ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: إسباغ الوضوء على المكاره وكثرة الخطا إلى المساجد وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط فذلكم الرباط» (رواه مسلم (٣/ ١٤١) الطهارة: باب فضل إسباغ الوضوء على المكاره).

النبي - ﷺ - يبشر المصلين برحمت من الله فيقول: «لا يزال العبد في صلاة ما كان في مصلاه ينتظر الصلاة، وتقول الملائكة: اللهم اغفر له اللهم أرحمه حتى ينصرف أو يحدث» (رواه البخاري).

المفتاح الخامس عشر الهجرة والجهاد: ترك الأوطان ومفارقة الأحبة،

والتعرض للموت في سبيل الله من أشق العبادات على النفوس، والتي بسببها يحصل العبد على الدرجات العلا والمغفرة والرحمة والرضوان،

قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ

أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ (البقرة : ٢١٨)

وقال ﷺ: وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ

وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ (النساء : ٩٦) .

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن

عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله

بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا

الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ . اللهم صل وسلم على محمد

وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم . . .



مفاتيح رحمة الله (٤)

الحمد لله ذو العرش المجيد، والبطش الشديد الفعال لما يريد،
المنتقم من عصاه بنارٍ تُلطى حرّها شديد، وقعرها بعيد، المكرم ﷺ
لمن أطاعه واتقاه بجناتٍ لا ينفذ نعيمها ولا يبئد، فسبحان الذي قَسَمَ
خلقه قسمين وجعلهم فريقين فمنهم شقيٌّ وسعيد ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا
فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ ﴿٤٦﴾ (فُصِّلَتْ : ٤٦)

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، الواحد الأحد، القيوم
الصمد، الذي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ،
إليك إله الخلق أرفع حاجتي وإن كنت يا ذا المن والجود مجرمًا
ولما قسي- قلبي وضاعت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قارنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
ونشهد أن محمد رسول الله النبي المصطفى، والرسول المجتبي، الرحمة
المهداة والنعمة المسداة، صاحب المقام المحمود، والحوض المورود،
الشفاعة العظمى، سيد الأولين والآخرين على الله ولا فخر.

أيها المرسلون: ما زلنا وإياكم في ظلال رحمة الله وأسبابها

رحمة الله واسعة تتجاوز الأجيال؛ فهي لا تقتصر على المؤمنين بل

تشمل ذريتهم ومن بعدهم تكريماً لهم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ

لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ

رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ (الكهف : ٨٢)

قال المفسرون كان بين ذلك الغلام والأب الصالح سبعة آباء

فيامن يخاف على أولاده من الرزق أو الضيق ما عليك إلا أن تتقي الله

فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين.

﴿وَلِيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِن خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ

فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (النساء : ٩)

من رحمته سبحانه إنزال الأمطار والغيث، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي

يُنزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ، وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ﴾ (الشورى: ٢٨)

(الشورى: ٢٨)

ومن رحمت الله العظيمة أن أرسل إلينا محمد المصطفى وجعلنا من

أمته، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (١٠٧) (الأنبياء :

(١٠٧)

هنيئاً لأهل الإيمان والقرآن والذكر الإحسان برحمة الله القائل :

﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ (الأنعام : ٥٤)

هذا في الدنيا أما في الآخرة فيقال لهم: ﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَّحِيمٍ

﴿٥٨﴾ (يس : ٥٨)، لن ينجو من القيامة وأهوالها وشدتها وحسابها إلا

المرحومين قال تعالى : ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٤٠) ﴿يَوْمَ لَا

يُغْنِي مَوْلَىٰ عَنْ مَّوْلَىٰ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ (٤١) ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ

الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ (الدخان : ٤٢)

وقفنا مع خمسة عشر مفتاحاً من مفاتيح الرحمة:

أما المفتاح السادس عشر فهو الإحسان: الإحسان مع الله بمراقبته

وخشيته ﴿وَأَحْسِنَ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ (القصص : ٧٧)، الإحسان

مع الوالدين، قال تعالى: ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (الإسراء : ٢٣).

الإحسان مع الجيران، قال - ﷺ - : «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر؛

فليحسن إلى جاره» (أخرجه البخاري في (الأدب، ١٠ / ٣٧٣، باب من كان يؤمن بالله واليوم

الآخر)، الإحسان في القول، قال تعالى: ﴿لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾

(الإسراء : ٥٣)

الإحسان في العمل: ﴿تَبَرَّكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ١

الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ ٢ (الملك: ٢)

قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا

إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ٥٦ (الأعراف : ٥٦)

المفتاح السابع عشر خشية الله: إن الخوف من الله مع الرجاء في الله

يورثان فضل الله ورحمة الله وغفرانه، قال ﷺ : ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُوسَى

الغضبُ أَخَذَ الْأَلْوَابِطَ وَفِي نُسُخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ ١٥٤

(الأعراف : ١٥٤)، وأخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري رحمته عن

النبي ﷺ - : « أن رجلا كان قبلكم رغبه الله مالا - أي رزقه - فقال لبيه لما حضر : أي أب كنتم لكم؟ قالوا : خير أب. قال فإني لم أعمل خيرا قط، فإذا مت فأحرقوني ثم اسحقوني، ثم ذروني في يوم عاصف، ففعلوا، وذروه هنا وهناك لكن الله على جمعهم إذا يشاء قدير فجمعه الله ﷻ فقال : ما حملك؟ قال : مخافتك، فتلقاه برحمته » (البخاري ومسلم).

ويقول جعفر الصادق رضي الله عنه : عجت لأربعة كيف يغفلون عن أربع :

عجت لمن أصابه ضر كيف يغفل عن قول الله : ﴿ **أَنِّي مَسْنِيَ الضُّرِّ** وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّحِيمِينَ ﴿٨٣﴾ (الأنبياء : ٨٣)، يكررها والله ﷻ يقول بعدها : ﴿ **فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، فَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ** ﴾ (الأنبياء : ٨٤)، وعجت لمن أصابه غم كيف يغفل عن قول الله : ﴿ **لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ (الأنبياء : ٨٧)، يكررها والله ﷻ يقول : ﴿ **فَأَسْتَجِبْنَا لَهُ، وَبَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِبِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ (الأنبياء : ٨٨)، وعجت لمن يخاف كيف يغفل عن : ﴿ **حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ (آل عمران : ١٧٣)، والله تعالى يقول بعدها : ﴿ **فَأَنْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمَسَّ مِنْهُمْ شَيْءٌ سُوًّا** ﴾ (آل عمران :******

(١٧٤)، وعجبت لمن يمكر به الناس كيف يغفل عن ﴿وَأَفْوِضْ أَمْرِي

إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِصِيرٍ بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ (غافر : ٤٤)، والله تعالى يقول

بعدها : ﴿فَوَقَّهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكُرُوا﴾ (غافر : ٤٥).

المفتاح الثامن عشر الصلاح: وحب أهل الصلاح، ومجالسة أهل

الصلاح.

إن الصالحين هم الأنبياء والرسل وأتباعهم وهم الذين بصلاحهم

يستحقون أن يدخلهم الله في رحمته، قال ﷺ: ﴿وإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا

الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ

الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ (الأنبياء : ٨٦)

الصالحون هم الذين يبنون لا يهدمون هم ينفقون ولا ييخلون

يصلحون في الأرض لا يفسدونها.

المفتاح التاسع عشر هو القطب الأعظم في الدين: والهَمَّ الذي

ابتعث الله به النبيين أجمعين، فلو طوي بساطه وأهمل علمه وعمله

لتفشيت الضلالة وعمت الجهالة وخرّبت البلاد، وهلك العباد، وكثر

الفساد هل عرفتموه؟

فجعل الله عزو جل المرحومين هم من نجا من النزاع والاختلاف مما يعني أن من أسباب الحصول على رحمة الله: الوحدة على الدين وترك الخلاف والنزاع. ولذلك نهانا الله عن الخلاف؛ لأنه يرفع عنا رحمة الله ويوقع بنا سخطه، قال تعالى: **وَلَا تَنَزَعُوا فَإِنْ أَفْشَلُوا وَتَذَهَبَ**

رِيحُكُمْ وَأَصْبَرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ (الأنفال: ٤٦)

وغالبًا ما يكون الخلاف أمرًا بسيطًا لو أحسن بعض الناس التصرف، ولكن الشيطان لن يتوانى في التحريش بين الناس وإذكاء نار الفتنة والخصومة، حتى يتحول هذا الخلاف البسيط إلى نار تأكل الأخضر واليابس فتنتهك الحرمات والأعراض، وتقطع الأرحام، وتسفك الدماء ويتفشى الفساد. تبا للفرقة تبا للخلاف تبا للانقسام تبا للعصبة المذهبية العصبية الطائفية العصبية الحزبية.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله: يخطئ بعض الناس عندما يصفون جباراً: لا يرحم ولا يجعل رحمة الله تنزل، وهذه المقالة خطأ فاحش إذ إن رحمة الله لا يستطيع مخلوق أن يمنعها عن المخلوقات، قال الله تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (فاطر : ٢)

المفتاح الحادي والعشرون من أسباب الحصول على رحمة الله:
التربية الحسنة للبنين والبنات:

قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبُلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ (٢٣) وَأَخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (٢٤) (الإسراء : ٢٤)

فانظر بتعمق في الآية: فقد ربط الله الرحمة التي ستحقها الوالدين
 بالتربية وليس بمجرد الإنجاب والتربية تكون في الصغر
 مشى الطاووس يوماً باختيالٍ فقلد مشيته بنوه، فقال: علام تختالون؟
 قالوا لقد بدأت ونحن مقلدوه، وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عَوْدَه
 أبوه.

المفتاح الثاني والعشرون من مفاتيح رحمة الله حفظ اللسان: عن

خالد بن عمران رضي الله عنه أن النبي ﷺ - قال: «رحم الله امرأً قال خير
 فغرم أو سكت عن سوءٍ فسلم» (السلسلة الصحيحة للألباني).

المفتاح الثالث والعشرون التحل من المظالم:

قال ﷺ - : «رحم الله عبداً كانت لأخيه عنده مظلمة في نفس أو
 مال فأتاه فاستحل منه قبل أن يؤخذ من حسناته فإن لم يكن له
 حسنات أخذ من سيئات صاحبه فتوضع في سيئاته» (متفق عليه من
 حديث أبي هريرة).

المفتاح الرابع والعشرون المكث في المساجد:

عباد الله: المساجد محل رحمة الله، تأمل دعاء دخول المسجد، فقد علمنا النبي المصطفى أن نقول: «بسم الله والصلاة والسلام على رسوله، أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم من الشيطان الرجيم. اللهم افتح لي أبواب رحمتك» الرحمة هنا لمن أرادها.

من أسباب الحصول على رحمة الله أخيراً: **البذل والنفقة** والتضحية

في سبيل الله، قال الله تعالى ﴿الْأَعْرَابُ مِنْ يُومِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَيَتَّخِذُوا مَا يَنْفِقُ قُرْبَةً إِلَى اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ

لَهُمْ سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾ (التوبة: ٩٩)

فأين نحن من النفقات؟ وأين نحن من الصدقات؟ وأين نحن من

الزكوات وأين نحن من البذل لبيدين الله؟ وأين نحن من التضحيات؟

قال الله تعالى: ﴿هَاتِمَةٌ هَتُولَاءٌ تُدْعُونَ لِنُفُقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنْكُمْ مَنْ

يَبْخُلُ وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَوَلَّوْا

يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٢٨﴾ (محمد: ٢٨)

﴿ رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنْتَ
 الْوَهَّابُ ﴾ ﴿ رَبَّنَا إِنَّا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةٌ وَهِيَ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشْدًا ﴾ ﴿ وَقُلْ رَبِّ
 أَعْفِرْ وَأَرْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴾ يا حي يا قيوم برحمتك.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد
 الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في
 كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ .

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



رمضان مدرسة

الحمد لله المبدئ المعيد، الفعّال لما يريد، خلق الخلق بعلمه،
وقدّر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالاً، لا يستأخرون عنها ولا
يستقدمون، قدر مقادير الخلائق، قبل أن يخلق السماوات والأرض
بخمسين ألف سنة، وكان عرشه على الماء، علم ما كان وما سيكون،
لو كان كيف يكون، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، عنده علم
الساعة، وينزل الغيث، ويعلم ما في الأرحام، وما تدري نفس ماذا
تكسب غداً، وما تدري نفس بأي أرض تموت، وأشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وصفيه
وخليله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

عباد الله:

أوصيكم ونفسي بتقوى الله وطاعته، فاتقوا الله في السر والعلن،
فبالتقوى تُستنزَل البركات وتجلب الرحمات وتفرج الكربات، قال
تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (الأعراف: ٩٦)،

مفتاح القبول التقوى، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (٢٧)

(المائدة : ٢٧)، يكفي أهل التقوى شرف ورفعة وعلو مكانة أنهم في معية

وحفظ ورعاية الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ

مُحْسِنُونَ﴾ (النحل : ١٢٨)

عباد الله: ها هو رمضان قد ذهب منه ما يقارب النصف، إلا يوم

أو يومين وكنا في بدايته نقول: أهلا يا رمضان، واليوم يحق لنا أن

نقول: مهلا يا رمضان. الله الله في اغتنام رمضان وكأنني برمضان

ينطلق وهو يقول يا عبد الله يا مسلم اغتمني فاني لا أعود إلا بعد

عام، ومن يضمن لك أنك في العام القادم في عداد الإحياء؟، فتعامل

أخي الحبيب مع هذا الشهر على أنه آخر رمضان في حياتك؛ فاجتهد

فيه جهدك، فالיום عمل بلا حساب، وغداً حساب بلا عمل.

أيها المرسلون:

أن المسلم مرتبط بتاريخه لا يعيش الحياة الطيبة بدون تاريخه

فبالرجوع إلى التاريخ نتفادى الوقوع في الأخطاء مرتين.

فتعالوا بنا اليوم نرفع الستار عن رمضان في تاريخ الأمة حتى نربط فيه الحاضر المؤسف المشهود، بالماضي المشرف المحمود، لبناء المستقبل المستشرق المنشود؛ فقد سجل لنا رمضان للتاريخ ذكريات عظيمة لأشخاص عظماء وجب علينا تذكيرهم والاعتناء بهم،

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَهُ﴾ (الأنعام : ٩٠)

في رمضان توفي سيدنا موسى عليه السلام أخرجه الحاكم في المستدرک عن الحسن بن علي - رضي الله عنه -؛ وذلك حينما اتجه بجيشه لفتح القدس، نعم مات وهو مجاهداً في سبيل الله متجهاً لفتح القدس، فمن خرج لله ومن أجل الله ومات فقد وقع أجره قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ (النساء : ١٠٠)

مؤذن في أحد المساجد طالما صدع بكلمة الحق والتوحيد سنين عديدة، قبل يومين وهو يؤذن لصلاة العصر- بلغ آخر تكبيرة في الأذان فيسقط تم اسعافه لكن روحه ارتقت إلى بارئها وهو صائم،

وهو يؤذن فمن عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه.

امرأة في الستين من عمرها مع أنها كبيرة في السن لكنها حريصة على صلاة القيام مع المسلمين في هذا الشهر الكريم لتستنشق رحيق الإيمان وحلاوة القيام بين يدي الله تعالى، وبينما هي في إحدى ليالي العشر أثناء صلاة القيام يركع الإمام لكنها كبرت للركوع فسقط حركوها فإذا هي قد ماتت!! الله أكبر ما هذه الخواتيم.

الخاتمة الحسنة لن تأتي إلا بعد رصيد من الحسنات، والطاعات، والقربات فالله من أسماؤه العدل مستحيل أن يختم لإنسان بخاتمة حسنة هو عاق لوالديه ومحارب لله بالمعاصي والسيئات في الخلوات والجلوات.

وفي رمضان رفع الله تعالى سيدنا عيسى - عليه السلام - إلى السماء أخرجه الحاكم في المستدرک أيضا عن الحسن بن علي - رحمته الله -؛ وفي رمضان نزل القرآن الكريم، فكان شهر نزوله ومدارسته؛ يقول الله تعالى:

﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ (البقرة : ١٨٥).

عباد الله: لو تصفحنا القرآن وبحثنا عن كلمة ثقيل في القرآن لوجدنا انها تكررت مرتين فقط وفي نفس الجزء؛ إنه جزء تبارك الآية الأولى في سورة المزمل قوله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ (المزمل : ٥) القول الثقيل هو كلام الله القرآن، والآية الثانية في سورة الإنسان قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ هَؤُلَاءِ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذُرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾ (الإنسان : ٢٧)، إنها رسالة لمن أراد النجاة من كُرب اليوم الثقيل، وحر اليوم الثقيل، وشدة اليوم الثقيل فليتمسك بالقول الثقيل قراءةً وتدبراً وعملاً وسماعاً واحدةً واحدة.

قال خباب بن الأرت الصحابي الجليل: «تقرب إلى الله بما استطعت واعلم أنك لن تتقرب إلى الله بمثل كتابه».

وفي شهر رمضان توفيت أم المؤمنين خديجة - رضي الله عنها - وذلك في السنة العاشرة من البعثة.

تلك المرأة المؤمنة الصابرة المحتسبة التي ضحّت بكل ما تملك من أجل هذا الدين؛ فاستحقت أن ينزل جبريل يخترق السبع الطباق إلى النبي - ﷺ - يقول له: «يا رسول الله هذه خديجة قد أتتك معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها بيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب» (متفق عليه).

وفي رمضان من نفس السنة ماتت رقية بنت الرسول - ﷺ - زوجة عثمان بن عفان - رضي الله عنه -، فزوجه النبي - ﷺ - بنته الثانية أم كلثوم فسمي بذلك "ذو النورين".

وفي رمضان من السنة الثالثة للهجرة ولدت فاطمة بنت النبي - ﷺ - ابنها سيدنا الحسن بن علي رضي الله عنه -، فكان سيد شباب أهل الجنة؛ فحق لشباب الدنيا أن يكون قدوتهم وإمامهم ونحن في زمنٍ أصبح القدوات لشبابنا الممثلين والممثلات، واللاعبين واللاعبات، والمغنين والمغنيات الأحياء منهم والأموات.

وفي رمضان من نفس السنة تزوج النبي - ﷺ - بزینب بنت خزيمة، وكانت - ﷺ - غنية تحب المساكين حتى لُقبت بأم المساكين، وما أجمل مجتمعاً يجب فيه الأغنياء المساكين فيساعدونهم ويخففون عنهم معاناة الفقر والجوع!.

وفي رمضان من السنة الرابعة من الهجرة حفر النبي - ﷺ - الخندق حول المدينة لحماية لها من غزو الأحزاب على المدينة وعددهم عشرة آلاف مقاتل، وقد شارك النبي - ﷺ - بنفسه في عملية الحفر، وما أجمل مجتمعاً يشارك فيه قاداته الأعمال مع الرعية جنبا إلى جنب!.

وفي رمضان من السنة الخامسة للهجرة نزلت براءة أم المؤمنين عائشة - ﷺ - من حديث الإفك الذي أتهمت به زوراً وبهتاناً، ولهذا افتى علماء المسلمين أن من انتقص صحابياً من صحابة النبي - ﷺ - فهو فاسق عليه التوبة، ومن انتقص من أم المؤمنين عائشة واتهمها في عرضها فهو كافر؛ لأنه يكذب بآية من القرآن فالله برّأها في كتابه فقال جل شأنه :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ (النور : ٢٣)، وفي رمضان من السنة الثامنة من الهجرة

فتح النبي - ﷺ - مكة المكرمة، وكان العفو العام من الرحمة المهداة -
 ﷺ - ، فأسلم أهلها، وكانت مأوى الإسلام إلى اليوم.

وفي رمضان من السنة التاسعة من الهجرة هدم الرسول - ﷺ -
 المسجد الضرار، الذي أحدثه المنافقون بجوار المسجد الذي أُسس على
 التقوى مسجد قباء، لتفريق جماعة المسلمين، فوجب إزالة كل ما يفرق
 الأمة ولو كان مسجداً.

وفي رمضان سنة (٤٠ هـ) استشهد سيدنا علي - عليه السلام - وقد خرج
 لأداء صلاة الفجر بمسجد الكوفة على يد مجرم من الخوارج اسمه
 عبد الرحمن بن ملجم أجمه الله بلجامٍ من النار؛ نعم الخوارج تلك
 المدرسة الخبيثة المستمرة إلى اليوم، الذين يدعون الإسلام وهم
 يقتلون المسلمين ويفجرون المسلمين ويذبحون المسلمين ويشوهون
 بالمسلمين. فقد روى الحاكم في المستدرک وصححه أن الحسن بن
 علي - عليه السلام - خطب وذكر مناقب أبيه بعد مقتله، فقال: «قتل ليلة
 أنزل القرآن، وليلة أسري بعيسى - عليه السلام - (أي: رفع إلى السماء)
 وليلة قبض موسى - عليه السلام -».

وفي رمضان سنة (٩٢ هـ) قطع طارق بن زياد بجيشه البحر من طنجة إلى جبل ما زال يحمل اسمه "جبل طارق" وخطب فيهم خطبته المشهورة: "أنتم والله أضيع من الأيتام على مأدبة اللئام؛ أين المفر والبحر من ورائكم والعدو أمامكم؟ فليس عليكم -والله- إلا الصدق والصبر"، فالتزموا بالصدق والصبر ففتحوا الأندلس ودخل قرطبة منتصراً وما أجمل الصدق والصبر إذا اجتمعا!.

وفي رمضان سنة (٢٢٣ هـ) انتصر -المسلمون بقيادة الخليفة العباسي المعتصم على الدولة البيزنطية في معركة عمورية؛ وذلك استجابة للنصر -خة الشهيرة لإحدى المسلمات الأسيرات: (وامعتصماه)، فاستجاب لاستغاثها بجيش فتح بها مدينة عمورية ودخلها الإسلام إلى اليوم؛ واليوم يا ما سمعنا عبر وسائل الإعلام آلافاً من النساء والأطفال، يستغيثون في أكثر من مكان ولا من مجيب، ولا معتصم في الأمة؟ لكن لا فرج قريب والنصر -آت، ويقولون متى هو؟ قل عسى أن يكون قريباً.

وفي رمضان سنة (٦٥٨ هـ) انتصر القائد المسلم سيف الدين قطز في معركة عين جالوت بفلسطين، على جيوش المغول والتتار بقيادة هولوكو بعد أن ران على القلوب أنها جيش لا يقهر، وعين جالوت في فلسطين اليوم تعاني من جرائم تثار العصر- الصهاينة ولا سيف دين في الأمة.

أيها المرسلون: لا نصر ولا عز للأمة إلى العودة إلى ربها والتآخي فيما بينها ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١) (الأنفال : ١)

في ثنانيا هذا الشهر المبارك وفي اليوم السابع عشر منه كانت ملحمة من ملاحم الإسلام ويوم من أيامه الجليلة العظام، إنه يوم الفرقان يوم التقى الجمعان، يوم أعز الله فيه جنده ونصر- فيه عبده وأذل فيه من عاداه ورفع المنار لمن والاه.

إنها غزوة بدر الكبرى: ليست كتاباً يُقرأ ولا محاضرة تُقال، غزوة بدر ينبغي على المسلم أن يعيشها وهي حُجة على كل مسلم على ظهر الأرض، أن النصرَ منه قريب لو آمن بالله حقاً،

حين أقبل أهل بدر على المولى - تبارك وتعالى - وصدقوا وتجرّدوا وأخلصوا وطرحوا الدنيا وراءهم، ووضعوا في أنفسهم أمراً واحداً؛ أن تكون كلمة الله هي العليا وما عداها السفلى عندها قال الله لهم:

﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ

اللَّهَ رَمَىٰ ۗ وَيَجِبِي الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءٌ حَسَنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ

عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ (الأنفال: ١٧)

غزوة بدر الكبرى التي كانت بعد أن استقر رسول الله وأصحابه في المدينة ونعموا بطيب العيش فيها وارتاحت نفوسهم واطمأنت أرواحهم بعد العناء والآلام التي كانوا يلاقونها في مكة وما جاورها زاد غيظ الكفرة الملحدين وأذناهم من المنافقين، غاظهم أن للإسلام دولة ووطن وقائد.

وهكذا.. هي سُنَّة الحياة يغيظ الكفار وأذناهم أن ترتفع راية الإسلام أو يهنئ أهله بطيب العيش أو رغد الحياة بل يغيظ الكفار وأذناهم أن يوجد حاكم مسلم يُطبق شرع الله ويرفع راية القرآن، فالصراع بين الحق والباطل قائم إلى قيام الساعة فكفار اليوم هم أبناء الآباء بالأمس ومنافقو اليوم ورثوا النفاق صاغراً عن صاغر.

تعلّمنا من هذه الغزوة المباركة والنصر العظيم، أن الإسلام كلمة الله الباقية ورسالته الخالدة منصوره بعز عزيز وذلل ذليل، هذا الإسلام الذي كتب الله العزة لمن والاه، وكتب الذلّة والصغار على من عاداه، كلمة باقية ورسالة خالدة زاكية.

تعلّمنا من غزوة بدر أن مع العسر - يسراً، وأن عاقبة الصبر خير واصربر وما صبرك إلا بالله.

صبر حبيب الله ورسول الله فأقر الله عينه ونصر الله حزبه: ﴿بَلَّغْ

إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فُورِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلْفٍ مِّنَ

الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ (آل عمران : ١٢٥)

فإن وجدت عبداً من عباد الله قد صُبت عليه المحن والبلايا من الله ونصب وجهه صابراً لله، فبشره بحسن العاقبة ولقد صدق رسول الهدى - ﷺ - إذ يقول: «ما أعطي عبد عطاء أفضل من الصبر» (رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الصبر عن محارم الله (٣٠٩ / ١١) فتح، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (١٤٤ / ٧) بشرح النووي، عن ابن مسعود).

تعلمنا من غزوة بدر أن التقوى سبيل النصر- للمؤمنين وطريق الفلاح للمفلحين بالصبر والتقوى تنزلت ملائكة الرحمن؛ نصره- لجند الإيمان، فمن صبر واتقى جعل له ربه من كل هم فرجاً ومن كل ضيق مخرجاً.. اسمع إلى يوسف الكريم بن الكريم حين جاءه إخوته متعجبين مستغربين كيف أعزه الله ورفعته ﴿قَالُوا أَيْ تَكَ لِأَنْتَ

يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ

وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ (يوسف : ٩٠)

صبراً يا أهل الإسلام.

صبراً يا أهل الإسلام لئن ضاقت الأرض عليكم فلم تضيق
بالصبر والتقوى، إن وراء الليل فجرًا، إن تحت الرماد نارًا، صبرٌ
جميل لعل الله أن يأتي بالفرج الجليل.

تعلمنا من غزوة بدر الكبرى، أن من أسباب النصر العظيمة تألف
القلوب وتراحمها، كان أصحاب النبي - ﷺ - في قلة من العدد
والعدة، ولكن كانت بينهم المحبة والصفاء والمودة والإخاء، كانوا
متراحمين متعاطفين متآلفين متكاتفين متناصرين متآزرين، شعارهم:
لا إله إلا الله، فسبحان من أعزهم وهم أذلاء، سبحان من أغناهم
وهم فقراء، سبحان من رفعهم وهم وضعاء.

انظر وتأمل إن وجدت أهل الإسلام متعاطفين متراحمين فاعلم أن
النصر حليفهم، وإن وجدتهم متقاطعين متباعدين متناحرين، مزقتهم
الجماعات والحزبيات والرايات والشعارات فادمع على الإسلام بين
أهله.

عباد الله:

دعونا نعيش غزوة بدر وها هو رسول - ﷺ - يسوي الصفوف
 بقَدَحٍ في يده فضرب بطن سواد بن غزوية وقال: «استويا سواد» فقال
 سواد: يا رسول الله أوجعتني فأقذني ما تريد يا سواد؟ القصاص من
 من؟ من رسول الله .

وافق رسول الله لأنه لا يريد أن يلقي الله بمظلومة. لكن سواد قال
 يا رسول الله كان بطني مكشوفاً فكشف رسول الله عن بطنه وقال:
 «استقد» فاعتنقه سواد وقبّل بطنه فقال: «ما حملك على هذا يا سواد؟
 » قال: يا رسول الله قد حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد
 بك، أن يمس جلدي جلدك فدعا له رسول الله بخير. إنه الحب
 العظيم للحبيب محمد - ﷺ - اللهم أحينا على سنته واحشرنا في
 زمرة.

تعالوا بنا إلى مشهد آخر يقصه علينا عبد الرحمن بن عوف فيقول:
 «إني لفي الصف يوم بدر إذ التفت فإذا عن يميني وعن يساري فتیان
 حديثا السن إذ قال لي أحدهما سرّاً عن صاحبه: يا عم أرني أبا جهل

فقلت : يا ابن أخي فما تصنع به؟ قال أُخبرت أنه يسب رسول الله
والذي نفسي بيده لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت
الأعجل منا فتعجبت لذلك قال : وغمزني الآخر فقال لي مثلها فلم
أنشب أن نظرت إلى أبي جهل يجول في الناس فقلت : ألا تريان؟ هذا
صاحبكما الذي تسألاني عنه.

قال : فابتدراه بسيفيهما فضرباه حتى قتلاه ثم انصر-فا إلى رسول
الله فقال : «أيكما قتله؟» فقال كل واحد منهما : أنا قتلته قال : «هل
مسحتما سيفيكما؟» فقالا : لا فنظر رسول الله إلى السيفين فقال :
«كلاكما قتله» (رواه البخاري ح (٣١٤١)، ومسلم ح (١٧٥٢)) وهما معاذ بن
عمر و بن الجموح ومعوذ بن عفراء. وكان النصر بعد ذلك.

الله أكبر. . . ألا فليصرخ بمثل هذه المواقف في المجالس والدور
ولتُسقى هذه البطولة وتلك الغيرة مع ألبان الأمهات وليُعلم الصغار
والكبار كيف تكون العزة والدفاع عن الدين ونصرة الحق والغيرة
على الإسلام من أبنائنا الصغار.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من

الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم
ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا
إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى
رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

تعلمنا من غزوة بدر أهمية الدعاء والاستغاثة بالمغيث:

قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ (الأنفال : ٩)، لما نظم - ﷺ -

صفوف جيشه، وأصدر أوامره لهم وحرّضهم على القتال، رجع إلى

العريش الذي بُني له ومعه صاحبه أبو بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - وسعد بن معاذ

على باب العريش لحراسته وهو شاهرٌ سيفه، واتجه رسول الله - ﷺ -

إلى ربه يدعوه ويناشده النصر الذي وعده ويقول في دعائه: «اللهم

أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام

فلا تُعبد في الأرض أبداً»، وما زال - ﷺ - يدعو ويستغيث حتى سقط رداؤه، فأخذه أبو بكر ورده على منكبيه وهو يقول: يا رسول الله كفاك مناشدتك ربك فإنه منجز لك ما وعدك فأنزل الله: ﴿فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ وفي رواية ابن عباس - رضى الله عنهما - قال: قال النبي - ﷺ - يوم بدر: «اللهم أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد» فأخذ أبو بكر - رضى الله عنه - بيده فقال: حسبك الله، فخرج - ﷺ - وهو يقول: ﴿سَيَهْرُمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ﴾ (القمر: ٤٥)

وهذا درس رباني مهم لكل قائد أو حاكم أو زعيم أو فرد في أهمية اللجوء إلى الله، والسجود والجثي بين يدي الله عند التجرد من النفس وحظها، والخلوص واللجوء لله وحده، والسجود والجثي بين يدي الله سبحانه عند الملهمات والشدائد فهو وحده الناصر والمعين والمؤيد

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠)

﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرْكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٠)

عباد الله: وما هي أيام الشهر قد تابعت ولياليه الغُرُ قد تلاحقت،
هذه أيام رمضان قد أوشكت بالرحيل، وما نحن بعد أيام سنستقبل
العشر الأواخر، ختام شهر رمضان ووداعه.

أيها الإخوة، إن كان في النفوس زاجر، وإن كان في القلوب واعظ،
فقد بقيت من أيامه بقيةٌ. بقية وأي بقية، إنها عشره الأخيرة.

بقية كان يحتفي بها نبيكم محمد - ﷺ - أيما احتفاء.

في العشرين قبلها كان يخلطها بصلاة ونوم، فإذا دخلت العشر شمر وجد
وشد المنزر هجر فراشه، أيقظ أهله، يطرق الباب على فاطمة وعلي ب

قائلاً: «ألا تقومان فتصليان» يطرق الباب وهو يتلو: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ

بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَأَنْتَ لَكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَقِبَةُ لِلنَّوَى﴾ (١٣٢) (طه :

١٣٢)، ويتجه إلى حجرات نسائه أمرا: «أيقظوا صواحب الحجر قرب

كاسية في الدنيا عارية يوم القيامة» (رواه البخاري). إنها عشر- مباركات إذا

دخلت على الأخيار والصالحين فروا إلى بيوت الله معتكفين ركعاً سجداً

يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، سيماهم في وجوههم من أثر السجود قد

فارقوا النوم والكرى والهجود، يرجون رحمة الله الحليم الودود ويسألونه مقاماً

مع الركع السجود في نعيم الجنات جنات الخلود مع المقرين الشهود، قد سمت أرواحهم إلى الخيرات وتنافست أجسادهم في فعل الباقيات الصالحات.

يا عباد الله، أنتم مقبلون على عشر هي أعظم أيام شهركم فضلاً وأرفعها قدرًا وأكثرها أجرًا، تصفو الأوقات للذيد المناجاة، وتسكب العبرات بكاءً على السيئات، فكم لرب العزة من عتيق من النار، وكم من أسير للذنوب وصله الله بعد القطع، وكتب له السعادة من بعد طول شقاء، إنها الفرصة إذا أفلتت فلن تنفع بعدها الحسرات، والأعمار بيد الله، ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا

تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان : ٣٤)

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



الرزق والأجل (١)

الحمد لله الكريم الحليم الحمد لله الغفور الرحيم سبحانه لا نحصي
ثناءً عليه وله الحمد حتى يرضى وله الحمد إذا رضي واشهد أن لا إله إلا
الله وحده لا شريك له رب الأرض والسماء مالك الملك والملكوت ذي
العزة والجبروت.

يامن تحل بذكره عقد النوائب والشدائد يا من إليه المشتكى وإليه أمر الخلق عائد
يا حي يا قيوم يا صمدٌ تنزهه عن مضادد أنت العليم بما أبتلينا به وأنت عليه
فرج بجودك كربنا يامن له حُسن العوائد شاهد

وأشهد أن نبينا وحبينا محمد رسول الله - ﷺ - ما من خيرٍ إلا

ودلنا عليه ومن شرٍ إلا وحذرنا منه.

إن البرية يوم مبعث أحمدٍ نظر الإله لها فبدّل حالها
بل كرم الإنسان حين اختار من خير البرية نجمها وهلالها
لبس المرقع وهو قائد أمةٍ جبت الكنوز فكسرت أغلالها
لما رآها الله تمشي - نحوه لا تتبغي إلا رضاه سعى لها

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٠٢) (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ

مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا

(النساء: ١)

أما بعد: أيها الناس: قضيتان خطيرتان وأمران مهمان يشغلان بال جميع الناس ليل نهار؛ ألا وهما قضية الرزق وقضية الأجل.

إن همَّ الرزق قد أكل قلوب الخلق، وسيطر على عقولهم، وعطلوا من أجله ما كُلفوا به، والله قد كفاهم. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (٥٦) (الذاريات: ٥٦)

وانشغال الإنسان أو نسيانه لقضية الأجل يجعله في هم ونكد وضيق.

فحب الدنيا لا يكون إلا حباً في ملذاتها وشهواتها، والدنيا تحتاج إلى مال، والمال يحتاج إلى جمع وتحصيل وكدح. وكلما كان مال الإنسان أكثر كان استمتاعه بالملذات أكثر، وكان حبه للدنيا أقوى وأمكن، وحينئذ يتنافس الناس على الدنيا، ويعطلون الفرائض من أجلها، ويرتكبون المحرمات في سبيلها.

وكراهية الموت ما كانت إلا بسبب ضعف الإيمان في مسألة الأجل، ومن ثم يتولى الإنسان حفظ نفسه من الموت بالابتعاد عن مظانه وأسبابه، ولو كان في سبيل الله - تعالى - مع أنه ميت لا محالة.

عَنْ ثَوْبَانَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ، كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا. فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزِعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمُهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ». (أخرجه أحمد (٥/٢٧٨) وأبو داود في الملاحم باب تداعي الأمم على الإسلام (٤٢٩٧) وذكره الألباني في الصحيحة (٢٥٨)).

وحب الدنيا يعود إلى قضية الرزق وكراهية الموت متعلق بقضية الأجل.

عباد الله: إن من أعظم أسباب ذلة المسلمين في العصور المتأخرة هو الخلل في فهم قضيتي الرزق والأجل، أو ضعف الإيمان بهاتين المسألتين المهمتين.

من أهم أسباب خيانة الخائنين وتسليم الأرض والديار للمجرمين والمخربين ضعف الإيمان في قضية الرزق والأجل.

علينا أن نعلم علماً يقينياً أن الآجال والأرزاق بيد الله تعالى وحده؛ فقضية الرزق هي جزء مهم من الاعتقاد في الله تعالى، فالله سبحانه تكفل للخلق بالرزق مهما كانوا وأينما كانوا، مسلمين أو كافرين، كباراً أو صغاراً، رجالاً أو نساءً، إنساً وجمناً، طيراً وحيواناً، قوياً وضعيفاً، عظيماً وحقيراً؛ قال تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ

مُسْتَقْرَاهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ (هود : ٦)

وقال: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ

مَا أَنْتُمْ نَاطِقُونَ ﴿٢٣﴾ (الذاريات ٢٢، ٢٣).

ولقد حذرنا النبي - ﷺ - من أن تتعلق قلوبنا بتحصيل أرزاقنا؛ فننسى الله - تعالى - والدار الآخرة، ونشغل عن العمل الصالح بالجمع والتحصيل، والعد والتنمية، ولربما شحت نفوسنا عن أداء حق الله - تعالى - في أموالنا، أو امتدت أيدينا إلى ما لا يحل لنا؛ فنكون كالذي يأكل ولا يشبع، ويجمع ولا ينتفع! نعوذ بالله من نفوس لا تشبع، ومن قلوب لا تحشع.

عن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : « ليس من عمل يقرب إلى الجنة إلا قد أمرتكم به ولا عمل يقرب إلى النار إلا قد نهيتكم عنه لا يستبطن أحد منكم رزقه أن جبريل عليه السلام ألقى في روعي أن أحداً منكم لن يخرج من الدنيا حتى يستكمل رزقه فاتقوا الله أيها الناس واجملوا في الطلب فإن استبطأ أحد منكم رزقه فلا يطلبه بمعصية الله فإن الله لا ينال فضله بمعصية» (الحاكم في مستدرکه ج ٢ / ص ٥ حديث رقم : ٢١٣٦ وهو صحيح).

سقط رجل في بئر وبدأ يصرخ مستغيثاً فسمع الناس صراخه فقدموا لإنقاذه ورفعوه من البئر.. فجاء رجل وأعطاه مذقة لبن ليشربها ويرتاح، ثم سأله كيف سقطت في البئر فبدأ هذا الرجل يصف لهم بالتفصيل كيف سقط ووقف على حافة البئر ليصف لهم ولكن في هذه المرة سقط ومات..

يقول أحد العلماء معلقاً على هذه القصة: أن هذا الرجل بقي من رزقه شربة لبن، فلما شربها وانتهى رزقه الذي كُتب له سقط في نفس المكان ومات.

عباد الله:

لا تخشوا على أرزاقكم فقط اعملوا بالأسباب والرازق هو الله
ولن تموت نفس قبل أن تستكمل رزقها وموافاة أجلها.

أخبرني الخليل:

عندما يسألك أحد عن حالك! وترد " الحمد لله " لا ترد بانكسار لا
تجعل الحمد لله دليل ألم أفهم الحمد واعرف من هو الله قل " الحمد لله " و
أنت مبتسم " الحمد لله " حمداً تستطبّ به جراحنا وبها يغدو الفؤادُ غنياً
! توكلت في رزقي على الله خالقي... وأيقنت أن الله لا شك رازقي
وما يك من رزقي فليس يفوتني... ولو كان في قاع البحار العوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله... ولو، لم يكن من اللسان بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرة... وقد قسم الرحمن رزق الخلائق
أيها الألباب:

والله لو قنعت نفسٌ بما رزقت... من المعيشة إلا كان يكفيها
والله والله أيماناً مكررة... ثلاثة من يمين بعد ثانيها
لو أن في صخرة صمّاً ململة... في البحر راسيةٌ مُلسٍ نواحيها

رزقاً لعبد يراه الله لانفلقت... حتى تؤدي إليه كل ما فيها
أو كان تحت طباق السبع مسلكها... لسهل الله في المرقى مراقبها
حتى ينال الذي في اللوح خط... له فإن أتته وإلا سوف يأتيها
فلنعلق آمالنا بالخالق لا بالمخلوقين.

وأما الآجال فهي كالأرزاق بيد الله تعالى وحده. قال سبحانه :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمِمْسِكَ
الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ
لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ (الزُّمَرُ : ٤٢)

كم من أناسٍ ناموا وهم في عافية وفي الصباح جاءت ساعة
الاستيقاظ فأيقظوهم لكن أرواحهم ارتفعت إلى بارئها.

قال تعالى: ﴿ قُلْ يَنُوفِنَاكُمْ مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ

تَرْجَعُونَ ﴿١١﴾ (السجدة : ١١)

السؤال المطروح متى سنموت؟ متى تأتي ساعة آجالنا؟ كيف

سنموت؟ الجواب في قوله تعالى:

وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي
الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ
اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾ (لقمان : ٣٤)

فالمؤمن يعلم علم اليقين أن الآجال بيد الله تعالى وحده وأن ما شاء
الله كان وما لم يشاء لم يكن، وأنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها
وأجلها.

نسير إلى الآجال في كل لحظة وأعمارنا تطوى وهنّ مراحل
ترحل من الدنيا بزاد من التقى فعمرك أيام وهن قلائل
وما هذه الأيام إلا مراحل يحث بها حادٍ إلى الموت قاصدٌ
وأعجب شيء لو تأملت أنها منازل تطوى والمسافر قاعد

وطالما عرف المؤمن ذلك فإنه لا يجبن ولا يخاف لأن أجله بيد الله.

الإنسان قد يفر من الموت ولو فر هذا الفار إلى أي مكان فإنه لن ينجيه

ذلك من قدر الله "الموت"، قال الله -تعالى-: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي

تَفْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ

بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ (الجمعة : ٨)، وقال تعالى: ﴿أَيُّنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ

الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ﴾ (النساء : ٧٨)

أيها الألباب: إنه من حضر أجله فإنه سيموت ولو كان في عقر داره وبين أهله وولده، بعد غزوة أحد واستشهاد سبعين من خيرة الصحابة وكلهم خيار، قال المنافقون: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ (آل عمران : ١٥٦)

رد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران : ١٥٤)

ومن لم يحضر- أجله فلن يموت ولو كان في ساحة الوغى، ومقارعة الأعداء، وشواهد ذلك كثيرة أناس شاركوا في معارك عديدة وكانوا بين الرصاص والمدافع لكنهم خرجوا سالمين وماتوا على فرشهم وما قصة خالد بن الوليد - رحمته الله - عنكم بعيد فقد شهد معارك كثيرة، ولم يستشهد فيها، ولكنه لاقى الموت على فراشه، فلما حضرته الوفاة بكى، ثم قال: «لقد حضرت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم،

وهأنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء»، وفي هذه القصة عبرة ودليل على أنه لن يُعني حذر من قدر، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه.

تزوجت امرأة برجل، وبعد فترة من الزمن ظهر معه المرض الخطير السرطان عافانا الله وإياكم؛ فبدأوا يجمعوا لها الأموال حتى تشتري بيتاً يأويها بعد موته فإن وفاته أكيدة فهات هي قبله بنفس المرض، كما أنه عاش بعدها ثلاث سنوات!!!

وها هو آخر يُمرّض أباه الكبير في السن، المليء بالعلل وتأتي الأخبار إلى الناس أن الأب مات، والأب حيٌّ يُرزق.

آخر ابتلاه الله بمرض فقرر السفر إلى مصر للعلاج؛ فقالوا لا بد من مرافق. وفي مصر مات المرافق ورجع المريض إلى أهله معافى بإذن الله.

حادث سيارة يموت الرجال والنساء وجاء المسعفون والمنقذون؛ وإذا بهم يسمعون صوتاً يبحثون عن الصوت وإذا هو طفل صغير لا زال حياً يُرزق، مات الكبار أصحاب العضلات، والصغير لم يمت لأن أجله لم

ينتهي بعد، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا

مُوجَّلاً ﴿آل عمران : ١٤٥﴾ بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

: هناك أناس ضعيفي الإيمان يسألون لماذا ذهب فلان للجهاد؟ لو كان مع أهله ما مات!! لماذا ذهب فلان إلى البحر؟ لو كان عند أهله ما غرق!! ولسان حال هؤلاء: ﴿لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا

مَاتُوا وَمَاقْتُلُوا﴾ ﴿آل عمران : ١٥٦﴾

رد الله عليهم بقوله تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ

عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ ﴿آل عمران : ١٥٤﴾

إن الله كتب أرزاقنا وآجالنا كم هي ومقدارها قبل أن يخلق
السموات والأرض بخمسين ألف سنة.

كم سمعنا في الأخبار عن زلازل وبعد أيام يخرجون من تحت
الأنقاض أحياء يُرزقون. من كان يرعاهم من كان يحفظهم؟ إنه الله.
أيها الناس:

اطمئنوا واملأوا قلوبكم ثقةً وإيماناً أنه لن تموت نفسٌ حتى
تستوفي رزقها وأجلها، ولن يُقدّم الموت شجاعة، ولن يؤخر الموت
جُبِن؛ ولهذا صدق من قال:

أقسمت بالله القسم بعد القسم... أني مع الحق في الصف الأمام
والله ما با ميل عن خطّه قدم... للأرض تحرق والسماء تمطر سهام
احنا رجال الموت وأصحاب الهمم. لو مر عزرائيل نضرب له سلام
الموت ما منه مفرياً أهل الهمم... يا عيشة الأحرار أو موت الكرام.

عباد الله:

أرأيتم لو أن أرزاق الناس وآجالهم بيد بشر منهم، فكم يحصل في الأرض من الظلم والبغي والفساد؟ ! ما ترك الله - تعالى - ذلك للخلق، ولو ترك إليهم إذا لظلم بعضهم بعضاً، ونسي بعضهم بعضاً، وغفل بعضهم عن بعض، فأرزاق الناس وآجالهم بيد من لا يظلم ولا ينسى ولا يغفل، جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه، سبحانه وبحمده القائل:

﴿قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ (آل عمران:

(١٥٤)

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على

إبراهيم..



الرزق والأجل (٢)

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير.

أرب عفوك لا تأخذ بزلتنا أرحم أرب ذنباً قد جنيناه
 م نطلب الله في ضُرِّ يحل بنا إن تولت بلايانا نسيناه
 عوه في البحر أن ينجي سفيتتنا، رجعنا إلى الشاطيء عصيناه
 كب الجو في أمن وفي دعة ساسقطنا لأن الحافظ الله
 وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم
 بإحسان وسلم تسليماً كثيراً.

أيها المسلمون:

اتقوا الله تعالى لتكونوا من أولياء الله الذين يقول الله فيهم: ﴿آلَا

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (٦٢) الَّذِينَ

ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (٦٣) (يونس : ٦٣)

عباد الله:

لازال الحديث معكم عن الرزق والأجل. أخطر شيء في حياة الإنسان وجوده ورزقه، وأخشى ما يخشاه انقضاء أجله وانقطاع رزقه؛ لذلك لو علم الإنسان علم اليقين أن أجله بيد الله، وأن رزقه بيد الله، لكانت حياته لها شأنٌ آخر، لن يخاف أحد إلا الله، ولن يجامل أحد، ولن ينافق ولن يدهن على حساب دينه وعقيدته ووطنه.

عباد الله:

إن الله ﷻ قد منع العباد من أن يتدخلوا في آجال الناس وفي أرزاقهم، لذلك قالوا كلمة الحق لا تقطع رزقاً، ولا تقرب أجلاً، فكل ذلك بيد ملك الملوك ﷻ.. ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ (٧٨) ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ﴾ (٧٩) ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (٨٠) (الشعراء : ٧٨-٨٠)

أخاي الحبيب: لو دقت في أسباب أكثر المعاصي لوجدتها من أجل المال، قطع الصلاة أو تأخيرها من أجل المال، لو بحثت عن أسباب بيع الذم وشهادة الزور لكان وراءها المال، سفك الدماء واللهث وراء الحرام وراءه المال وغير ذلك من المعاصي.

وصدق النبي المصطفى - ﷺ - حين قال: «بادرُوا بالأعمالِ فتنًا كقطع الليل المظلم يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا يبيع دينه بعرض الدنيا» (أخرجه مسلم في صحيحه في الإيمان باب الحث على المبادرة بالأعمال قبل تظاهر الفتن (١/ ١١٠) رقم (١١٨).) صدق رسول الله.

عِبَادَ اللَّهِ:

ان الأرزاق مكتوبة والآجال محسوبة ومعدودة روى الشيخان من حديث عبد الله بن مسعود - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قال: حدثنا رسول الله - ﷺ - وهو الصادق المصدوق، قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقةً مثل ذلك، ثم يكون مضغَةً مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا فيؤمر بأربع كلمات: بَرِّزْهُ وَأَجِّلْهُ وَشَقِّيْ أَوْ سَعِدْهُ» (أخرجه البخاري ومسلم)

ولذا تأملوا من الناس من لم يكتب له رزقه إلا في أعماق البحار كالغواصين ومنهم من رزقه في الهواء بين السماء والأرض كالطيارين والملاحين. . ومنهم من رزقه تحت الأرض يجدون لقمة عيشهم في كسر- صخرٍ صلدٍ كأصحاب المناجم.. والعجب كل العجب فيمن رزقه كامنٌ

بين فكي الأسود وهو مروضها.. أو بين أنياب الفيلة وخراطيمها وهو يسوسها.. أو مثل بهلوان يمشي- على حبلٍ ممدودٍ في الهواء ليجد لقمة عيشه بالمشي عليه في مخاطرةٍ تدهش العقول وترعد الفرائص.

هل لنا **عباد الله** - أن نتصور أرزاق أناسٍ مرهونةً بمرض السرطان - عافانا الله وإياكم - أليس للسرطان طيب؟ أليس له حقنة؟ أليس رزق هذا الطيب وذلك الممرض مرهونة بهذا المرض الخبيث؟ أفلا نعلم أن من الناس من قوتهم مناط بالبرد القارس لبيع مدفأة أو ملحفة، أو من قوتهم مناط بالحر الشديد لبيع ثلجاً أو آلة تبريد؟ أليس هناك من رزقه مناط بفرح زوج وزوجةٍ ليؤجر لهما وسائل الفرحة؟ أليس هناك من رزقه مناط بأتراح الناس وأحزانهم فيحفر قبراً لفلان أو يبيع كفنأله؟ وقولوا مثل ذلكم في رزق الجلاد والسجان ومنفذي القصاص وقاطع يد السارق. إنها حكمة الله وعظمته وتسخير عبادته بعضهم لبعض: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ**

يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ (المائدة: ١). ألا رحم الله عبداً كسب فتطهر، واقتصد فاعتدل، وذكر ربه ولم ينس نصيبه من الدنيا، ويا خيبة من طغى ماله ورزقه عليه، وأضاع دينه وكرامته وكان من الذين قال الله فيهم: ﴿ **وَإِذْ أَرَأَوْا بُحْرَةً**

أَوْهَوُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا ﴿١١﴾ (الجمعة: ١١)

إن العبد إذا أيقن بأن الأجل محدد، وأن الرزق مقدر، واطمأن قلبه بذلك؛ فإنه أولاً: لن يجزع من فقر أصابه، أو جائحة أتلفت ماله.

ثانياً: لن يشغل نفسه بالدنيا عن عمل الآخرة؛ لأنه يعلم أنه مهما سعى واجتهد وأجهد نفسه فلن يكتسب إلا ما كُتب له.

ثالثاً: لن تستشرف نفسه ما في أيدي الناس، ولن تتطلع عينه على ما في خزائنها.

رابعاً: لن تمتد يده إلى ما حرم الله - تعالى - عليه مهما كلف الأمر؛ لعلمه أن الذي خلقه سيرزقه.

خامساً: لن ييثر شكايته للناس؛ لعلمه أنهم لا يرزقون أنفسهم فضلاً

عن أن يرزقوا غيرهم فسبحان الله القائل: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا

عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (هود : ٦)

عباد الله:

من استعجل الرزق بالحرام مُنِعَ الحلال؛ رُوي عن علي - عليه السلام - أنه

دخل مسجد الكوفة فأعطى غلاماً دابته حتى يصلي، فلما فرغ من صلاته

أخرج ديناراً ليعطيه الغلام، فوجده قد أخذ خطام الدابة وانصرف،

فأرسل رجلاً ليشتري له خطاماً بدينار، فاشترى له الخطام، ثم أتى فلما رآه علي - عليه السلام -، قال سبحان الله! إنه خطام دابتي، فقال الرجل: اشتريته من غلام بدينار، فقال علي - عليه السلام -: سبحان الله! أردت أن أعطه إياه حلالاً، فأبى إلا أن يأخذه حراماً! وقيل لأبي حازم - عليه السلام - ما مالك؟ قال: شيئان: الرضا عن الله، والغنى عن الناس. قيل له: إنك لمسكين. فقال: كيف أكون مسكيناً ومولاي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى.

وقال مورك العجلي: يا ابن آدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن، وينقص عمرك وأنت لا تحزن، تطلب ما يطغيك وعندك ما يكفيك.

جلس إبراهيم بن ادهم - عليه السلام - يوماً ووضع بين يديه بعضاً من قطع اللحم المشوي فجاءت قطة فخطفت قطعة من اللحم وهربت، فقام وراءها وأخذ يراقبها فوجد القطة قد وضعت قطعة اللحم في مكان مهجور أمام جحرٍ في باطن الأرض وانصرفت فازداد عجبه وظل يراقب الموقف باهتمام وفجأة خرج ثعبان أعمى فقأت عيناه يخرج من الجحر في باطن الأرض ويجر قطعة اللحم إلى داخل الجحر مرة أخرى، فرفع

الرجل رأسه إلى السماء وقال: سبحانك يا من سخّرت الأعداء يرزق بعضهم بعضاً.

سهرت أعين ونامت عيون في شؤون تكون أو لا تكون
فدع الهم ما استطعت فحملانك الهموم جنون
إن رباً كفاك ما كان بالأمس سيكفيك في غدٍ ما يكون

أخلى المؤمن الخيب: ما دام عرفت أن الآجال والأرزاق مكتوبة ومحسوبة فادفع همهما عن نفسك.

سئل الحسن البصري عن سر زهده في الدنيا فقال:
أربعة أشياء:

علمت أن عملي لا يقوم به غيري فاشتغلت به. وعلمت أن رزقي لا يذهب إلى غيري فاطمأن قلبي. وعلمت أن الله مطلع علي فاستحييت أن يراني على معصية. وعلمت أن الموت ينتظرنني فأعددت الزاد للقاء ربي.

رأى إبراهيم بن أدهم رجلاً مهموماً فقال له: أيها الرجل إني أسألك عن ثلاث تجيبني قال الرجل: نعم.

فقال له إبراهيم بن أدهم: أيجري في هذا الكون شيء لا يريد
الله؟ قال: كلا قال إبراهيم: أفينقص من رزقك شيء قدره الله لك؟
قال: لا.

قال إبراهيم: أفينقص من أجلك لحظة كتبها الله في الحياة؟ قال:
كلا. فقال له إبراهيم بن أدهم: فعلام الهم إذا؟؟!

دع المقادير تجرى في أعتها ولا تنامن إلا خالي البال
ما بين غمضة وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي الله وإياكم بما فيه من
الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم
ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا
إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى
رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

أخرج الإمام البخاري في صحيحه، فعن عبد الله بن مسعود -
 رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- قال : خط النبي - ﷺ - خطأً مربعاً، وخط خطأً في الوسط
 خارجاً منه، وخط خطوطاً صغيراً إلى هذا الذي في الوسط من جانبه
 الذي في الوسط وقال : «هذا الإنسان، وهذا أجله محيط به أو قد
 أحاط به، وهذا الذي هو خارج أمله، وهذه الخطوط الصغار
 الأعراض، فإن أخطأه هذا نهشه هذا، وإن أخطأه هذه نهشه هذا».

والمراد بالأعراض: الآفات العارضة له، فإن سلم من هذا لم يسلم
 من هذا، وإن سلم من الجميع ولم يصبه آفة من مرض، أو فقد مال،
 أو غير ذلك بغته الأجل. والحاصل أن من لم يمت بالسبب مات
 بالأجل.

تعددت الأسباب والموت واحد.

سقط أحدهم من عمارة مكونة من أدوار لكنه لم يصب بأذى مع
 أنه موتٌ محقق فانطلق فرحاً يشترى مشروبات لأصحابه فرحاً

بنجاته وعند عودته وهو يقطع الطريق ضربته السيارة وكانت النهاية.

﴿قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَا تَمْنَعُونَ إِلَّا

قَلِيلًا﴾ (الأحزاب : ١٦)

عباد الله:

لو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره، وما من أهل بيت إلا وملك الموت يتعاهدهم في كل يوم مرة، فمن وجده قد انقضى -أجله قبض روحه، فإذا بكى أهله وجزعوا قال: لم تبكون ولم تجزعون؟ فوالله ما نقصت لكم عمرا ولا حبست لكم رزقا، ومالي من ذنب، ولي إليكم عودة ثم عودة.

وفي صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال: قالت أم حبيبة زوج النبي -صلى الله عليه وسلم- ورضي الله عنها: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي سفيان وبأخي معاوية قال: فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- «قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل

شيئا قبل أجله ولن يؤخر شيئا عن أجله ولو كنت سألت الله أن يعيدك من عذاب في النار وعذاب في القبر كان خيرا وأفضل»،

أخيراً إذا أيقن المسلم أن كل شيء بيد الله تعالى وحده وأن أجله محدود ومعدود فما عليه إلا أن يستعد لهذه اليوم الذي - حتماً - سيسير فيه إلى ربه تعالى.

ورحم الله الفضيل بن عياض إذ لقيه رجل فسأله الفضيل عن عمره فقال الرجل: عمري ستون سنة، قال الفضيل: إذا أنت منذ ستين سنة تسير إلى الله، يوشك أن تصل. فقال الرجل: إنا لله وإنا إليه راجعون، قال الفضيل: هل عرفت معناها؟ قال: نعم، عرفت أني لله عبد، وأنني إلى الله راجع، فقال الفضيل: يا أخي! إن من عرف أنه لله عبد وأنه إلى الله راجع عرف أنه موقوف بين يديه، ومن عرف أنه موقوف عرف أنه مسئول، ومن عرف أنه مسئول فليعد للسؤال جواباً، فبكى الرجل وقال: يا فضيل! وما الحيلة؟ قال الفضيل: سيرة. قال: ما هي يرحمك الله؟ قال: أن تتقي الله فيما بقي، يغفر الله لك ما قد مضى وما قد بقي.

(الزمخشري: ربيع الأبرار ٢١٢).

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



الغش

الحمد لله كثيراً كما أمر، وأشكره وقد تأذن بالزيادة لمن شكر.
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له على رغم أنف من
جحد وكفر.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله سيد البشر، اللهم صلّ وسلم على
عبدك ورسولك محمد وعلى آله وأصحابه السادة الغرر.
أما بعد:

أيها الناس اتقوا الله تعالى حق التقوى وراقبوه في السر والعلن.
اعلم أخي المسلم وفقني الله وإياك وجميع المسلمين لما يحبه ويرضاه
أن مما يتأكد اجتنابه والتحذير منه وإنكاره الغش والخداع في
المعاملات، فإن الإسلام يحرم ذلك بكل صورته في بيع وشراء وفي
سائر أنواع معاملات الإنسان فالمسلم مطالب بالتزام الصدق في كل
شؤونه، والنصيحة في الدين أغلى من كل مكسب كما قال - ﷺ - :
«الدين النصيحة» (رواه مسلم رقم (٥٥) في الإيمان).

وقال - ﷺ - : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما» (رواه البخاري ومسلم)،
 ومروا رسول الله برجل يبيع طعاماً فأعجبه ظاهره، فأدخل يده فيه
 فرأى بلاءً فقال : «ما هذا يا صاحب الطعام؟ قال : أصابته السماء يا
 رسول الله - أي المطر - فقال : فهلا جعلته فوق الطعام كي يراه
 الناس، من غشنا فليس منا» (حديث صحيح : عن أبي الحمراء مرفوعاً،
 صحيح الجامع ٦٤٠٧)، وفي رواية أنه مر بطعام وقد حسنه صاحبه،
 فوضع يده فيه فإذا بالطعام رديء فقال : «بع هذا على حدة وهذا على
 حدة من غشنا فليس منا»، فانظر بماذا حكم على من غش في الطعام،
 والطعام مادة ينتهي أثرها بسرعة فكيف بما هو أعظم وأعظم من
 ذلك، فالإيمان الصحيح الكامل يلزمنا الصدق والإخلاص والتقوى
 والنصح وفي الحديث الصحيح : «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه
 ما يحب لنفسه من الخير» (أخرجه البخاري في الإيمان (١٣)، ومسلم في الإيمان
 (٤٥) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه).

فإذا سألك إنسان مؤمن عن حال رجل وأخلاقه وأمانته ودينه فأجبته بغير ما تعرف وتعلم كأن كان فاسقاً فقلت: إنه صالح أو كان صالحاً فقلت: إنه من المفسدين. فقد غششته، وإن استنصحك أخوك المؤمن عن امرأة يريد أن يتزوجها تعرفها وتعلم صفاتها وأخلاقها وأهلها فلم تصدقه الحقيقة ولم تذكر له الحق الذي تعرفه فقد كذبت عليه وغششته وكنت من الخائنين، وإذا سألك أخوك عن تاجر ومعاملته للناس فقلت غير الحق وعميت عليه أمره فمدحته وهو مذموم، فاعلم أنك بذلك جمعت بين الغش والكذب، ومحل ذلك كله إذا كان السائل له مصلحة تتعلق بمن يسألك عنهم فلزمك أن تصدقه الخبر وأن تبذل له النصيحة خالصة لوجه الله تعالى، أما إذا كان السائل من الذين يبحثون عن أحوال الناس ويتبعون عوراتهم وأخطاءهم ليشهر بهم ويطنعن في أعراضهم وينتقص منهم فليكن جوابك له على كل سؤال قول النبي - ﷺ - : «من حُسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» (سنن الترمذي: كتاب الزهد (٢٣١٧)، سنن ابن ماجه: كتاب

الفتن (٣٩٧٦))، وقل له : الأُوْلَى بك أن تفتش عن نفسك وعيوبها
والسعي في إصلاحها واحذر أن تتصف بما قاله الشاعر:

شر الورى من يعيب الناس مشتغلاً *** مثل الذباب يراعي موضع
العلل

وإذا كان الغش وهو تقديم الباطل في ثوب الحق مذموماً في الطعام
فكيف بالغش في الوظيفة والعمل والتوجيه والإرشاد وفي جميع
شئون معاملة الإنسان لأخيه، ولهذا كان السلف يفهمون مدى
خطورة الغش ويطبقون أحاديث المصطفى فكانوا يبينون ولا
يكتُمون، ويصدقون ولا يكذبون، وينصحون ولا يغشون، عرفوا
بحق قول النبي ﷺ - : « لا يجل لامرئٍ يبيع سلعة يعلم بها داءً أي
عيباً إلا أخبر به » (علقه البخاري في صحيحه : كتاب البيوع، باب إذا
بيّن البيعان ولم يكتما)، وتزداد حُرمة الغش إذا صاحبه اليمين
الكاذبة، يحلف وهو كاذب كما قال - ﷺ - : « الحلف منفقة للسلعة
محققة للبركة » (أخرجه البخاري في البيوع (٢٠٨٧)، ومسلم في المساقاة (١٦٠٦)
من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بنحوه)، وقد أصبح الغش عند كثير من

البائعين إلا من رحم الله ركناً أساسياً يندر أن تجد بائعاً غير غاش،
 فينبغي للإنسان في هذا الزمان الذي انتشر فيه الغش وعمّ وطمّ وقل
 فيه الخوف والضرب على أيدي الغشاشين أن يحذر منهم ويتحفظ في
 المعاملة معهم فإنهم بمثابة السراق، وكثير من البائعين اليوم ممن لا
 يخاف الله يحاول إخفاء العيب بوضع لاصق عليه أو يجعله في اسفل
 صندوق البضاعة أو يستعمل مواد كيميائية ونحوها، تظهر بمظهر
 حسن براق أو يخفي صوت العيب الذي في المحرك في أول الأمر،
 فإذا عاد المشتري بالسلعة لم يلبث أن تتلف من قريب، وبعضهم يغير
 تاريخ انتهاء صلاحية السلعة، أو يمنع المشتري من فحص السلعة
 وتجريبها، والغالب في من يبيعون السيارات والآلات أنهم لا يبينون
 عيوبها فهذا كله حرام لا يحل فعله.

عباد الله:

إن الغش معصية لله ولرسوله، وإنه لا يفيد صاحبه إلا الوزر
 والخزي العاجل والآجل إن لم يتب، وإنه لمن العار، إنه يضيع الثقة،
 فإن الناس إذا عرفوا الرجل غاشاً في معاملته انصرفوا عنه وأسقطوا

الثقة به، فأغلق بذلك على نفسه أبواب الربح والخير، ومن جنایات الغش على صاحبه أن البركة تذهب من عمل يديه وربما دارت عليه أو على ذريته الدوائر.

فاتقوا الله عباد الله وعاملوا الناس بالعدل، عاملوهم بما تحبون أن يعاملوكم به، حللوا مكاسبكم اجعلوها زاداً لكم يعينكم على طاعة ربكم، لا تجعلوها غرماً عليكم فتفقدوا بركتها وتستحقوا عقوبة الله من أجلها، وفي الحديث: «لا يكسب عبد مالا من حرام فيتصدق به فيقبل منه ولا ينفق منه فيبارك له فيه، ولا يتركه خلف ظهره إلا كان زاده في النار، إن الله لا يمحو السيئ بالسيئ ولكن يمحو السيئ بالحسن، إن الخبيث لا يمحوه الخبيث، ولن تموت نفس حتى تستكمل رزقها وأجلها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» (السلسلة الصحيحة (٢٨٦٦)).

واجعلوا قول ربكم دائماً نصب أعينكم: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ

بِالْبَطْلِ وَتُدْءُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ

وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٨﴾ (البقرة: ١٨٨)

عباد الله:

فإن مضار الغش وجنایاته على صاحبه أنه يسيىء إلى أسرته إذا اشتهر به لأنه يلوث سمعتها ويحمل الناس على أن يقولوا : هذه أسرة الغشاش، وأعظم بها أذية للمستقيمين، وإن أذية الغشاش لأولاده أشد، إذ أبناء حول أبيهم يأخذون عنه وينشؤون على أخلاقه ولا بد أن يأخذوا من طباعه، ويوشك أن يكونوا مثله غشاشين بعد ما يبلغوا مبلغ الرجولة فيكون أبوهم سبباً في وقوعهم في ضرر الدنيا والآخرة، وأما ضرر الغش وأذيته للدين فيالها من مصيبة فادحة وعقبة صعبة ضد القائمين بالدعوة إلى الإسلام ونشر محاسنه والحث على التخلق بأخلاقه والتأدب بآدابه، لأن أعداء الإسلام إذا نظروا إلى هؤلاء الغشاشين يتهمون الدين بالنقص ولا يقولون : إن النقص في الناس لعدم تمسكهم بالدين بل يلصقون النقص والعيب بالإسلام، وذلك صد عن إتباع الحق، وكفى بذلك ضرراً وأذية، فما الداعي أيها المسلمون لمثل هذه المعاملات السيئة؟ أهو القوت الذي تكفل به الحي الذي لا يموت؟ وما رأينا تقياً مات جوعاً أم هو الطمع والجشع وحب الدنيا وجمع حطامها الفاني.

أيها التجار ما هكذا يكون الربح، وما هكذا يكون المكسب، وما بتلك الأساليب والطرق تتكون الثروة، ويجمع المال، ولكن بالصدق والأمانة والشرف والتعفف عن الحرام ففكروا في مصير ما أتعبتم نفوسكم وأبدانكم في جمعه، وفكروا في المناقشة يوم القيامة عن دخوله وخروجه، وأنكم مفارقوه عن قريب.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

اتقوا الله وتعاملوا فيما بينكم بالبر والصدق والبيان، وإياكم والكذب والغش والكتمان، وتأملوا جيداً فيما تأتونه من أعمالكم في معاملتكم، وتدبروا عواقب أمركم فلا تنقصوا المكيال والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تتساقطوا على الربا حتى في التافه من بضاعتكم، ولا تدخروا البضاعة المشتراه بثمن زهيد فتبيعونها عند فقدها بثمن مرتفع، حين تشتد حاجة الناس فيقال لهذا: انتهت السلعة. ويقال لهذا: ارجع بعد ساعة.

ويقال للآخر: قد زيد في الثمن. فاعلموا أن هذه المعاملة احتكار حرمه الإسلام ولا يعد من البيع الذي أحله الله، ذلك لأن المحتكر يمتص بفعله هذا أموال الناس بدون شفقة ويحدث بذلك خللاً في السوق بحيث لا تسير أسعار البضائع سيراً طبيعياً مألوفاً.

إن الاحتكار استغلال لحاجة الناس وتحكم فيهم لاسيما إذا تعلق الأمر بأقواتهم وأغذيتهم، وقد بين النبي - ﷺ - عاقبة المحتكر بأن الله لن يبارك في ماله بل هو بعيد عن رحمة الله، لأنه لا يرحم الناس فقال عليه

الصلاة والسلام : « لا يرحم الله من لا يرحم الناس » وقال - ﷺ - : « لا يحتكر إلا خاطيء » (أخرجه مسلم)، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي - ﷺ - أتى على جماعة من التجار فقال : « يا معشر التجار إن الله باعثكم يوم القيامة فجاراً إلا من أتقى وبر وصدق » (رواه الترمذي وصححه وابن حبان والحاكم).

عباد الله:

وإن من الغش الذي أنكره الإسلام أشد الإنكار تطفيف المكيال وعدم إيفاء الوزن حقه قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطِ اسِ

الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۝٣٥﴾ (الإسراء : ٣٥)

أي : زنوا الأشياء بالميزان العدل المضبوط، وأوعد الله بالعذاب الشديد الذين يغشون الناس بإنقاص حقهم في المكيال والميزان مذكراً إياهم بموقف الحساب يوم القيامة حيث يبعثون أحياء من قبورهم ليجازيهم الله

على ما اقترفوا في دنياهم فقال جل وعلا: ﴿ وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ الَّذِينَ إِذَا

كَانُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ (المطففين :

٣)، إن الغش في الكيل والميزان إذا شاع وكثر في مجتمع أندر بحلول عذاب الله ونقمته، فلقد أخبرنا الله ﷻ عن قوم شعيب عليه السلام الذين نشأ فيهم

الغش في المكيال والميزان، وأنهم لم ينتهوا عما هم فيه من ذلك بعدما نهاهم
 نبيهم فقال: **فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخُسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ
 مُؤْمِنِينَ** ﴿٨٥﴾ (الأعراف : ٨٥)

فلما أعرضوا عن هذه الدعوة أرسل الله عليهم العذاب وأهلكهم
 بصاعقة شديدة فقال سبحانه: **﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
 مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَثْمِينَ
 مَعَهُ﴾** ﴿٩٤﴾ (هود : ٩٤)

أليس في هذا ما يدخل عليكم الخشية من الله والإقلاع عما حذر منه ونهى
 عنه، نسأله تعالى أن لا يسلط علينا عذابه وسخطه، وأن يصلح أمورنا وأن
 يجعل عواقبنا إلى خير إنه ولي ذلك، والقادر عليه، والحمد لله رب العالمين.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد
 الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في
 كتابه الكريم: **﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
 عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾**. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما
 صليت على إبراهيم...



عسى وعسى (١)

الحمد لله - تبارك وتعالى - يقضي بما شاء، ويفعل ما يريد، وربك
يخلق ما يشاء ويختار، أحده - سبحانه - وأشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له، يمهل للظالم والباغي ويملي له حتى إذا أخذه لم
يفلته سبحانه، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، خير من سعى
وطاف، وأفضل من بكى لله وخاف، صلى الله وسلم وبارك عليه
وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

عباد الله: أوصيكم - أيها الناس - ونفسي - بتقوى الله عز وجل،
فاتقوا الله رحمكم الله، وتوبوا إليه، واستغفروه واعلموا أنه ما نزل
بلاء إلا بذنب ولا رُفِع إلا بتوبه فاللهم اغفر لنا ما قدمنا وما أخرنا
وما أسررنا وما أعلنا وبعد.. .

اخواننا: نعيش وإياكم في هذه اللحظات المباركة مع حقيقة
قرآنية وسنة ربانية من تأملها انطفا من قلبه كل الم واستساغ في الحياة
كل وجع وسقم.

هذه الحقيقة تُطفي الأنين، وتُعلم العبد الرضا باختيار الرب
الكريم.

إنها حقيقة قرآنية قررها ربنا، وعنوانها في سورة البقرة الآية
السادسة عشرة بعد المائتين فقال جل من قائل: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦) وأكدها في سورة النساء الآية التاسعة

عشرة فقال تعالى: ﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا
كَثِيرًا﴾ (النساء: ١٩).

وزاد هذه الحقيقة تأكيداً في سورة النور الآية الحادية عشرة: ﴿لَا

تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور: ١١)

إنها حقيقة قرآنية تُعلم العبد المؤمن أن يدعو ويقول: اللهم خري
فإني لا أحسن الاختيار، يارب دبري فإني لا أحسن التدبير

حقيقة قرآنية تُعلم العبد دائماً أن يلهج لسانه وقلبه في كل ما يقع
له من خير وشر فيقول: لعله خير.

نعم فكل أمر المؤمن خير، كما قال الحبيب المصطفى، فالمؤمن
منشرح الصدر في السراء والضراء شكراً في الرخاء وصبراً عند البلاء
قائلاً: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، قائلاً: ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا

مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ

[التوبة: ٥١]

عباد الله:

إن الإنسان قد يقع له شيء من الأقدار المؤلمة، والمصائب الموجهة
التي تكرهها نفسه، فربما جزع، أو أصابه الحزن وظن أن ذلك المقذور
هو الضربة القاضية والفاجرة المهلكة لآماله وحياته فإذا بذلك
المقدور مُنحة في ثوب محنة وعطيّة في رداء بلية وفوائد لأقوام ظنوها
مصائب وكم أتى نفع الإنسان من حيث لا يحتسب! فلا إله إلا الله
القائل: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (البقرة: ٢١٦)، وعلى
العكس؛ فكم من إنسان سعى في شيء ظاهره خيرٌ، وأسرع إليه،
واستمات في سبيل الحصول عليه، وبذل الغالي والنفيس من أجل
الوصول إليه، فإذا بالأمر يأتي على خلاف ما يريد! . فلا إله إلا الله

القائل: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا

تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة: ٢١٦)

ذُكر أن رجلاً قدم إلى المطار للسفر وكان حريصاً على رحلته، ولديه موعد مهم، والناس في انتظاره لعملٍ مهم وهو مجهد بعض الشيء، فأخذته غفوة، مع أنه حدد المنبه فأفاق لكنه تأخر قد أقلعت الطائرة، وفاتته الرحلة، فضاق صدره، وندم ندماً شديداً، ولم تمض دقائق على هذه الحال التي هو عليها حتى أُعلن عن سقوط الطائرة، واحترق من فيها بالكامل .. ألم يكن فوات الرحلة خيراً لهذا الرجل؟ ولكن أين المعتبرون والمتعظون؟

أخلاق المؤمن أخلاق الكلب: لو كُشفَ لك عما في الغيب، لم تختَر غير ما اختاره الله لك، ليكن شعارك: لعله خير. أحسن الظن بربك. مصيبة في المال أو الأهل أو الولد لعله خير، تأخر زواج أو تأخر انجاب، لعله خير، لعل الله دفع عني ما هو أعظم، لعل الله يخفي لي خيراً مما ذهب عني.

ردد دوما: لعله خير

إخوة يوسف - عليه السلام - أرادوا قتله فلم يَمُتْ، أرادوا محو أثره فارتفع شأنه وعلا نجمه، أرادوا بيعه مملوكًا فأصبح ملكًا، أرادوا أن يُزيلوا محبته من قلب أبيهم فما ازداد أبوهم إلا حُبًّا وشغفًا به، وكان الله تعالى يقول: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]

مريم عليها السلام لما حملت بعيسى عليه السلام وجاءت الآلام وخافت الفضيحة قالت يا ليتني مت قبل هذا، لم تكن تعلم أن في جوفها نبي ومن أولي العزم من الرسل، سبحان الله كم من مشكلة تحل بالعبد يظن أنها المهلكة فكان فيها الخير والبركة.

يتجسد هذا المعنى في قصة موسى والعبد الصالح في سورة الكهف التي نقرأها كل جمعة، حين قام العبد بخرق السفينة، خرق ظاهره عيب وشر؛ لكن الله جعل فيه البركة والنجاة من الغضب قال تعالى:

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ

مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (٧٩) (الكهف: ٧٩)

فهذا العيب نجت السفينة من أن يأخذها ذلك الملك الظالم
غضباً.

أَخْلَى الرَّؤُوسَ: سفينتك قد تكون زوجتك التي فقدتها بموت أو
غياب وقد يكون ابنك المجروح أو مالك المصّادر أو وظيفتك أو
عزيز لديك. لو خُرقت سفينتك أترضي بقضاء الله وتعلم أن الله يدبر
لك خيراً تجهله فيه النجاة أم تسخط وتستنكر قضاء الله؟

قُتِلَ غلامٍ رحيم فيه لطف خفي؛ فهذا الغلام لا يستحق القتل في
الظاهر، ولكن الغيب يُطّلع العبد الصالح علي سبب قوي لقتله، إنه
سينشأ كافراً طاغياً، تكمن في نفسه بذور الكفر والطغيان، فلو عاش
لأرهب والديه المؤمنين بكفره وطغيانه، وقادهما بدافع حبهما له أن
يتبعاه في طريقه. فيموتا على الكفر فيكونوا جميعاً من أهل النار، فأراد
الله بقتل الغلام أن يبدلها الله خلفاً خيراً منه، لطفاً ورحمة به وبوالديه
فيدخلوا جميعاً في رحمته يوم القيامة.

قال تعالى ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهَقَهُمَا طُغْيَانًا

وَكُفْرًا﴾ (الكهف : ٨٠)

توقف - أختلي اللبيب مع هذه الحادثة قليلا. كم من إنسان حُرْم الذرية بقدر الله فضاق بذلك ذرعًا، واهتم واغتم وضاق صدره! وهذه طبيعة البشر؛ لكن الذي لا ينبغي أن يحدث هو الحزن الدائم، والشعور بالحرمان الذي يقضي على بقية مشاريعه في الحياة. وليت من حرم نعمة الولد يتأمل هذه الآية، لا ليذهب حزنه فحسب؛ بل ليطمئن قلبه، وينشرح صدره، ويرتاح خاطره. ربما صرف الله هذه النعمة رحمة به، وما يدريه؟ لعله إذا رزق بولد صار هذا الولد سببا في شقاء والديه وتعاستهما وتنغيص عيشهما! أو تشويه سمعتها.

تزوج أحدهم رُزق بنتا، ثم حملت زوجته ورغب في الولد لكن سبحان الله كانت بنتا، وكلما تحمل زوجته يتمنى الولد لكن رزقه الله بست بنات، فقال لزوجته لو حملت بنت سابعة أنت طالق - لا إله إلا الله - أما علم هذا الجاهل أن الله هو الواهب الذي يهب لمن يشاء إناثا ويهب لمن يشاء الذكور.

روي أن امرأة دخلت على داود عليه السلام فقالت: يا نبي الله! ربك ظالم أم عادل؟ فقال داود: ويحك يا امرأة هو العدل الذي لا يجور. فقال لها: ما قصتك؟ قالت: أنا أرملة، عندي ثلاثة بنات أقوم عليهن من غزل يدي، فلما كان أمس شددت غزلي بخرقة حمراء، وأردت أن أذهب إلى السوق لأبيعه وأطعم أطفالي، فإذا بطائر انقض علي وأخذ الخرقه والغزل وذهب، وبقيت حزينة لا أملك شيئاً أطعم به أطفالي. فبينما كانت المرأة مع داود -عليه السلام- في الكلام إذا بالباب يطرق على داود، فأذن بالدخول، وفوجئ حينها بعشرة من التجار، كل واحد بيده (١٠٠) دينار قالوا: يا نبي الله أعطها لمستحقها. فقال داود عليه السلام: ما خطبكم ما قصة هذا المال؟ قالوا: يا نبي الله! كنا في مركب، فهاجت علينا الريح، وأشرفنا على الغرق، فإذا بطائر يلقي علينا خرقه حمراء وفيها غزل، فسدنا به عيب المركب، فهانت علينا الريح، وانسد العيب، ونذرنا إلى الله أن يتصدق كل واحد منا ب (١٠٠) دينار، وهذا المال بين يديك فتصدق به على من أردت. فالتفت داود عليه السلام إلى المرأة وقال لها: ربي يتاجر لك في البر والبحر وتجعلينه ظالماً؟

!.. وأعطاهما المال، وقال: أنفقيه على أطفالك. **﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا﴾**

شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ

لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ (البقرة: ٢١٦)

أَخْلَجَ الْغَلِيْبَ: أيها تختار اختيار الله وتدبيره لك أم اختيارك وتدبيرك لنفسك؟ فلماذا لا نشق في حكمة الله وتدبيره ونرضي باختياره ونطبق شرعه؟ لماذا ننتظر دائما أن نعلم الحكمة في قضائه وتدبيره قبل أن نُسلم ونفوض الأمر لله؟

ومن هنا جاءت صلاة الاستخارة جاء في صحيح البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول: «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل: اللهم إني أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر - ويسمي حاجته - خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري أو قال عاجله وآجله فاقدره لي ويسره لي ثم

بارك لي فيه، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي
وعاقبة أمري أو قال عاجله وآجله فاصرفه عني واصر فني عنه واقدر
لي الخير حيث كان ثم رضني به».

فأين الناس من هذا الفعل، إذا ما أراد أحدهم سفراً أو تجارة أو
زواجاً أو امتلاك شيء.

قال ابن عمر: إن العبد ليستخير فيختار الله له فيسخط على ربه
عز وجل فلا يلبث ينظر في العاقبة فتكون العاقبة خيراً له.

فيا أيها اللبيب: أحسن الظن بربك وتفاءل والقادم أجمل وقل في
كل ما يحصل لك لعله خير

وروى مسلم في صحيحه عن صُهَيْبٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ -
«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنَّ
أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا
لَهُ».

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في كلامٍ قيمٍ ما ملخصه: فرَّغَ خاطرُكَ اللهُ
مَّ بما أمرت به، ولا تشغله بما ضَمِنَ لك، فما دام الأجل باقياً كان الرزق
أتياً، وإذا سد الله عليك بحكمته طريقاً من طرقه فتح لك برحمته طريقاً
أنفع لك منه وأكمل.

فتأمل حال الجنين يأتيه غذاؤه؛ وهو الدم من طريق واحد وهو
السُّرة، فلما خرج من بطن أمه وانقطعت تلك الطريق، فتح الله له طريقين
اثنين؛ أعني الثديين وأجري له فيهما رزقاً أطيب وألذ من الأول؛ لبناً
خالصاً سائغاً. فإذا تمت مدة الرضاع وانقطع الطريقان بالفطام، فتح
طرقاً أربعاً أكمل منها، هما طعامان وشرابان؛ فالطعامان من حيوان
ونبات؛ والشرابان من مياه وألبان وما يضاف إليهما من المنافع والملاذِّ.

فإذا مات وانقطعت عنه هذه الطرق الأربع، فتح الله له إن كان سعيداً
طرقاً ثمانية؛ هي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء، نسأل الله من
فضله.

فالله لا يمنع عبده المؤمن شيئاً من الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع،
وليس ذلك لغير المؤمن، إن الله يمنعه الحظ الأدنى الخسيس ليعطيه

الأعلى النفيس، والعبد لجهله بمصالح نفسه وكرم ربه ورحمته لا يعرف التفاوت بين ما مُنع منه وما ادخر له، بل هو مولع بحب العاجل وإن كان دينياً، وبقلة الرغبة في الآجل وإن كان علياً، ولو أنصف العبد ربه - وأنى له ذلك - لعلم أن فضله عليه فيما منعه في الدنيا ولذاتها أعظم من فضله عليه فيما آتاه منها.

فما منعه إلا ليعطيه، وما ابتلاه إلا ليعافيه، وما امتحنه إلا ليصافيه، ولا أماته إلا ليحييه، ولا أخرجه إلى هذه الدار إلا ليتأهب للقدوم عليه، ويسلك الطرق الموصلة إليه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنۢ ارَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ (٦٢) (الفرقان : ٦٢)

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



عسى وعسى (٢)

الحمد لله المتفرّد بالعظمة والبقاء والدوام، يكوّر الليل على النهار،
ويكوّر النهار على الليل، ويصرّف الشهور والأعوام، لا إله إلا هو،
الخلق خلقه، الأمر أمره، فتبارك ذو الجلال والإكرام، أحمده سبحانه
وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وهو الغفور التواب وأشهد أن لا
إله إلا الله وحده لا شريك له، قدرّ الأمور بإحكام، وأجراها على
أحسن نظام.

إلهي:

ما في الوجود سواك رب يعبد ... كلا ولا مولى سواك فيقصدُ
يا من له عنت الوجوه بأسرها ... ذلا وكل الكائنات توحدُ
أنت الاله الواحد الفرد الذي ... كل القلوب له تقرّ وتشهدُ
فاللهم اغفر ذنوبنا واستر عيوبنا وفرج همومنا.

وأشهد أن سيّدنا ونبينا محمّداً عبد الله ورسوله، أفضل الرسل
وسيدّ الأنام، ختم الله به الرسل والأنبياء فكان مسك الختام..

يا من تحبون النبي محمدا صلوا عليه وسلموا طول المدى
فصلاتكم وسلامكم نورا لكم في أمسكم ويومكم ولكم غدا
صلى الله وسلم وبارك عليه، وعلى آله الأطهار وأصحابه الكرام،
والتابعين ومن تبعهم بإحسان، وسلم تسليما كثيرا على الدوام.

أما بعد- : فأوصيكم ونفسي- بتقوى الله وطاعته فاتقوا الله
وأحسنوا الظن فيه وفي قضائه وابشروا برحمته وكرمه، قال تعالى:

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وءَامِنُوا بِرِسُولِهِ ءُتُوتِكُمْ كَفْلَيْنِ مِّن رَّحْمَتِهِ وَجَعَلَ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾
[الحديد: ٢٨]

وقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ؕ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾﴾
[الأنفال: ٢٩]

عباد الله: مازلنا وإياكم مع عسى وعسى تلك الحقيقة القرآنية
التي تقرر أن الأمر كله لله، وأن خيرة الله هي أحسن خيرة.

تلك الحقيقة التي عنوانها ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ

﴿٣١٦﴾ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ

[البقرة: ٢١٦]

تلك الحقيقة التي تتلقاها النفوس الفزعة فتسكن وتطمئن،
وتلقاها النفوس الحائرة فتتهدي، وتلقاها النفوس الخائفة فتستقر
وتأمن، وتلقاها النفوس اليائسة القانطة المحبطة فإذا بشعاع الأمل
يسري في كيانها.

حقيقة قرآنيه نحتاجها في زمن كثرت فيه البلاءات والفتن وضيق
المعاش.

إنها بلسم الحياة: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]

يُرْمَى النبي ﷺ في عرضه الشريف الذي من أجله تراق الدماء

ومع ذلك يقول تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]

تبكي عائشة رضي الله عنها المتهمه في عرضها تبكي شهرا كاملا
ولا تكتحل بنوم حتى تقول كاد البكاء فالقُّ كبدي ومع ذلك يقول

تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ١١]

أخلاق الكريمة: قد يُبعد الله عنك الدنيا وأنت حريصٌ عليها وعلى

مالها حُباً فيك؛ لأنها قد تبعدك عنه، وتطغيك، قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ

الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾ أَنْ رَأَاهُ أُسْتَعْفَى ﴿٧﴾﴾ [العلق: ٧]

قال ابن مسعود: رضي الله عنه: إن العبد ليهم بالأمر من التجارة
والإمارة حتى ييسر له، فينظر الله إليه، فيقول للملائكة: اصرفوه
عنه، فإنه إن يسرته له أدخلته النار، فيصرفه الله عنه، فيظل يتطير
بقوله: سبني فلان، وأهانني فلان، وحسدني فلان وما هو إلا فضل

الله عز جل

فاختيار الله لك خير من اختيارك، ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ

لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

أيها اللبيب: ما منعك الله إلا ليعطيك وما ابتلاك إلا ليعافيك، ولا أماتك إلا ليحييك، ولا أخرجك إلى هذه الدار إلا لتأهب للقدوم عليه، وتسلق الطرق الموصلة إليه.

أخلاق اللبيب: قد تفقد ولدك فيموت صغيراً رحمة بك وبه ففي سنن النسائي بسند صحيح من حديث قرة بن إياس، قال: كان نبي الله - صلى الله عليه وسلم - إذا جلس يجلس إليه نفرٌ من أصحابه، وفيهم رجل له ابن صغير يأتيه من خلف ظهره فيقعه بين يديه، فهلك فامتنع الرجل أن يحضر - الحلقة حزينا على ابنه، ففقدته النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال: ما لي لا أرى فلاناً؟ قالوا: يا رسول الله بُنيّه الذي رأيت هلك، فلقيه النبي - صلى الله عليه وسلم - فسأله عن بُنيّه؟ فأخبره أنه هلك فعزّاه عليه ثم قال: «يا فلان أيها كان أحبّ إليك أن تمتع به عمرك

أو لا تأتي غداً إلى باب من أبواب الجنة إلا وجدته قد سبقك إليه يفتح لك، قال: يا نبي الله بل يسبقني إلى باب الجنة فيفتحها لي؛ هو أحبُّ إليّ، قال: (فذاك لك)

روي عن أم سلمة رضي الله عنها أنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما من عبد مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله إنا لله وإنا

إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبي وأخلف لي خيراً منها إلا أخلف الله له خيراً منها قالت: فلما مات أبو سلمة قلت: أي المسلمين خير من أبي سلمة أول بيت هاجر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم إنني قلتها فأخلف الله لي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

أيها المؤمنون:

ما نحن إلا عباد لله نثق ونرضى ونصبر على قضائه وقدره قيلَ لِيَحْيَى بْنِ مُعَاذٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَتَى يَبْلُغُ الْعَبْدُ إِلَى مَقَامِ الرَّضَا؟ فَقَالَ إِذَا أَقَامَ نَفْسَهُ عَلَى أَرْبَعَةِ فُصُولٍ فِي مَعَامَلَتِهِ مَعَ رَبِّهِ، فَيَقُولُ: يَا رَبُّ إِنِّي أَعْطَيْتَنِي قَبْلَتَ، وَإِنِّي مَنَعْتَنِي رَضِيَّتَ، وَإِنِّي تَرَكْتَنِي عَبَدَتَ، وَإِنِّي دَعَوْتَنِي أَجَبْتِ.

عباد الله:

عندما خرج المسلمون يوم بدر كان الهدف عير قريش وتجارها لا القتال، ولكن الله يريد أمراً آخر وهو خير، فجعل القافلة تفلت، ليلتقي الفريقان والجيشان! وكان النصر- الذي دوى في الجزيرة العربية ورفع

راية الإسلام، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: « لعل الله اطلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ما شئتم؛ فقد غفرت لكم.

فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين؟! فلا إله إلا الله القائل: والله يعلم وأنتم لا تعلمون!

حكى عن ملك كان له وزير صالح يرضى دائما بقضاء الله فما كان يحدث أمر خيرا كان أو شرا إلا وحمد الله ورضا بقضائه قائلا لعله خير وذات مرة كان الملك يأكل بعضا من الفاكهة، وجرح إصبعه السكين، فقال الوزير الصالح كلمته المعهودة (لعله خير)، فغضب الملك كثيرا لهذا الأمر، وقال أي خير في مكروه أصابني فقد جرح السكين يدي وسال منها الدم الكثير، وأمر الملك بأن يجرد الوزير من منصبه ويزج به في السجن عقابا له على فعلته، وبعد أيام قليلة خرج الملك في رحلة صيد وأنساه الصيد مرور الوقت فابتعد كثيرا عن بلده، ودخل في أرض تعبد النار فلما رأوه أهل القرية أمسكوا به وقرروا تقديمه كقربان لأهتهم، وكانت هذه عادة متبعة عندهم.

ولما جردوه من ملابسه حتى يقذفونه في النار، رأوا الجرح الغائر في إصبعه فاستبعدوه وأخلوا سبيله، لأن من شروط القربان أن يكون سليماً معافى ليس به شائبة، واعتبروا الجرح في يده عيباً ونقصاً فيه لذا تركوه، فعاد إلى بلده وتذكر كلام الوزير لعله خير وإن الخيرة فيما اختاره الله.

وأمر بأن يؤتى بالوزير ويعاد إلى منصبه ولما رآه قال لقد عرفت الخيرة فيما حدث لي، وأن الله اختار لي ما ينجيني من الموت، أما أنت فما هي الخيرة من دخولك السجن، فقال الوزير لو لم أدخل السجن لكنت جئت معك في رحلة الصيد وكنت سأكون أنا بديلك في النار. فأنا صحيح معافى، وكانوا سيتقربون بي لأهتهم، وأحمد الله أنى كنت في السجن حينها، فقد كان سجنى خيرة اختارها الله لحمايتي من الوقوع في مثل هذا الموقف وهذه القصة توضح مدى رحمة الله تعالى ورفقه بعباده فهو دائماً يختار لهم الخير.

تأمل أخاي الكبيب في قصة أم موسى حينما ألفت ولدها في لجة البحر واثقة بربها فقد وعدّها بعودته إلى أحضانها: ﴿إِنَّا رَأَوُوهٗ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ

مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ [القصص: ٧] فكان هذا بداية حياة أمة وهلاك طاغية،

فهل كان أحد يتخيل ذلك وهي تلقي بولدها في لجة البحر؟ . . لكنها لحظات وجاء الفتح العظيم: ﴿فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيَّ نَفَرًا عَيْنُهَا وَلَا

تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

[القصص: ١٣]

حكمةُ الله وخيرةُ الله كانت تدخرُ لموسى ما هو أعظمُ من قصورِ الفرعون، وما هو أعظمُ من نعيمِ الترف، كانت تدخرُ له منصبَ الرسالة، وشرفَ النبوة، وأن يكلمه ربه بلا تُرجمان، وأن يكونَ من الخمسةِ الأوائلِ في تاريخِ البشريةِ كلها، من أولي العزمِ من الرسل.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

تخيلوا معي ماذا لو علم كل إنسان بالأمور التي ستحدث له في المستقبل؟ كيف ستكون نفسية ذلك الإنسان لو علم فرضاً أنه سيقع له حادث سيارة بعد شهر من الآن؟ أو أنه سيخسر كل أمواله ويصبح فقيراً بعد عشرين سنة؟ ما هو شعور الإنسان عندما يعلم أنه سيموت ابنه بعد عشر سنين؟ ... كيف ستكون حياة تلك المرأة التي تعلم أن زوجها سيتزوج عليها نهاية العام؟ .. لا إله إلا الله .. والله لو علم أحدنا بذلك لما طابت الحياة ولا تلذذ الإنسان بطعام أو شراب ولا تنهأ بنوم أو راحة أو سكينه؟ بل إن الحياة ستتوقف إنتظاراً لهذا القادم خيراً كان أو شراً .. فكان من رحمة الله بنا أن أختص نفسه بعلم الغيب المطلق حتى ينطلق الإنسان في هذه الحياة متوكلاً على الله وباذلاً ما يستطيع من الأسباب وراضياً بما قدره الله وقضاه، قال تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا

يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ [النمل: ٦٥]

عباد الله: إن ما يصيب أمتنا اليوم من اختلاف وتفرق وتسلط العدو واحتلال الأرض وتدنيسا لمقدسات وضعف الأمة وتأخرها كل هذا فيه خير كثير فالأمة تحتاج إلى تمحيص وتمايز في الصفوف فيظهر الإيمان من النفاق والحق من الباطل والخير من الشر.

ثانيا: لتفريق الأمة من غفلتها وتعود إلى دينها واتباع نبيها محمد صلى الله عليه وسلم.

ثالثا: حتى تبذل الأمة من الأسباب المأمور بها شرعاً ما تستطيع. ولن يكون بعد ذلك إلا النصر والتمكين .. فأملوا بالله وثقوا به واصبروا وأحسنوا الظن به وقوا صلتكم به.

قال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ

الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣]



عسى وعسى (٣)

الحمد لله الحكيم الخبير، يعلم سرنا وجهرنا وهو السميع البصير،
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إنه على كل شيء قدير،
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادي البشير، والسراج المنير، الرحمة
المهداة والنعمة المسداة جميل الذات كامل الصفات سيد السادات
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أُولي الفضائل والمكرمات وسلم
تسليماً.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

﴿١٠٢﴾ (آل عمران: ١٠٢)

ما زلنا وإياكم مع تلك الحقيقة القرآنية التي يقررها قوله تعالى: ﴿

وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ

وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: ٢١٦)

أخاي الكريم: ما أجمل أن تجعل هذه الآية نصب عينيك، والله

سترتاح، سيسكن فؤادك، ستطمئن إلى قضاء الله وقدره خيراً أو شراً،

سيكون شعارك الذي يتردد صدها في أذنك هو قول النبي ﷺ: « ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك.

أَخْلَى الْكَرِيمِ:

هل تثق في الله؟ لا شك أن الجواب نعم ومن ذا الذي لا يثق في الله.

طيب اذا كنت تثق في الله، هل تثق في اختيار الله لك القائل

سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ

سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ [القصص: ٦٨]

هل أنت راض عن اختيار الله لك ولو كان ظاهره شر سبحانه

القائل: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ

الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

[الأحزاب: ٣٦]

سبحانه القائل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مِنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ

الْمَلِكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ ۗ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ [آل عمران: ٢٦]

بيدك الخير نعم كل ما يفعله الله خير وإن رأيناه نحن شر، سلب
بعض العافية خير، سلب بعض الغنى خير، سلب بعض الولد خير،
خير، مطلق بيدك الخير.

- سبحانه - لا يريد بعباده إلا الخير والصلاح. سبحانه القائل: ﴿

يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥]

أخاي الكريم:

انتبه تتهم ربك في أفعاله وأقداره وتقول ساخطاً: لماذا يارب؟
أحد الصالحين يقول: ذنب أذنبته بكيت عليه عشر سنين، قالوا: وما
هو؟ قال: قضى الله في حياتي بأمر فقلت: ليته ما قضى لماذا يارب؟.

أخاي اللبيب:

انتبه تسيء، الظن بالله؛ فإنه من أساء، الظن بربه يغضب عليه
ويطرده من رحمته، قال تعالى: (بِاللَّهِ ظَنِّكَ السَّوْءُ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ۗ

وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾

[الفتح: ٦]

الموضوع خطير نعم خطير كنا نتكلم من زمان عن الانتحار في الدول الكافرة أما اليوم فالدول العربية المسلمة بدأت تنافس فالدولة الأولى في نسبة الانتحار عربيا لعام (٢٠١٦) حسب تقرير نشرته منظمة الصحة العالمية مصر- بعدد (٣٧٩٩) يعني كل يوم ينتحر عشرة، ثم السودان ب (٣٢٠٥) حالة انتحار، ثم اليمن ثالثا ب (٢٣٣٥) منتحرا أي كل يوم ست حالات انتحار.

لا إله الا الله مسلم موحد ينتحر يقتل نفسه. أين الإيمان؟! أين الرضا!!

أين التسليم؟! الانتحار أقرب طريق إلى جهنم وبئس القرار.

عباد الله:

تأملوا إلى مشهد المسلمين: وهم يتسللون مستخفين يخرجون من مكة إلى المدينة، قد تركوا وطنهم وهم له محبون، وتركوا أهلهم ومالهم وذوي أرحامهم. مشهد مأساوي، لكن لعله خير.

كانت خيرةُ اللهِ تدخرُ لهم مشهداً عظيماً رائعاً، إنه مشهدُ صنعِ تاريخِ البشرية، وانطلاقِ الرسالةِ في طورِ جديدٍ، ووضعِ حجرِ الأساسِ لقيامِ الدولةِ الإسلامية، هؤلاء الفارين المهاجرين المستخفين من كان يصدق أنه سيتنزلُ عليهم نصرٌ- الله وعونه حتى تصل فتوحاتهم وتضربُ أمواجَ المحيطِ الأطلسيِّ- غرباً وجبالِ الصينِ شرقاً.

في الحديبية يوقِّع نبينا -ﷺ- صلحاً مع المشركين لم يرضى الصحابة عن بنوده، ورأوا فيه ظلماً لهم وإجحافاً، حتى قال قائلهم: "كيف نرضى الدنية في ديننا؟"، لكن؛ مَنْ يعلم وأنتم لا تعلمون سماه فتحاً، فقال

جل شأنه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾ [الفتح: ١]، فظهر من آثاره وعواقبه الحميدة ما اعز الله به أمة الإسلام، وصدق الله القائل:

﴿فَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ۝١٩﴾ [النساء: ١٩]

لولا السجن ما بلغ يوسف -عليه السلام- ما بلغ، وكم من
سجين لولا السجن لتاه في ظلمات الفتن، وغرق في وحل الشهوات
أو الشبهات! فكان السجن له خير وثبات.

وكم من فقير لولا فقره لطغى واستغنى وكذب بالحسنى! وكم من
مريض لولا مرضه لما وصل إلى الدرجات العلى!

سمع أحدهم عن ظالم يعذب مظلوم وما أكثرهم اليوم؛ فرفع يديه
وقال: يارب حلمك على الظالمين أضرب بالمظلومين، فسمع هاتفا
يقول: حلمي على الظالمين رفع المظلومين إلى اعلى عليين.

وكم لله من لطفٍ خفي يدق خفاه عن فهم الذكي
وكم يسر - أتى من بعد عسر - ففرج كربة القلب الشجي
وكم أمر تُساء به صباحاً وتأتيك المسرة بالعشي -
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً فثق بالله الواحد الفرد العلي
ومن حكايات السابقين: أنه كان رجل يعيش مع ابنه بقرية تبعد
عن المدينة بحوالي يومين، فقررا الذهاب للمدينة لقضاء بعض

الحوائج فتجهز للرحيل، ووضعاً أغراضهما فوق ظهر الحمار وانطلقا.

وفي الطريق تعرض الحمار لكسر في حافره، فقال الأب: (لعله خير إن شاء الله، ويدفع الله عنا بلاء عظيماً). وفي أثناء السير في الطريق أيضاً، تعرّض الأب لجرح في قدمه، وأصابته الحمى، فقال الأب: لعله خير. وهما ذاهبان، والولد يحمل أمتعته وأمتعة أبيه، تعرض الولد المسكين للسعة أفعى، فقال الأب: (لعله خير إن شاء الله، ويدفع الله عنا بلاء عظيماً).

وهنا ثار الولد غاضباً، وقال: أهنالك بلاء أكثر من هذا البلاء. فلم يجبه الأب فعالج الوالد ابنه، وجلسا في مكانهما يومين، حتى شفي من الحمى، وبرئ الولد من السم، واستمرا في طريقهما، إلى أن وصلا إلى المدينة فوجداها عبارة عن أرض خراب فتعجبا، وتساءلا، ما الذي حدث؟. فعلمنا أن المدينة أصابها زلزال مدمر قبل يومين، ولم يبق فيها أحد على قيد الحياة فالتفت الأب إلى ولده وقال: (أعلمت الآن أن ما حدث لنا كان خيراً).

لحبد اللّٰه؛ واللّٰه لو علمت حكمة الله ولطف الله الرحيم لذبت
حياء، منه كما تذوب الشمعة.

كن عن همومك معرضاً *** وكل الأمور إلى القضا
فلربما اتسع المضيق *** وربما ضاق الفضاء
ولرب أمر مسخط *** لك في عواقبه رضى
الله يفعل ما يشاء *** فلا تكن متعرضاً

قد تدعو الله بأمرٍ وتلح عليه فيه وتعتقد فيه الخير ولا ترى اجابة
لحكمة الله يعلمها والمنع من الله عين العطاء، رجل أراد الزواج بامرأة
واحبها وتعلق بها ويدعو: يارب تكون من نصيبي، يارب.

وبعد شهرين الفتاة تراجعت، فخطبها شخص آخر، والأول ما زال
يدعو أن تكون له لا لغيره والله يصر-فها عنه فتزوجت الثاني. بعد فترة
بسيطة من الزواج تصاب بسرطان في الثدي لم تنفع العلاجات، زوجها
إما ممرض لها في البيت أو متنقلا بها في المستشفيات، وانتشر- المرض في
سائر الجسد ثم أصيبت بالعمى وماتت رحمها الله رحمة واسعة، والله يعلم
وأنتم لا تعلمون.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفَعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد بحمد الله:

كم من مصيبة كنت تظنها ستكون القاضية، وكم من حزن ظننت أن الدنيا لن تحلو بعده، وكم من عزيز فقدته فتوهمت أنه لم يعد بعده شيء يستحق الحياة، كم وكم؟؟ لكن الحياة عادت كما كانت ولربما بطعم أحلى وأجمل..

يقول أحدهم تزوجت وفي يوم العقد أدخلت عليها حتى أراها فيقول: ارتبكت ليس لي عهد بالدخول بين النساء وما هي من عادتي والمكان مزحوم وأنا مرتبك ووالديها وبعض إخوانها موجودين

فارتبكت وما تحققت من صورتها ورضيت بالزواج وتم العقد، ومرة الأيام وجاء يوم الزواج وعندما جاءت ساعة الدخول بها أول ليلة فيقول عندما كشفت عن وجهها كانت الصاعقة ليس فيها والله من الجمال بنسبة واحد في المئة مما كنت أتخيل أو أوأمّل يقول سبحان الله دارت بي الدنيا وضافت علي بما رحبت وحننت حزنا شديدا تلك الليلة، ويقول سبحان الله اصبر واصبر ثم أفطر على مثل هذا الشكل.

يقول تأملت أما شديدا والله غلبتني دموعي؛ لكن ماذا أفعل ذهبت إلى دورة المياه فبكيك بكاء الشكالي حزنا على نفسي- وفي دورة المياه دارت رحي الحرب بين إيماني وبين الشيطان يقول الشيطان: ما هذه المصيبة التي أصبت بها هذه المرأة ما جاءت إلا لك طلقها.

أما واعظ الإيمان يقول لي: لعله خير لعل الله يخفي لك ما هو أجمل وما ذنبها هي لو كان الأمر بيديها لكانت أجمل النساء هكذا الله خلقها وهو أحسن الخالقين ثم قال الشيطان يوسوس: وما ذنبك أنت تزوج بها لا تُرضي قلب ولا تشرح صدر ولا تسرع عين، ثم جاء،

واعظ الإيمان والرضا في قلبي يقول: لو أن هذه الفتاة في ليلة عرسها أختك ابنتك قريبتك ماذا تريد من زوجها في هذه الليلة أن يفعل بها أكيد أن يجبر بخاطرهما، يقول حدثني نفسي- إنني لست مجاهد في سبيل الله ولم أجاهد ولست منفق ولا باذل ولست من قوام الليل ولا صوام النهار وأعمالي قليلة لما لا اجعل هذه الفتاة هي سبب دخولي الجنة اصبر عليها ولعل الله أن يجازيني خيرا.

يقول: فارتحت لهذا الخاطر وهذا الرضا غسلت وجهي وخرجت اليها وبششت في وجهها وأصبت منها ما يصيب الرجل من زوجته ثم يقول: والله ما مر بي سوى أربعة أشهر إلا وانقلبت هذه الفتاة كما ينقلب الليل نهار تغير لونها تغير شكلها كانت مصابة بأمراض ثم عندما تزوجت وارتاحت نفسيا وظهر ذلك على صحتها ووجهها وعافيتها يقول: والله كانت أقبح فتاة دخلت قريتنا ثم بهذا الرضا والخاطر الايماني واحتساب الأجر أصبحت أجمل من ينظر إليه من النساء في القرية ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه .

عبد الله: ثق في الله وسلم له واعمل بالأسباب بلا الم ولا مرارة ولا
 عتاب ولا لوم ولا تقل لو كان كذا لكان كذا ولكن قل قدر الله وما شاء
 فعل، فوض أمرك لمن يعلم عواقب الأمور العليم الخبير ﴿وَأَفْوِضْ
 أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾ [غافر: ٤٤]

لا الأمر امري ولا التدبير تديري ولا الأمور التي تجري بتقديري
 أنا لي إله خالق رازق ما شاء يفعل بي أحاط بي علمه من قبل
 تصويري قل صدق الله: ﴿وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ
 أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦]

اللهم دبر لنا فانا لا نحسن التدبير، واكتب لنا الخير حيث كان
 هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن
 عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله
 بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللهم صل وسلم على محمد
 وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم...



ثقافة الاعتذار

الحمد لله ذي القوة المتين، عليه توكلنا، وهو رب العرش العظيم،
نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي
ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام، واحفظنا بعزك الذي لا يضام،
واكلأنا بحمايتك في الليل والنهار في الصحاري والآجام.

ونشهد أن سيدنا وقائدنا وحبينا وشفيعنا محمداً عبد الله
ورسوله، القائل: «من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه، وجمع
له شمله، أتته الدنيا وهي راغمة، ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره
بين عينيه، وفرق عليه شمله، ولم يأتيه من الدنيا إلا ما قدر له» (حسنه
الألباني في السلسلة الصحيحة ٢/٦٣٣). صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين
وصحابتهم الغر الميامين، ومن سار على دربهم واستن سنتهم، واقتفى
أثرهم بإحسان إلى يوم الدين.

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾

(آل عمران : ١٠٢) ﴿١٠٢﴾

وقال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ

مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ۚ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ

اللَّهُ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ (النساء : ١)

عباد الله:

أبدأ حديثي معكم في هذا اليوم بقصة رمزية طالعتها دعونا نتأمل

فيها نستنبط منها موضوعاً له أهمية في حياتنا.

إنه شاب يقود دراجته اصطدم بامرأة عجوز فسقطت على

الأرض، بدلاً من أن يساعدها ويعتذر لها انفجر من هذا المنظر

ضاحكاً ومضى على دراجته سائقاً، فصاحت به: انتبه لقد سقط منك

شيء! فرجع الشاب وظل ينظر ويبحث! فقالت له: لا تنظر، لقد

سقطت مروءتك، لقد سقطت أخلاقك ولن تجدها أبداً!.

ربما تكون القصة مبتكرة ليست حقيقية، لكن دلالتها على أمرين مهمين في واقع حياتنا: أولها الاستهتار بالقدر والمقدار، الاستهتار بالناس بحياتهم بحقوقهم وثانيها والاستكبار على الاعتراف بالخطأ والاعتذار. وكم نجد ذلك في كثير من حوادث وتطبيقات حياتنا ومجتمعاتنا!.

كلما كان للمرء منزلة أعلى ورتبة أكبر كلما كان التفاتة إلى غيره قليلاً أو منعديماً، فحاكم يستهتر بشعبه، ومدير يستهزئ بموظفيه، ومعلم يقرع طلابه، وأب يسفه أبناءه.

صور نراها هنا وهناك، وليست صوراً خيالياً، فقد سمعنا من يطلق على جماهير شعبه بأنهم جردان! ومن يصفهم بأنهم مُندسّين! ومن يتهمهم بأنهم متأمرون! وقد رأينا كثيراً مسؤولين كباراً كلما وقع خطأ جسيم بسهولة وبرودة أعصاب وبلادة إحساس يلقون التهمة على صغار الموظفين هنا وهناك!.

وعندما يقع المدرس أو المدير أو الأب في خطأ فإنه بدلاً من أن يعترف بالخطأ أو يتواضع فإنه يشن هجومه مستهتراً مستهزئاً لأنه ينتصر لنفسه.

حديثاً اليوم عن ثقافة الاعتذار التي ضعفت وقلت في مجتمعاتنا.

إنها مسألة الاعتراف بالخطأ والاعتذار عنه فتلك مهمة أكثر صعوبة، لا يبلغها إلا الرجال الحقيقيون، الذين لا يستنكفون عن أن يُقرُّوا بأخطائهم، ويعترفوا بتقصيرهم، لا يرون في ذلك ذلاً، بل يرونه عزاء، ولا يرون فيه قصوراً، بل يرونه كمالاً.

عباد الله: إن حياتنا لا تستقر على حال، فرح وتعاسة، نعيش معها في ضيق وحزن، ومحبة وكره، ورضا وغضب، قد تخرج من أحدنا كلمة أو يصدر فعل تكون هذه الكلمة أو هذا الفعل جارحاً لمن حولنا من الناس إن لم يستقبله صدر رحب يغض الطرف ويكظم الغيظ ويعفو عن مثل هذه الإساءة، وآخر يعتذر فإن الحياة تنقلب إلى جحيم.

إن الإنسان بطبعه خطأ ومخطئ، من يظن أنه لا يخطئ؟! يقول -
 - صلى الله عليه وسلم -- : «كل ابن آدم خطأ، وخير الخطائين التوابون»، إذا فكلنا
 يخطئ في تصرفاته، سواءً أكان ذلك في أقواله أم أفعاله، القليل هم
 أولئك الذين يعتذرون، نحن نكابر ونتعالى ونعتبر الاعتذار هزيمة أو
 ضعفاً، إن من لا يحسن الاعتذار في حرب دائمة، ليس مع نفسه
 فحسب، وإنما مع الآخرين، لذلك تجد أن الأم تنصح ابنتها ألا تعتذر
 من زوجها بحجة أنه سيرفع رأسه وسيشمخ بأنفه، وتجد الأب يحذر
 ابنه من أن يعتذر من زوجته لأنها ستدوس على رقبتة وكرامته، ولأنها
 ستمرغ أنفه، نجد كذلك الأب لا يعتذر من أبنائه.

هكذا أيضاً نجد أن المسؤول في مؤسسته أو في مصنعه لا يتنازل
 بأن يعترف بالتقصير، أو يعتذر عن خطأ بدر منه أو إساءة لأحد
 موظفيه؛ كونه يعتبر أن مركزه لا يسمح له بذلك، المعلم لا يعتذر
 لأحد طلبته الذين أساء إليهم في قاعة الدراسة؛ كونه يرى أن ذلك
 سيكسب الطلبة عدم احترامه، أو سيسقط من نظرهم، الرئيس

كذلك لا يعتذر لشعبه ولا يفيق إلا على ثورة عارمة تقلب به وتطيح به وبنظامه.

إن الاعتذار -أيها الكرام- لا يكلفنا كثيراً سوى كلمتين، لكن هاتين الكلمتين عند من يستصغر نفسه وعند من يحتقر الآخرين يرى أن النطق بهما أثقل عليه من أن يحمل جبلاً عظيماً، إنها كلمة: أعتذر، أنا أعتذر، أو أنا آسف لما بدر مني، سامحني.

لو نطقنا بهاتين الكلمتين بصدق لداوينا بهما قلباً منكسراً، لكانتا بلسماً لكرامة مجروحة، لعادت مياه العلاقات المنقطعة إلى مجراها، كم تمر علينا من المشاكل التي تأخذ وقتاً طويلاً وكل ذلك هروب من كلمة أنا أعتذر، أو أنا آسف.

إن فن الاعتذار دليل على تمييز الشخص ونبله وشجاعته الأدبية، الاعتذار لا يتسم به إلا الكبار ولا يتخلق به إلا العظماء، الاعتذار -أيها الإخوة- من أخلاق الإسلام، وعلامة من علامات الثقة بالنفس.

الاعتذار يزيل الأحقاد والاحتقانات التي حلت بالنفوس، ويدفع عن صاحبه سوء الظن بالآخرين، فهل نعي هذه الحقيقة؟! وهل يمكن لأحدنا أن يعتذر إذا أساء لربه، أن يعتذر لنبيه، أن يعتذر لأبيه وأمه، أن يعتذر لزوجته، أن يعتذر

لأبنائه، أن يعتذر لصديقه، أن يكون شجاعاً فيعترف بكل خطأ بدر منه!! وليس العيب أن يقع الإنسان في الخطأ، ولكن العيب ألا يعتذر أو يستمر على خطئه.

عباد الله: قليل هم أيضاً أولئك الذين يقبلون الاعتذار؛ ذلك لأن بعض الناس يريدون أن يذلوا من أساء إليهم، وهذا ليس من خلق المسلمين، بل الخلق الرفيع أن تكون معتذراً وأن تقبل الاعتذار ممن اعتذر منك، قال - ﷺ -: «من أتاه أخاه متنصلاً فليقبل ذلك منه محملاً أو مبطلاً، فإن لم يفعل ذلك لم يرد على الحوض» (ضعفه الألباني في ضعيف الجامع)، و متنصلاً أي معتذراً.

صدق النبي - ﷺ - حين قال: «ما نقصت صدقة من مال، وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً، وما تواضع أحد لله إلا رفعه الله تعالى» (رواه مسلم في البر والصلة، باب: استحباب العفو والتواضع (٢٥٨٨)). الأنبياء - أيها الكرام - يعتذرون؛ هذا آدم وأما حواء حينما عصيا ربهما وأكلا من الشجرة يقدموا الاعتذار لله - عز وجل - : ﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الأعراف: ٢٣)، هذا موسى - ﷺ - حينما قتل نفساً من بني إسرائيل خطأً اعتذر لربه :

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ إِنَّكَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾

﴿١٦﴾ (القصص : ١٦)

إخوة يوسف يعتذرون لأبيهم قائلين: ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا

ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ﴾ (يوسف : ٩٧)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعني الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

هذه ملكة سباً تعتذر لربها - عز وجل - حينما رأت آياته ورأت

ملك سليمان: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ

الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ (القصص: ١٦)، وهذا نبينا - ﷺ - في قصة سواد

- ذلك الصحابي الجليل - في يوم أحد حينما كان - ﷺ - يصف

الصفوف، وإذا بهذا الرجل متقدماً على الصف، فيؤخره - ﷺ -

ويقول له: «استويا سواد»، فيتأخر ويتقدم، فيراه النبي - ﷺ - مرة

أخرى، فيأتي إليه ويأخذ سواكه - ﷺ - ويطعن هذا الرجل ببطنه

ويقول: «استويا سواد»، فيقول: لقد أوجعتني يا رسول الله، أقدني

من نفسك، فيقوم - ﷺ - ويكشف عن بطنه ويقول: اقتص لنفسك،

فيقبل هذا الصحابي على بطن النبي - ﷺ - تقبيلاً لها وتمريغاً لوجهه

ويقول: والله يا رسول الله ما قصدت إلا أن يكون آخر شيء مني هو

التصاق جسدي بجسدك، أي لعل الموت والشهادة تدركني وأنا في

هذا الموقف، وهذا كله اعتراف من النبي - ﷺ - بأنه آذى هذا

الصحابي الجليل. وفي الأيام الأخيرة من حياته - ﷺ - يقوم معذراً و

يقول: «من كنت جَلَدْتُ له ظهراً فهذا ظهري فليستقد منه، ومن كنت شتمت له عرضاً فهذا عرضي فليستقد منه».

هذا الخلق العظيم، إنه في الحقيقة يحتاج منا إلى ممارسات، وأن نلزم أنفسنا كي نتعود على هذا الخلق العظيم، على الاعتراف بالذنب والخطأ، أن تعتذر للآخرين، أن نراعي مشاعرهم، أن نجبر قلوبهم أيّاً كان هؤلاء الناس.

وأفضل الاعتذار أن يكون مباشرة، وإذا كان الاعتذار مباشرة قاسياً فليس أقل من أن يعتذر الإنسان ضمناً، وذلك بعدة وسائل؛ فيمكن أن يكون ذلك عبر رسالة بالهاتف، أو عبر هدية، فربما تحدث قطيعة بينك وبين أحد أقاربك زمناً طويلاً، وربما زاد هذا البعد في مرض القلب وقسوته وحنقه من هذا الإنسان الذي أساء إليك، لكن إذا سمعت رنين هاتفك من هذا الإنسان فإياك أن توصل الباب أمامه، إنها أولى علامات الاعتذار، فعليك أن تتجاوب معه، على المرأة أن تتجاوب مع زوجها، وعلى الزوج أن يتجاوب مع زوجته، وعلى الوالد أن يتجاوب مع ابنه، وعلى الابن أن يتجاوب مع أبيه،

وعلى الصديق أن يتجاوب مع صديقه ولو بعد حين، وصدق النبي - ﷺ - حينما قال: «لا يحل لامرئٍ مسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» (رواه الإمام أحمد، وأصله في صحيح مسلم عن أبي هريرة).

لذلك أقول - ولعلكم تقولون معي - : يا رب : إننا نعتذر إليك عن إساءة أو عن ذنب اقترفناه، طغت علينا شهواتنا وأنفسنا، يا رب : نعتذر إليك عما بدر منا، ونسألك أن تعفو عنا وأن تغفر لنا زلاتنا. كذلك نعتذر إليك - يا نبينا - عن كل تقصير حدث منا، سواء كان ذلك من خلال العمل بسنتك، أم الدفاع عن شرعك وعن أصحابك أيضاً، نعتذر من آبائنا وأمهاتنا إن بدرت منا أية إساءة في أية مرحلة من مراحل أعمارنا، نعتذر أيضاً من أزواجنا إذا أسأنا في حقهم في يوم من الأيام، ولنعزم من الآن على أن يكون الاعتذار من براجمنا اليومية، نعتذر أولاً بأول، وألا نجعل هوة بيننا وبين من نعيش معهم، نعتذر من كل إنسان أسأنا إليه، سواء كان في الماضي أم الآن، بقصد أو بغير قصد. نسأل الله تعالى أن يعفو عنا، وأن يهدينا لأحسن الأخلاق، وأن يصرف عنا سيئها.

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد
الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في
كتابه الكريم: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا
عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ . اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما
صليت على إبراهيم . . .



وقفات بعد رمضان

الحمد لله الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل لكل أجل كتاباً، ولكل عمل حساباً، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أرسله الله شاهداً ومبشراً ونذيراً * وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فأوصيكم ونفسي- بتقوى الله جل وعلا ففيها النجاة في الدنيا والآخرة، أما في الدنيا فيقول الله تعالى كما في سورة الطلاق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (الطلاق : ٢)، ويقول جل شأنه كما في سورة الأنفال: ﴿إِنْ تَقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال : ٢٩).

والتقوى فيها النجاة في الآخرة يقول تعالى كما في سورة مريم :

﴿ وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ۗ ﴾ ثُمَّ نَجَّى الَّذِينَ

﴿ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثْيًا ۗ ﴾ (مريم : ٧٢)، ويقول جل وعلا كما في

سورة الزم : ﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا

هُمَّ يَحْزَنُونَ ﴾ (الزمر : ٦١)

اللهم اجعلنا من عبادك المتقين الأبرار واحشرنا في زمرة المصطفى

المختار صلى آله عليه وعلى آله الأطهار.

معاشر المؤمنين والمؤمنات: بعد رمضان لا بد لنا من وقفات

وتأملات وعظات:

أولاً: جاء رمضان ومضى وأتى العيد وانقضى ما في الحياة بقاء، ما

في الحياة ثبوت، نبي البيوت وحتماً تنهار تلك البيوت، تموت كل

البرايا سبحانه من لا يموت.

جاء رمضان ومضى فمن كان يعبد رمضان فإن رمضان قد فات،

ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت.

جاء رمضان ومضى - وأتى العيد وانقضى - وهذه سنة الله إقبال وإدبار، بداية ونهاية، حياة وموت، ومن نظر سرعة مرور الأيام وانقضاء الآجال، وكثرة الجنائز علم أن الدنيا متاع الغرور: ﴿يَتَأْتِيهَا

النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ

﴿٥﴾ (فاطر : ٥)

مضى رمضان ومضى وأتى العيد وانقضى - هي رسالة أن كل شيء يتغير ويزول ويحول إلا الله لا يتغير ولا يحول ولا يزول، ﴿كُلُّ شَيْءٍ

هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ (القصص : ٨٨)

أمير المؤمنين الخليفة الزاهد المجاهد هارون الرشيد لما مرض هارون الرشيد ويئس الأطباء من شفائه... وأحس بدنو أجله..

قال : أحضروا لي أكفاناً فأحضروا له.. فقال:

احضروا لي قبراً، فحضروا له... فنظر إلى القبر وقال: ما أغنى عنى

مالية... هلك عنى سلطانية...!

أمير المؤمنين الخليفة المعتصم قال عند موته: «لو علمت أن عمري
قصير هكذا ما فعلت...!»!

يروى أن عبد الملك بن مروان لما أحس بالموت قال: إرفعوني على
شرف ففعلوا ذلك فتسم الروح ثم قال:

يا دنيا ما أطيبك! إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لحقير...
وإن كنا منك لفي غرور.

أما المأمون فلما حضره الموت قال: أنزلوني من على السرير.
فأنزلوه على الأرض، فوضع خده على التراب و قال:
«يا من لا يزول ملكه... ارحم من قد زال ملكه...»!

ثانياً: رمضان ضيف:

رمضان حل علينا ضيفاً عزيزاً، ولكل ضيف يوم لا بد أن يغادر فيه،
وأنا وأنت يا عبدالله على هذه الدنيا ضيوف لا بد أن تغادرها، مهما عاش
الإنسان لا بد من يوم يُقال فيه مات فلان وهو أنت.

والله لو عاش الفتى في عمره ألفاً من الأعوام مالك أمره
متنعماً فيها بكل لذيذة متلذذاً فيها بسكن قصره

لا يعتريه الهم طول حياته كلا ولا ترد الهموم بصدرة
 ما كان ذلك كله أن يفني فيها بأول ليلة في قبره
 فلنستعد لهذا اليوم بالطاعة والصلاح والتقوى والإيمان.

ثالثاً: أخي الحبيب: ماذا تقول في امرأة جلست طوال فترة من
 الزمن تصنع ثياباً بمغزلها حتى إذا ما اقترب الغزل من التمام
 والاكتمال نقضت ما صنعت وكأنها ما تعبت وما غزلت وما سهرت،
 هذا المثل يشبه حال بعضنا طوال شهر رمضان مصلياً صائماً داعياً
 متصدقاً خاشعاً احسن غزل عبادته فإذا ما انتهى رمضان نقض كل
 ما فعل بعد يوم من انتهاء رمضان إلا من رحم الله. فالثبات الثبات
 على طاعة الله قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ
 بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا﴾ (النحل : ٩٢)

رابعاً: احذر الشيطان بعد رمضان:

إن الشياطين يُطلق سراحها بعد رمضان وتفك قيودها، ولكن كيد الشيطان ضعيف كما أخبرنا ربنا سبحانه، ومن اعتصم بالله عصمه الله من مكائد الشيطان.

الشيطان عدو يغفل عنه الكثير ولا يعمل له حساب إلا من رحم ربي رغم علمنا بعداوته لنا وتحذير الله لنا بقوله:

﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ ﴿٦﴾ (فاطر : ٦)

الشيطان عنده رسالة وهي أن يدخلك النار وعنده أهداف واضحة لتلك الرسالة وهي أن يجعلك تقع في المعاصي والذنوب التي تكون سبباً في دخولك النار وكي تهدم كل ما فعلته في رمضان من طاعات.

رجل من الصالحين فاقد البصر- كان من عادته أن يخرج إلى المسجد بدون قائد يقوده لقرب المسجد وفي يوم من الأيام خرج إلى صلاة الفجر وهو لا يدري أن أحد الجيران قد حفر حفرة بجوار بيته، خرج من بيته متوضئاً إلى بيت من بيوت الله ليؤدي صلاة الفجر التي من صلاتها جماعة

فهو في ذمة الله، واقترب من الحفرة، وإذا برجل ينقذه فقال: من أنت بارك الله فيك؟ قال: أنا إبليس. قال: عليك اللعنة، لما أنقذتني؟ قال عليه اللعنة: لو سقطت في الحفرة وأنت ذاهب إلى المسجد ستموت شهيداً وتكون من أهل الجنة، ولا أريد أن تكون كذلك.

خامساً: لا تهجر القرآن بعد رمضان:

لا تكن ممن يقرأ القرآن في رمضان فقط وتهجره سائر العام فالقرآن أنزل لتلوه في رمضان وغير رمضان.

أنت استطعت أن تقرأ كل يوم جزء أو جزئين أو ثلاث واجتهدت في ذلك وخصصت وقت لذلك من يومك فحاول أن تجعل لنفسك ورد يومي ثابت من القرآن ولا تكن ممن قال تعالى عنهم ﷺ على لسان النبي المصطفى ﷺ:

﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا﴾

﴿٣٠﴾ (الفرقان: ٣٠)

وإن لم تستطع القراءة فاسمع وعطّر فمك وسمعك بكلام الباري:

﴿ وَنَزَّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴾

(الإسراء : ٨٢)

سادساً: أكثر من ذكر الله:

اجتهد بعد رمضان على أن تكون من الذاكرين لله والذاكرات يحميك من شر كل ذي شر، وتنال الأجر العظيم، حافظ على أذكار الصباح والمساء أذكار النوم، أذكار الخروج من المنزل، استغل وقت فراغك في العمل أو ذهابك إليه بذكر الله، المتأمل هذه الأيام كثرة الأمراض بالمس والسحر والأمراض النفسية؛ ومن أهم أسباب ذلك الغفلة عن ذكر الله.

سابعاً: الصحبة الصالحة:

اختر من يعينك على طاعة الله بعد رمضان، فالمرء على دين خليله

و ﴿ الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ ﴾ (الزُّخْرُفُ:

٦٧)، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، فاختر صاحباً إذا

رأى منك معصية حذرك، ودلك على طريق الخير حتى لا يأتي يوم
يقول الواحد منا: ﴿يَوْمَلْتَنِي لَيْتَنِي لَمْ أُتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ (٢٨ : الفرقان)

ثامناً: يا ترى كم نسبة العتق من النار فينا:

يا ترى كم نسبة الفوز بليلة القدر فينا في رمضان المنصرم.

يا ترى كم نسبة العفو من الله فينا.

كم وأحد فينا فاز بليلة القدر، بيننا أناس أضيف إلى أعمارهم قرن
من الزمان من العبادة بقيام ليلة القدر، وفينا أناس أعتقت رقابهم من
النار يا الله اجعلنا منهم؛ وهذه أعظم جائزة في رمضان.

وبيننا أناس لم يفز من ذلك بشيء، فيا ليت شعري من المقبول من

المتعوق فنهنيه ومن المردود والمحروم والمطرود فنعزيه، ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ

شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ (١٠٦) خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ

وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ (١٠٧) ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا

فِي الْجَنَّةِ خَلِيدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ

مَجْدُودٍ﴾ (١٠٨) ﴿هُود : ١٠٨﴾ فكيف أعرف أنني مقبول أم مردود؟

من علامة قبول الطاعة الطاعة بعدها، فاحرص على الخير والطاعة والخير والقرآن والإيمان والصدقة والصيام بعد رمضان لتكن من المقبولين إن شاء الله.

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد بحمد الله:

*حاول بعد رمضان أن تحدث تغييراً في حياتك بعد رمضان إلى الأحسن وان تنصبر على نفسك وشيطانك.

* لا تغتر بعبادتك ولا تقل لقد صمت رمضان كاملاً بل أحمد الله أن وفقك وبلغك شهر رمضان شهر الخير والإحسان وأحمده أن وفقك أيضاً لصيامه وقيامه فكم من محروم وممنوع واستغفر الله فتلك عادة رسول الله - ﷺ - بعد كل طاعة... الاستغفار.

تاسعاً: لئن انتهى موسم رمضان وانقضى - موسم الدعاء والقيام فبين أيدينا مواسم متعددة وفرص متوالية.

بين أيدينا موسم يتكرر في اليوم واللييلة خمس مرات الصلوات الخمس، فهل حافظنا عليها، يقول جل ذكره: ﴿حَفِظُوا عَلَيَّ

الصَّلَاةَ وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَىٰ وَقَوْمُوا لِلَّهِ قَنِينًا﴾ (البقرة: ٢٣٨)

ولا حظ في الإسلام لمن ترك الصلاة.

ولئن انتهى قيام رمضان فإن القيام بحمد الله لا ينتهي فهناك الوتر والتهجد وقيام الليل قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَلِيلٍ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ

عَسَىٰ أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ (الإسراء: ٧٩) بين أيدينا لحظات

الأسحار حين يقوم الإنسان الليل... بين أيدينا ساعة الإجابة في ثلث

الليل الأخير، بين أيدينا موسم أسبوعي وهو صلاة الجمعة وفيه ساعة لا يوافقها عبدٌ مسلمٌ يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه. .
ولئن انتهى صيام رمضان فإن الصيام بحمد الله لا ينتهي فبين أيدينا صيام البيض والاثنين والخميس قال - ﷺ -: «إن الأعمال تعرض فيها على الله، وأحبُّ أن يُعرض عملي وأنا صائم» (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في الإرواء).

فرصٌ ومواسمٌ. لكن أين المغتصمون، أين المستثمرون.

عباد الله:

وإن من متابعه الإحسان بعد رمضان صيام الست من شوال ندبنا إليها رسولنا - ﷺ - كما في صحيح مسلم عن أبي أيوب الأنصاري - ﷺ - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «من صام رمضان وأتبعه ستاً من شوال كان كصيام الدهر كله»، ووقتها في شوال، وهي مستحبةٌ وغير واجبة، ويصح صومها متفرقةً في أول الشهر ووسطه وآخره، والأولى المبادرة بالقضاء قبل صيام الست.

اللهم ثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ربنا لا تزغ قلوبنا
 بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهابُ اللهم يا مقلبَ
 القلوب ثبت قلوبنا على دينك، اللهم يا مصرفَ القلوب والأبصارِ
 صرف قلوبنا على طاعتك، اللهم اجعلنا ممن طال عمره وحسن عمله.
 اللهم إنا نسألك الثبات والاستقامة في رمضان وبعده رمضان، اللهم أعد
 علينا شهرَ رمضان أعواماً عديدةً وأزمنةً مديدةً يا رب العالمين.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل
 إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت
 على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد..



الحوار وأدابه

الحمد لله الذي أنشأ وبرأ، وخلق الماء والثري، وأبدع كل شيء
وذرا، لا يغيب عن بصره صغير النمل في الليل إذا سرى، ولا يعزب
عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ
وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى * وَإِنْ تَجَهَّرَ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ
يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى * اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾، خلق آدم
فابتلاه ثم اجتباه فتاب عليه وهدى، وبعث نوحاً فصنع الفلك بأمر
الله وجري، ونجى الخليل من النار فصار حرّاً برداً وسلاماً عليه،
فاعتبروا بما جري، أحمدته على نعمه التي لا تزال تترى، وأُصلي وأسلم
على نبيه محمد المبعوث في أم القرى صلى الله عليه وعلى صاحبه في
الغار أبي بكر بلا مرا، وعلى عمر الملهَم في رأيه فهو بنور الله يرى،
وعلى عثمان زوج ابنته ما كان حديثاً يُفْتَرَى، وعلى ابن عمه علي بحر
العلوم وأسد الثري، وعلى بقية آله وأصحابه الذين انتشر فضلهم في
الورى، وسلّم تسليماً.

أما بعد أيها الناس:

اتقوا الله تعالى وتبصروا في هذه الأيام والليالي فإنها مراحل تقطعونها إلى الدار الآخرة حتى تنتهوا إلى آخر سفركم وكل يوم يمر بكم فإنه يبعدكم من الدنيا ويُقربكم من الآخرة فطوبى لعبدٍ اغتتم فرصها بما يقرب إلى مولاه طوبى لعبدٍ شغلها بالطاعات وتجنب العصيان.

أيها المرسلون:

إن الناس مذ خلقهم الله وهو متفاوتون مختلفون في الآراء والأهداف والأفكار وهذه سنة الله قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ۗ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ (هود: ١١٨)

وهذا الاختلاف والتباين لا ينتهي إلا بالحوار الهادف غير المتعصب، بالحوار الهادف تزداد الأسرة تماسكاً، بالحوار الهادف يتفاهم الأصدقاء مع بعضهم البعض، بالحوار الهادف نحقق معاني الخير والبناء بعيداً عن الفوضى والاستبداد والأنانية.

أيها المرسلون:

لقد حفلت آيات القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالنصوص الكثيرة التي تُرشِدُنَا إلى أهمية الحوار في حياة الناس، تأمل الحوار الذي دار بين الله والملائكة في قصة خلق الإنسان، وسؤال الملائكة لرب العالمين، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي

الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ (البقرة:

٣٠) عند ذلك أستجابت الملائكة لأمر الله تعالى ولم يكن ذلك الحوار مع الملائكة فحسب، بل حتى مع شر خلق الله إبليس، قال الله تعالى:

﴿ فَسَجَدَ الْمَلٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّٰجِدِينَ ﴿٣١﴾ (الحجر: ٣١)

ولقد حاور الله ﷻ إبليس مع عصيانه وتمردِه، فسأله الله تعالى عن

سبب عصيانه بأدب الرحمة الإلهية فقال سبحانه: ﴿ قَالَ يٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لِأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَٰلِصِلٍ

مِّنْ حَمَآءٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٣﴾ (الحجر: ٣٣)

دَرْسٌ عَظِيمٌ، وَتَرْبِيَةٌ رَبَّانِيَّةٌ، نُدْرِكُ مِنْ خِلَالِهَا أَهْمِيَّةَ الْحَوَارِ فِي حَيَاتِنَا، وَنَتَعَلَّمُ مِنْ هَذِهِ الدَّرُوسِ الرَّبَّانِيَّةِ، حُسْنَ الْإِصْغَاءِ لِلْآخِرِينَ وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُحَقِّقِينَ.

أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ: اقْرَأُوا الْقُرْآنَ وَتَأْمَلُوهُ، لَقَدْ تَحَاوَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْخَالِقُ مَعَ كَثِيرٍ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَتَحَاوَرَ سَيِّدُنَا نُوحٌ وَهُودٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَشُعَيْبٌ وَمُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَقْوَامِهِمْ، وَقَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمُ مَحَاوَرَاتِهِمْ، وَتَحَاوَرَ الْبَشَرُ فِيهَا بَيْنَهُمْ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حِوَارٌ جَرِي بَيْنَ رَجُلَيْنِ أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى أَحَدِهِمَا بِجَنَّتَيْنِ، فَاعْتَرَبَ بِمَا عِنْدَهُ، وَأَنْكَرَ الْإِيمَانَ وَالِدَارَ الْآخِرَةَ، فَكَانَ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ يُحَاوِرُهُ بِأَدَبٍ، وَيَنْصَحُهُ بِلُطْفٍ، قَالَ ﷺ: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ: أَكَفَرْتَ بِالَّذِي

خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ۗ﴾ (الكهف: ٣٧)

وَيَسْتَمِرُّ الْحَوَارِ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَحِيطَ بِشَمْرِهِ ۗ فَاصْبَحَ يَقْلِبُ كَفَيْهِ

عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ۗ﴾ (الكهف: ٤٢)

لقد ندم الرجل على ما اقتترف، وقال: يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا،
حينَ لَنْ تَنْفَعَ لَيْتَ، وَلَنْ تَنْفَعَ لَيْتَ، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ مَنْ يَتَعَامَى
عَنِ الْحَوَارِ وَالنَّصِيحِ الصَّادِقِ.

نقول لمن يرفضون الحوار ما البديل للحوار عندكم ليس هناك
بديل للحوار سوى السلاح والفرقة والفتنة.

محباب الله؛ إن الحوار يكون - أحياناً - أقوى من الأسلحة العسكرية
كلها؛ لأنه يعتمد على القناعات الداخلية الذاتية؛ بل ربما أفجح الحوار
فيما لا تفجح فيه الحروب الطاحنة.

وفيما يلي حادثة تاريخية قديمة تدل على ذلك. تتعلق بطائفة من
الخوارج، ومن المعروف في تاريخ الإسلام أن الخوارج من أكثر الناس
ضراوة وقوة، وشجاعة وبسالة في الحروب، مما جعل الناس يرهبونهم.
حتى نساء الخوارج، كن يبدن من ضروب البسالة والشجاعة في
الحروب ما تدهش له العقول له:

فلننظر كيف فعل بهم الحوار؟!

ذكر الباقلاني، والسكوني، والشاطبي، وغيرهم، أن علي بن أبي طالب - رحمته الله - بعث ابن عباس - رضي الله عنه - إلى الخوارج المسمين بالحرورية، فذهب إليهم ابن عباس - رحمته الله - ، وعليه حلة جميلة، فلما أقبل، قالوا له : يا ابن عباس، ما الذي جاء بك؟ وما هذه الثياب التي عليك؟

- فقال : أما الثياب التي عليّ، فما تنقمون مني؟ فوالله، لقد رأيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، وعليه حلة ليس أحد أحسن منه، ثم تلا عليهم قوله تعالى : ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ، وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ (الأعراف : ٣٢)

- قالوا : ما الذي جاء بك يا ابن عباس؟
- قال : جئتم من عند أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وليس فيكم أنتم يا معشر الخوارج وأحد من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - ، وجئتم من عند ابن عم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يعني : علي بن أبي طالب - ، وعليهم نزل

القرآن، وهم أعلم بتأويله، جئت لأبلغكم عنهم، وأبلغهم عنكم،
فأنا رسول - أي وسيط - بينكم وبينهم.

- قال بعضهم: لا تحاوروا ابن عباس، لا تخاصموه، فإن الله تعالى

يقول عن قريش: ﴿ وَقَالُوا أَأَلْهَتْنَا خَيْرًا أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلًا ۗ

بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ (الزخرف: ٥٨)

، فلما خافوا من الهزيمة قالوا: اتركوا هذا، هذا جدل إنسان

خَصِم! وقال بعضهم: بل نكلمه، ولننظر ماذا يقول؟

- قال ابن عباس - رحمته الله -: فكلمني منهم اثنان أو ثلاثة، فقال

لهم: ماذا تنقمون على علي بن أبي طالب - رحمته الله -؟

- قالوا: ننقم عليه ثلاثة أمور.

- قال: هاتوا.

- قالوا: الأول: أن علي بن أبي طالب حَكَمَ الرجال في كتاب الله،

يعني: بعث حكمًا منه، وحكمًا من معاوية - رحمته الله -، وقصة التحكيم

معروفة ذكرها صاحب البداية والنهاية، وصاحب شذرات الذهب (

انظر : البداية والنهاية (٧/ ٢٧٦-٢٨٥)، وشذرات الذهب (١/ ٤٦، ٤٧) والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ (الأنعام : ٥٧).

- قال : هذه واحدة فما الثانية؟ قالوا : الثانية : أن علي بن أبي طالب عليه السلام - قاتل ولم يَسبِ، - أي قاتلهم وما سبى نساءهم -، فلئن كانوا مسلمين فقتاله حرام، ولئن كانوا كفارًا فلماذا لم يسبهم؟

- قال : وهذه أخرى، فما الثالثة؟

- قالوا : الثالثة : أنه نزع نفسه من إمرة المؤمنين لما كتب الكتاب، فلم يكتب أمير المؤمنين؛ بل قال : علي بن أبي طالب. - قال : أوقد فرغتم؟ - قالوا : نعم.

- قال : أما الأولى : فقولكم : حَكَمَ الرجال في كتاب الله تعالى، فإن الله تعالى يقول في محكم التنزيل : ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعْوِيحِكُمْ بِهِ ذَوْا عَدَلٍ﴾ (المائدة : ٩٥)، فذكر الله تعالى حكم ذَوِي عَدَلٍ فيما قتله الإنسان من الصيد، سألتكم الله تعالى ! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم

أعظم، أم التحكيم فيما قتله الإنسان من الصيد؟

- قالوا: لا؛ بل التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أعظم.

- قال: فإن الله تعالى يقول في كتابه: ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا

فَأَبِعَا حُكْمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحُكْمًا مِّنْ أَهْلِهِمَا﴾ (النساء: ٣٥) ناشدتكم الله

تعالى! التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم أهم، أو التحكيم في بضع

امرأة؟

- قالوا: لا، التحكيم في دماء المسلمين وأموالهم. - قال: انتهت

الأولى؟ - قالوا: نعم، فالثانية؟

- قال: أما الثانية، فقولكم: قاتل ولم يسب، هل تسبون أمكم

عائشة رضي الله عنها - لأنها كانت في الطرف الآخر-، وتستحلون منها ما

يستحل الرجال من النساء، إن قلت ذلك كفرتم، وإن قلت لست

بأمنا كفرتم -أيضاً-؛ لأنها أم المؤمنين، فاستحيوا من ذلك

وخرجوا.

- قالوا: فالثالثة؟

- قال: أما قولكم : خلع نفسه من إمارة المؤمنين، وإذا لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين، فإن النبي - ﷺ - لما عقد كتاب الصلح مع أبي سفيان وسهيل بن عمرو في صلح الحديبية، قال : " اكتب : هذا ما صالح عليه محمد رسول الله " قالوا : لو نعلم أنك رسول الله ما قاتلناك، اكتب اسمك واسم أبيك، فمحا النبي - ﷺ - الكتابة، وقال : " اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله

فرجع منهم عن مذهب الخوارج ألفان، وبقيت بقيتهم، فقَاتلهم علي بن أبي طالب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ - (أخرج القصة عبد الرزاق في مصنفه (١٨٦٧٨)، وأحمد في المسند (٣١٨٧)).

فانظر كيف أثر الحوار الهادئ القوي العميق في مثل هذه الرؤوس اليايسة الناشفة، حتى رجع منهم ألفان إلى مذهب أهل السنة والجماعة في مجلس واحد لم يستغرق ربع ساعة.

أيها المرسلون:

ليكن هدفنا من الحوار، هو توضيح الحق، وتبيين الصواب، وهداية التائه، بعيدا عن حظوظ النفس والثوران لها.

عباد الله:

إنَّ الحوارَ هَامٌّ في حياتِنَا، الحوارَ أَخْذٌ وَعِطَاءٌ، وَقَوْلٌ وَإِصْغَاءٌ،
وَتَفَاهِيمٌ وَتَرَاحِمٌ، فَعَلِينَا أَنْ نَتَعَلَّمَ ذَلِكَ، وَنُعَلِّمَهُ أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا،
وَنَهَارِسَهُ بِآدَابِهِ وَأَخْلَاقِهِ فِي الْعِلَاقَاتِ بَيْنَنَا جَمِيعاً، فَلْيَكُنِ الْحوَارُ
الْمَهَادِفُ بَيْنَ الْأَزْوَاجِ وَالزَّوْجَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي

تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ

﴿المجادلة : ١﴾

وَبَيْنَ الْأَبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ فَقَدْ حَاوَرَ إِبْرَاهِيمُ أَبَاهُ وَلَقِمَانُ ابْنَهُ، وَبَيْنَ
الْمُعَلِّمِينَ وَالطُّلَّابِ فَقَدْ تَحَاوَرَ الْخَضِرُ - مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيْنَ
الْمَسْئُولِينَ وَالْمَوْاطِنِينَ فَقَدْ تَحَاوَرَ صَفْوَةُ الْخَلْقِ - عَلَيْهِ السَّلَامُ - مَعَ أَصْحَابِهِ.

إنَّ الَّذِي عَلَّمْنَا أَصُولَ وَأَدَبَ الْحوَارِ هُوَ نَبِينَا الْمُخْتَارُ، فَهَذِهِ أَصُولُنَا
نَحْنُ وَهَذِهِ مَبَادِئُنَا نَحْنُ.

أَصُولُ الْحوَارِ فِي الْإِسْلَامِ لَيْسَتْ شَرْقِيَّةً وَلَا غَرْبِيَّةً إِنَّمَا هِيَ أَصُولُ
مُحَمَّدِيَّةٌ نَبَوِيَّةٌ تَنْبَنِي عَلَى الْعَدْلِ وَالْأَدَبِ وَالْحِكْمَةِ، وَصَحَّةُ الْقَصْدِ

وحسن النية، واحترام الآخر وعدم إساءة الظن بالآخر، وعدم اتهام الآخر.

أصول بينها لنا ديننا العظيم ونبينا الكريم - ﷺ -:

إن أول أدب من الآداب الذي ينبغي أن يتحلى بها المتحاورون أن يتحلى الجميع بحسن النية وصحة القصد وطهارة السريرة والطوية.

ما الهدف من هذه الحوارات؟

هل إثارة الفتنة؟ إثارة البلبلة؟ وضياع الوقت والجهد والمال ان الهدف من الحوار عند الصادقين أن يقدموا مصلحة الدين ثم مصلحة الوطن وأن نقدم الأُوْلَى فالأُوْلَى. لا بد من فقه للأولويات.

ثم من أعظم آداب الحوار الإقناع، أقنعني وأنا أقنعك، ليس بالصوت العالي وليس بالصوت المرتفع، ولا بالضجيج، ولا بالصراخ ولا بالعويل ولا بالسباب ولا بالشتائم، ولا باتهام النيات، والنيل من الكلمات، وإنما بالحجة، بالبرهان، بالكلمة المقنعة.

انظروا إلى حوار إبراهيم مع أبيه آزر، قال تعالى :

﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (٤١) (مريم: ٤١)،

اسمعوا إلى الإقناع والحجة :

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (٤٢)

يَأْتِبْتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا﴾ (٤٣)

يَأْتِبْتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا﴾ (٤٤) (مريم: ٤٢-٤٤)

انظروا إلى الحجة، انظروا إلى الإقناع والدليل والبرهان، فرد

الصوت المرتفع رد الاستعلاء: ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنْ ءَالِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ﴾

لَيْنَ لَمْ تَنْتَهَ لِأَرْجَمَنَّكَ وَأَهْجَرَنِي مَلِيًّا﴾ (٤٦) (مريم: ٤٦)

هذا هو منطق البطش، والظلم، والإرهاب الفكري، والطغيان

والاستبداد. فماذا كان الرد؟

﴿قَالَ سَلِمْتُ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾ (٤٧) (مريم: ٤٧)

(٤٧)

وانظروا إلى الثمرة الأخرى، ثمرة بر إبراهيم بوالده؛ أن رزقه الله

ابن باراً به حين قال إبراهيم بعد ذلك بعد ما تجاوز الثمانين من عمره

حين خاطب ولده إسماعيل: **قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ إِنِّي أَذْبَحُكَ**

فَأَنْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ﴿الصفات: ١٠٢﴾ انظروا إلى الإقناع: ﴿فَأَنْظُرْ مَاذَا

تَرَىٰ ﴿الصفات: ١٠٢﴾ لم يفرض عليه ولم يتهدده ولم يتوعده .

﴿قَالَ يَا بَنِيَّ أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿الصفات: ١٠٢﴾

أيها المسلمون:

اعلموا أنه ما من أمةٍ حكمت بشرع الله وأخذت بمبدأ الحوار الهادف، إلا وكانت من أعظم الأمم، إستمعوا إلى هذا الموقف العظيم من النبي ﷺ - وهو يحاور ذلك الشاب كما جاء في حديث أبي أمامة - **حَدَّثَنَا عَنْهُ - أَنَّ فَتَى شَابَاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ - فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِذْ نَلِي فِي الزَّانَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ فزَجَرُوهُ، وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - : «إِذْنُهُ» - أَي اقْتَرَبَ مِنِّي -، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيباً، - وَتَأَمَّلْ هُنَا كَيْفَ أَدْنَاهُ النَّبِيُّ ﷺ -، لِيَكُونَ الْحَوَارُ وَالْحَدِيثُ بَيْنَهُمَا فَقَطْ، فَيَكُونُ أَبْلَغُ فِي تَحْقِيقِ النَّتَاجِ - قَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ - : أَتُحِبُّهُ لِأَمِّكَ؟ قَالَ: لَا وَاللَّهِ، جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يَجِبُونَهُ لِأَمْهَاتِهِمْ».**

قال: «أفتحبه لابنتك؟» قال: "لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك" قال: «ولا الناس يحبونه لبناتهم». قال: أفتحبه لأختك؟ قال: "لا والله، جعلني الله فداءك" قال: «ولا الناس يحبونه لأخواتهم».

قال: أفتحبه لعمتك؟ قال: "لا والله، جعلني الله فداءك" قال: «ولا الناس يحبونه لعماتهم». قال: أفتحبه لخالتك؟ قال: "لا والله، جعلني الله فداءك" قال: «ولا الناس يحبونه لخالاتهم».

قال - راوي الحديث - فوضع يده عليه، وقال: «اللهم اغفر ذنبه وطهر قلبه، وحسن فرجه» فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء.

عباد الله:

ما أحوجنا إلى الحوار في حياتنا بدل لغة التهديد والوعيد، ما أحوجنا إلى الكلمة الطيبة والنبرة الهادئة.

ومن الناس من يفهم الحوار على أنه إملاء الرأي وفرضه بالقوة، ولا يريد أن يسمع إلا صوت نفسه، وقد ذكر القرآن مثالا لنوعية الحوار المثمر في مقابل فرض الرأي:

فرعون ما تحاور مع أحد من قومه بل قال لهم: ﴿مَا أَرَى وَمَا

أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ (غافر : ٢٩)، فكانت النتيجة أن هلك هو

وجنوده، أما بلقيس فإنها تشاورت مع قومها وقالت:

﴿قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ

﴿٣٢﴾ (النمل : ٣٢)، فنجهاها الله وقومها من الهلاك وأسلمت بعد مع

سليمان لله رب العالمين.

من أسباب نجاح أي حوار: الابتعاد عن الجدال بالباطل لأنه

يستخدم لقلب الحقيقة من غير دليل ولا حجة ولا برهان، قال تعالى:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾

(الحج: ٨)

فالحوار الهادف ينجح بالحكمة وسبل الإقناع.

والحوار بالتي هي أحسن يستلزم احترام الآخر، والصبر عليه

وعدم مقاطعته أثناء حديثه أو تسفيهه رأيه، كما يستلزم حسن الظن به

والحرص على عدم تحويل الحوار إلى جدل وخصام،

روى البخاري ومسلم عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «إن أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم».

إن الحوار الإيجابي هو السبيل الآمن لعبور المشكلات الكثيرة التي تواجه المجتمعات والأمم في ميادين كثيرة.

أيها المسلمون: الاستماع الواعي في الحوار ثم قبول النافع المفيد من أحسن القول، عملاً بقول الحق سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ۝ الَّذِينَ

يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ

أُولُوا الْأَلْبَابِ ۗ﴾ (الزُّمَر: ١٨)

بارك الله لي ولكم في القرآن العظيم، ونفعي الله وإياكم بما فيه من الآيات والذكر الحكيم، أقول ما تسمعون، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كل ذنب فاستغفروه، إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله على إحسانه والشكر له على توفيقه وامتنانه واشهد أن لا إله إلا الله تعظيماً لشانه، واشهد أن محمداً عبده ورسوله الداعي إلى رضوانه وعلى آله وأصحابه وجميع إخوانه.

وبعد عباد الله:

هناك عوامل تحول دون تواصل الناس ومد جسور الحوار بينهم

فهي:

أولاً: التعصب للآراء والمذاهب والأفكار والأشخاص:
 والتعصب ظاهرة قديمة، موجودة في مختلف المجتمعات البشرية،
 وفي مختلف مستوياتها، وهي ظاهرة تمثل انحرافاً مرضياً، حينما لا
 تكون ذات مضمون أخلاقي، كالانتصار للحق أو لدعائه.
 والتعصب ينشأ عن اعتقاد باطل بأن المرء يحتكر الحق لنفسه.
 والمتعصب لا يفكر فيما يتعصب له، بل يقبله كما هو فحسب، لذا فلا
 يمكن لمتعصب أن يتواصل إلا مع من يردد نفس مقولاته.

ثانياً: المرء المذموم واللجاجة في الجدل، ومحاولة الانتصار للنفس ولو على ذبح الحقيقة: والجدل خلق مذموم، ينبغي للإنسان أن يتنزه عنه، وإذا اضطر إليه فيجب أن يكون بالتي هي أحسن ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥).

ومعنى ذلك أن يتجنب الإنسان الجدل العقيم والفاحش والبذيء، وإذا أراد أن يجادل فلا بد أن يجادل بالحسنى، وإذا وجد أن النقاش يقود إلى طريق مسدود، فينبغي أن يتوقف عنه لأنه يصير عند ذلك عبثاً لا خير فيه، فكما قال - ﷺ -: «أنا زعيم بيت في ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محققاً» (رواه أبو داود بسند حسن)، «فما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل» (رواه الترمذي وصححه). وترك الجدل يتبعه أمران:

أولهما: أن نعترف بأخطائنا إن كنا مخطئين، والاعتراف بالخطأ فضيلة.

ثانيهما: أن نحترم آراء الآخرين.

ثالثاً: التسرع في إصدار الأحكام: إذ إن التسرع في إصدار الأحكام دون روية، مع عدم وضوح الرؤية، يوقع في أغاليط وأخطاء.

ولقد انتقد القرآن بشدة لاذعة الذين يقفزون عند السماع الأولي للمشكلة إلى إصدار الأحكام وإشاعتها، دون السماح لها بالمرور بمنطقة السماح الداخلي، والتفاعل مع القدرات العقلية، وتبادل التحليل والاستنتاج. ويصف القرآن هذا الأسلوب المتسرع بأنه تلقُّ للمعلومات الأولية باللسان، دون الصبر عليها حتى تمر بالأذن، وتصل إلى منطقة الوعي، ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ

لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ (النور: ١٥)،

ويتهدد القرآن الفاعلين لذلك بالعقوبة الإلهية، لما يترتب على هذا الأسلوب في الحكم من أخطاء، ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ (النور: ١٧).

هذا وصلوا - رحمكم الله - على خير البرية، وأزكى البشرية محمد بن عبد الله بن عبد المطلب صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بذلك فقال في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

اللهم صل وسلم على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم..



ختاماً... .

انتهى الجزء العاشر من كتاب بستان الخطيب بعون الله وتوفيقه، والله الهادي إلى سواء السبيل.

سبقى الخط بعدي في الكتاب وتبلى اليد مني في التراب
فيا ليت الذي يقرأ كتابٍ دعائي بالخلاص من الحساب
اللهم أغفر للقارئ والكاتب.

اللهم اجعل هذا العمل صالحاً ولوجهك خالصاً برحمتك يا أرحم الراحمين، إنك ولي ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلّى اللهم وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتبه:

الذكيور أمير محمد الماداري

اليمن - المهرة

Almadari_1@hotmail.com

فقس آب/٧١١٤٢٣٢٢٩

+٩٦٦٧٧٧٠٤٤٧٠

تم الانتهاء من هذه الطبعة في مدينة سيحوت بالمهرة يوم الأحد الحادي والعشرين من شهر صفر لعام ١٤٤٦ هـ، الموافق الخميس والعشرين من شهر أغسطس ٢٠٢٤ م.

